

الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان 65-86هـ / 684-705م

دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية

الأستاذ الدكتور

عبد الجبار محسن السامرائي

جامعة سامراء

كلية التربية / قسم التاريخ



www.dardjlah.com

الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة

عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ، 684 – 705 م)

دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية

الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة

عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ / 684 – 705 م)

دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية

الاستاذ الدكتور

عبد الجبار محسن عباس السامرائي

الطبعة الأولى

2016 م – 1437 هـ



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2015/7/3245)

956.043

السامرائي، عبد الجبار محسن

الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (65- 86 هـ / 684- 705 م): دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية / عبد الجبار محسن السامرائي. - عمان: دار دجلة للنشر والتوزيع، 2015
() ص.

ر.أ: (2015/7/3245)

الواصفات: التاريخ الإسلامي // الإصلاحات/ خلافة عبد الملك بن مروان
أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

دار دجلة

للأشرون وموزعون



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص.ب: 712773 عمان 11171 - الأردن

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com

ISBN: 978-9957-71-509-0

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب. أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات. أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر.

All rights Reserved No Part of this book may be reproduced. Stored in a retrieval system. Or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the publisher.

الإهداء

إلى روح والديّ جزءاً من وفاء.

إلى أخي الشهيد بإذن الله (عبد الرزاق محسن عباس)
الذي راح ضحية الإرهاب والغدر والإهمال ليلته
29 رمضان 1432 هـ الموافق ليلته 29 آب 2011 م في
جامع أم القرى ببغداد.

قائمة المحتويات

المقدمة..... 11

الفصل الأول

إصلاح وتعريب النقود في الدولة العربية الإسلامية

المبحث الأول: النقود المتداولة والمحاولات الأولى للإصلاح والتعريب 27

المبحث الثاني: إصلاح وتعريب النقود الحاسم على يد الخليفة عبد الملك
بن مروان 49

الفصل الثاني

التنظيمات المالية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

المبحث الأول: أسس التنظيمات المالية حتى عصر الخليفة عبد الملك بن
مروان 95

المبحث الثاني: الظروف والمستجدات التي أثرت في النقص المالي 113

المبحث الثالث: دور الحجاج بن يوسف الثقفي في معالجة النقص المالي 127

المبحث الرابع: تنظيمات الخليفة عبد الملك بن مروان المالية 139

الفصل الثالث

التنظيمات الإدارية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

التنظيمات الإدارية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان 161

الفصل الرابع

تعريب الدواوين

أولاً: أسباب تعريب الدواوين	214
ثانياً: تعريب دواوين الشام	217
ثالثاً: تعريب دواوين العراق	219
رابعاً: تعريب دواوين مصر	223
خامساً: نتائج تعريب الدواوين	225

الفصل الخامس

إدارة الأقاليم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

أولاً: إدارة بلاد الشام	240
ثانياً: إدارة الحجاز وأواسط الجزيرة العربية واليمن	253
ثالثاً: إدارة العراق والمشرق الإسلامي	267
رابعاً: إدارة الجزيرة الفراتية وأرمينيا واذريجان	291
خامساً: إدارة مصر	296
سادساً: إدارة إفريقية	302
الخاتمة	307
المصادر والمراجع	313

المقدمة

(1) مضامين البحث.

(2) تحليل المصادر.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة: مضامين البحث وتحليل المصادر

1- مضامين البحث:

مما لا شك فيه ان التاريخ الأموي حلقة مهمة من سلسلة حلقات التاريخ العربي الاسلامي المتصلة، وهو أساس اعتمد عليه العباسيون فيما بعد وبخاصة في الجوانب الادارية والمالية، إلا أن هذا التاريخ لم يُنصف، إذ أن جُلّ المصادر الأولية التي وصلت إلينا دونت في ظل أوضاع معادية للأمويين لأسباب مختلفة، فجاء أغلب هذه المصادر غير منصف لهم بدرجات متفاوتة، حاول رواتها لأسباب شتى تشويه صورة الأمويين،... فأخذ المستشرقون هذه الكتابات واستغلوها فجعلوا الاستثناءات قواعد ثابتة وسياسة متبعة. واتهموا الامويين بان سياستهم عربية غير إسلامية، وانهم اضطهدوا الموالي وأهل الذمة.

لكل ذلك فان مهمة المؤرخ المنصف تبدو غير سهلة، لذلك فإن أفضل السبل إذاً أن يُدرس التاريخ الأموي من الواقع المادي الملموس، من الجوانب الحضارية المشرقة والانجازات الكبيرة التي حققوها: من دراسة، حركة الاصلاحات والتنظيمات المختلفة، كاصلاح النقود، والضرائب والموازن والمكايل، والاصلاحات الزراعية الكبيرة، وكذلك من حركة التعريب الكبرى والشاملة، للدواوين (الخراج)، والطراز، والترجمة ومن تنظيم وتطوير المؤسسات الادارية، كالدواوين المختلفة، والحجابه، والقضاء والنظر في المظالم، وتنظيم

الجيش، وكذلك تنظيم وإدارة هذه الدولة المترامية الأطراف والعقلية التي قادتها..

إنَّ جُلَّ هذه الانجازات الكبيرة كانت قد تحققت في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان وبقيادته وتحت إشرافه، الذي لم يلق الاهتمام المطلوب قديماً وحديثاً، والتي حاولت الروايات ذات النفس الشعبي أن تقلل من أهميتها وتنسبها إلى أسباب عرضية مرتجلة.

هذه هي الأسباب التي دفعتني لاختيار ودراسة هذا الموضوع، وقد بذلت ما في وسعي أن أصل إلى الحقيقة.

فجاءت هذه الدراسة، بمقدمة وخمسة فصول وخاتمة...

درست في الفصل الأول: إصلاح وتعريب النقود، بدأته بمقدمة عن النقود المتداولة وأوضاعها، والمحاولات الأولى لإصلاحها وتعريبها، ثم تناولت بالتفصيل إصلاح وتعريب النقود على يد الخليفة عبدالملك بن مروان، مبيناً أسباب ذلك، ومناقشة المبررات التي أوردها مؤرخونا القدماء والمعاصرون، ثم فصلت في مراحل هذا الانجاز الكبير، معزراً ذلك بالصور التوضيحية.

أما الفصل الثاني: فتناولت فيه إصلاح وتنظيم الضرائب (الجزية والخراج) في أقاليم الدولة المختلفة، قدمت له باسـس التنظيمات المالية منذ عهد الرسول محمد ﷺ حتى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان بشيء من التوسع لبيان التطور والتغير في هذه الاسـس، وتوضيح جوانب الإصلاح والتنظيم في ظل الظروف والمستجدات التي دعت إلى هذا التنظيم، ثم بيّنت دور الحجاج بن يوسف الثقفي في هذا التنظيم وبخاصة في الإصلاح الزراعي، ثم فصلت في إصلاح وتنظيم عبدالملك للضرائب في مختلف الأقاليم.

أما الفصل الثالث: فتناولت فيه، التنظيمات الادارية في عهد الخليفة عبدالملك ابن مروان فبحثت فيها تأسيس الديوان (الجند) وتطوره، وديوان الخراج، وديوان الرسائل والكتابة، وديوان الخاتم، وديوان البريد، وديوان النظر في المظالم، وديوان الطراز، وتنظيم الحجابة ومجلس الخليفة، مبيناً بالتفصيل التطورات المهمة التي طرأت على هذه المؤسسات الادارية وأهميتها في إدارة شؤون الدولة ودور الخليفة عبدالملك بن مروان الرائد في إيجاد بعض هذه المؤسسات وتطويرها وتنظيمها.

أما في الفصل الرابع: فتناولت حركة تعريب الدواوين (الخراج)، في بلاد الشام والعراق ومصر، وبينت الاسباب الحقيقية لذلك، ثم ناقشت الاسباب غير المقنعة التي أوردها بعض مؤرخينا القدماء مبيناً النتائج العظيمة التي تمخضت عن هذا الانجاز العربي الكبير.

أما الفصل الأخير، فتناولت فيه إدارة الاقاليم، قدمت له باختصار الخطوط العامة لإدارة الدولة وتطور ذلك حتى عصر الخليفة عبدالملك، ثم تناولت مفصلاً إدارة كل اقليم من اقاليم الدولة الواسعة، مبيناً أهم موظفي ووظائف كل اقليم وكيفية ادارته، وعلاقته بالخليفة، مؤشراً التطورات الادارية لكل اقليم والاحداث المهمة فيه، ثم ركزت على توضيح دور الخليفة عبدالملك في إعادة ترتيب بعض اقاليم الدولة وتنظيمها مثل الجزيرة الفراتية والحجاز واليمن وغيرها، والاتجاه نحو اللامركزية الادارية خصوصاً بعد سنة (78هـ/697م) موضحاً سياسته الناجحة مع عماله وموظفيه، ومع كل الاطراف المهمة في الدولة العربية الاسلامية.

2. تحليل المصادر:

لقد استفدت في بحثي هذا من العديد من المصادر الأولية، والمراجع والدوريات. وسأقتصر على ذكر المهمة والرئيسة منها وحسب قدمها التاريخي.

أ - الكتب التاريخية:

ويأتي في مقدمتها "تاريخ خليفة بن خياط" (شباب العصفري)، (ت240هـ/854م). وهو محدث ومؤرخ بصري يُعد كتابه أقدم ما وصل إلينا من حوليات التاريخ العربي الاسلامي، متبعاً طريقة المحدثين في عرض مادته التاريخية. وهذا الكتاب مهم جداً لا يستغني عنه باحث في الامور الادارية خاصة فهو يزودنا بقوائم تتضمن أسماء ولاية الاقاليم وقضاتها وأصحاب الشرط، فضلاً عن المعلومات الادارية الفريدة والتغيرات المهمة التي يوردها لنا، مثل ضم اقليم فارس والبحرين إلى ولاية العراق على عهد الخليفة عثمان بن عفان ؓ مثلاً⁽¹⁾.

ومن أشهر من يروي عنهم في فترة بحثنا: أبو اليقظان، وابن عياش، وعوانة ابن الحكم والمدائني والوليد بن هشام وأمية بن خالد.

كما استفدت من كتابي (البلاذري، ابي العباس أحمد بن يحيى بن جابر)، (ت279هـ/892م)، فهو من المؤرخين الموضوعيين القلائل الذين كتبوا تاريخ الامويين على الرغم من أنه كان من رجال الخليفة العباسي المتوكل⁽²⁾. وقد استفدت كثيراً من كتابه (فتوح البلدان) إذ أمدني بمعلومات ثمينة جداً عن فتوح الاقاليم وأوضاعها الادارية والمالية والاقتصادية، ومعلومات مهمة عن تعريب

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص136، 159.

(2) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط1، (بيروت-1978م)، ص243.

الدواوين، فضلاً عن الفصل الرائع عن النقود، على الرغم من قصره، كما أورد لنا قائمة خراج بلاد الشام على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.

أما كتابه الآخر "أنساب الأشراف" فهو موسوعة تاريخية مهمة جداً لدارسي التاريخ الأموي، رتب على أساس أنساب الأسرات المهمة. ونحصل من هذا الكتاب على معلومات قيمة عن ولاية الخليفة عبد الملك وخصوصاً الحجاج وطبيعة العلاقة معهم، وعن موظفيه الآخرين، ومعلومات إدارية ومالية كثيرة متناثرة.

وأهم الرواة الذين يأخذ منهم البلاذري هنا، هم: عوانة بن الحكم والمدائني والواقدي.

كما أفدت من اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد 284هـ / 897م) في كتابه "تاريخ اليعقوبي"، الذي يتبع في عرض مادته تسلسل العهود على أساس الخلفاء ويتبع في ذلك توالي السنين، ويزودنا اليعقوبي بقائمة يذكر فيها أسماء ولاية الأقاليم، وأمراء الحج، وقواد الحملات العسكرية، ومشاهير القضاة، فضلاً عن بعض المعلومات الإدارية التي ترد في رواياته القصيرة. وأورد لنا رواية مهمة عن سبب بناء الخليفة عبد الملك لقبة الصخرة.

كما أفدت كثيراً من كتاب "تاريخ الأمم والملوك" للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ / 922م)، وهو مؤرخ ومفسر. يتناول في القسم الثاني منه تاريخ الإسلام منذ عهد الرسول محمد ﷺ إلى سنة (302هـ / 915م)، وأهم مصادره في موضوع بحثنا، أبو مخنف، وعوانة بن الحكم، والمدائني، والواقدي، وعمر بن شبة، وهشام الكلبي. يورد الطبري روايات متعددة عن الحدث الواحد،

ويهتم بسلسلة الرواة، وينقل رواياته كما سمعها، فهو القائل: ((وإنما ادينا ذلك على نحو ما أدي إلينا))⁽³⁾.

والطابع المميز لهذا الكتاب أنه "مشرقي"، ولذلك فهو مهم بالنسبة لموضوعنا، إذ يزودنا بمعلومات مهمة عن جوانب متعددة للنواحي الادارية والمالية، فهو يزودنا باسماء ولاية الخليفة عبدالملك وموظفيه كالكتاب والحجاب، وأصحاب الرسائل والبريد، وعمال الخراج والقضاة، وعمال الشرط. وذكر لنا أيضاً ضرب عبدالملك للنقود. وكذلك أورد لنا روايات ذات أهمية كبيرة، مثل فرض الضرائب على المسلمين الجدد في خراسان والعراق قبل ولاية الحجاج وأثناءها، فضلاً عن ضم خراسان والمشرق الاسلامي كله إلى أعمال الحجاج منذ سنة (78هـ/697م)، والاتجاه نحو اللامركزية الادارية.

ويُعد كتاب "الوزراء والكتاب" للجهشياري، أبي عبدالله محمد بن عبدوس (ت331هـ/942م)، مهماً جداً لمن يتصدى لدراسة الجوانب الإدارية للدولة العربية الاسلامية، فهو يبدأ من عهد الرسول محمد ﷺ إلى نهاية أيام الخليفة العباسي المأمون.

وفي موضوع بحثنا، يزودنا بمعلومات قيّمة عن كتاب الخليفة عبدالملك وموظفيه المهمين وصوراً عن طبيعة العلاقة بين الخليفة وهؤلاء الموظفين، وكذلك يزودنا بمعلومات مهمة عن الدواوين في الشام والعراق وتعريبها، إلا أن الأسباب التي يوردها لتعريب الدواوين تبدو غير مقنعة، كما يزودنا بمعلومات وافية عن سياسة الحجاج الإدارية وكتابه، بروايات مختصرة - لا ذكر للرواة فيها - يعكس من خلالها موقفه السلي من الحجاج.

(3) تاريخ، ج1، ص5.

وفي كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م) معلومات إدارية جيدة عن موظفي الخليفة وموظفي الحجاج، لاسيما تلك المعلومات التي توضح لنا طبيعة العلاقة بين الخليفة عبد الملك والحجاج.

أما كتاب المسعودي الثاني "التنبيه والأشراف" الذي هو بمثابة اختصار لكتابه "مروج الذهب"، فقد افدت من قائمة الكتاب والقضاة والحجاب التي ذكرها في نهاية عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.

كما وأعاني كثيراً كتاب "المقدمة" لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م). فيما يتعلق بالنقود، والحجابه، والخاتم، والطرارز وغيرها.

كما كانت فائدتي كبيرة من كتاب "شذور العقود في ذكر النقود" للمقريري، تقي الدين أحمد بن علي (ت745هـ/1441م)، في فصل النقود خاصة.

ب - الكتب الأدبية:

وأهم الكتب الأدبية التي استفدت منها، وحسب قدمها التاريخي هي:

- 1- مؤلفات الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/869م)، وأهمها البيان والتبيين" الذي ضم كثيراً من الخطب والرسائل المتبادلة بين الخليفة عبد الملك وعماله، ولاسيما الحجاج بن يوسف الثقفي، التي تُبين جوانب متعددة من النواحي الادارية والمالية، تُلقي ضوءاً مهماً على طبيعة العلاقة بين الخليفة وولاته.

وكذلك رجعت إلى كتاب "التاج" المنسوب للجاحظ، الذي أمدني بمعلومات عن جوانب متعددة من سياسة الخليفة عبدالملك، وبعض ولااته.

2- مؤلفات ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم (ت276هـ/889م)، وأهمها: "عيون الأخبار"، الذي حفل بمعلومات إدارية مهمة، خصوصاً عن إدارة الحجاج للعراق وعن ولاته الآخرين، وموظفيه كأصحاب الشرط مثلاً.

أما كتابه الآخر "الامامة والسياسة" فقد أمدني بمعلومات مهمة عن إدارة أقاليم الدولة، لاسيما ولاية أفريقية وتحريرها على يد موسى بن نصير وسياسته الادارية هناك، وتكريم الخليفة عبدالملك له.

3- كتاب "الكامل في اللغة والأدب..." للمبرد، أبي العباس محمد بن يزيد (ت285هـ/898م)، وقد أمدني بمعلومات مهمة عن إدارة الدولة وبخاصة عن إدارة الحجاج للعراق، ومن هذه المعلومات المهمة روايته عن اخراج الحجاج للمهاجرين إلى الأمصار، حيث علل سبب عمل الحجاج هذا تعليلاً أدبياً. وكذلك زودني بمعلومات قيمة عن طبيعة العلاقة بين الدولة والحجاج من جهة وبين الخوارج من جهة أخرى، حيث يُعد هذا المصدر من أفضل المصادر التي بحثت عن الخوارج.

4- "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ/939م) يُعد من المصادر الأدبية المهمة، إذ يمتاز بأنه من المصادر القليلة التي أنصفت الأمويين، لكونه عاش في ظل الدولة الأموية في الأندلس. ويورد لنا أخباراً متناثرة ومهمة عن سياسة عبدالملك الإدارية، وعن ولاته وموظفيه، كالحُجّاب وأصحاب الشرط، وجوانب من النواحي المالية.

5- "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني (ت356هـ/966م)، يمدنا هذا المؤلف بمعلومات واسعة عن النواحي الإدارية والمالية والاجتماعية على الرغم من أن طابع الكتاب هو "غنائي شعري" حيث يستطرد في الكلام عن الصراع القبلي في عصر عبدالملك وموقفه منه، كما يورد لنا أخباراً مهمة عن ولاية عبدالملك في الحجاز وخراسان وغيرهما. والملاحظ عنه أنه يقف مواقف سلبية تجاه الأمويين، لذا يجب التعامل مع رواياته بحذر.

ج- الكتب الفقهية:

إن المعلومات التي أوردتها هذه الكتب لا يمكن الاستغناء عنها لاسيما فيما يتعلق بالنواحي المالية والاقتصادية والإدارية، كالجزية والخراج والضرائب الأخرى، والنقود والمكايل والموازين، فضلاً عن بعض المؤسسات الإدارية، كالقضاء والمظالم وغيرها، حيث عقدت لذلك فصلاً وتحدثت عنها بأسهاب، إلا أن الملاحظ أنها تشتمل على جانب كبير من الآراء النظرية والتي تتصل بأزمة متأخرة.

ومن أهم هذه الكتب "الخراج" لأبي يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ/798م). وقد انفرد أبو يوسف في ذكر إصلاح الخليفة عبدالملك للضرائب في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، وهذا لا يقلل من قيمة الرواية، فأبو يوسف فقيه ثقة.

أما كتاب "الخراج" ليحيى بن آدم (ت203هـ/818م) فيذكر لنا إصلاح الحجاج للمكايل، فضلاً عن معلومات مالية كثيرة لاسيما في السواد.

وكذلك أفدت من كتاب "الأموال" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ/838م) وكتاب "اختلاف الفقهاء" للطبري، وكتاب "الخراج" لقدامة

بن جعفر (ت337هـ / 948م) وكتاب "الاحكام السلطانية" للماوردي (ت450هـ / 1058).

د - كتب الجغرافية والبلدان:

وفي كتب الجغرافية والبلدان معلومات قيمة، فقد اعتمدت عليها في تحديد الاقاليم وتعيين مواقع المدن والقصبات فضلاً عن استفادتي من المعلومات الإدارية والاقتصادية المتفرقة في هذه الكتب، ولاسيما عن جهود الحجاج في الاصلاح الزراعي في العراق. ويأتي في مقدمة هذه الكتب، كتاب "الأعلاق النفيسة" لابن رسته (كان حياً سنة290هـ / 902م)، ثم كتاب "المسالك والممالك" لابن خرداذبه (ت حوالي 300هـ / 912م)، وكتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي البشاري (ت387هـ / 977م)، وكتاب "المسالك والممالك" للاصطخري (ت346هـ / 957م)، ثم كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت626هـ / 1229م)، الذي يمتاز بسعة علمه وشموليته لكل أقاليم الدولة، إذ أفدت منه كثيراً في التعريف بأغلب المدن والقرى والقصبات.

هـ - كتب الطبقات والتراجم:

وأهم هذه الكتب التي أفدت منها كتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد (ت230هـ / 845م)، فقد ترجم للعديد من الشخصيات المهمة خلال فترة بحثنا ومنهم الخليفة عبدالملك بن مروان، والحجاج بن يوسف وغيرهما من الشخصيات العلمية والادارية من الصحابة والتابعين، أما كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان (ت681هـ / 1282م) الذي احتوى على مجموعة كبيرة من تراجم الأعيان، فقد كان عوناً لي في تعريف العديد من الشخصيات الواردة في البحث.

أما المراجع الحديثة، فقد رجعت إلى عدد كبير من الكتب والدوريات، وأفدت بشكل خاص من كتابات الدكتور عبدالعزيز الدوري، وأهمها كتابه "النظم الإسلامية"، ومقالاته عن الضرائب في صدر الإسلام، وكذلك كتابات الدكتور صالح أحمد العلي، وعلى رأسها مقالاته: (موظفو بلاد الشام)...، و (إدارة الحجاز)... كما افدت من كتاب الخلافة الأموية للدكتور عبدالامير دكسن.

ومن المصادر الأجنبية التي كانت عوناً كبيراً لي في الفصل الأول خاصة كتابا الدكتور (Walker) في النقود، فقد اعتمدت على لوحات صور النقود القيمة فيهما وخاصة تلك التي تمثل مراحل اصلاح وتعريب النقود على يد الخليفة عبدالملك بن مروان.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفيت البحث حقه وأن يكون قد أسهم في إبراز جانب مهم من جوانب التاريخ العربي الإسلامي، وأسدى خدمة للعلم، كما أرجو أن يحظى من قارئيه بالقبول غافرين له عما قد يلحظونه من زلات غاضين الطرف عما قد ينسبونه إلى النقص والهفوات، إذ لا كمال إلا لله وحده، واسأله تعالى أن يأخذ بأيدينا لخدمة تاريخنا وأمتنا المجيدة وأن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، إنه بالاجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

إصلاح وتعريب النقود في الدولة العربية الاسلامية

المبحث الأول: النقود المتداولة والمحاولات الأولى للإصلاح والتعريب:

(1) طبيعة النقود المتداولة.

(2) المحاولات الأولى للإصلاح والتعريب.

**المبحث الثاني: إصلاح وتعريب النقود الحاسم على يد الخليفة
عبد الملك بن مروان:**

(1) اسباب الاصلاح والتعريب.

(2) بدء عملية الاصلاح والتعريب.

(3) مراحل الاصلاح والتعريب.

(4) دور الحجاج بن يوسف الثقفي في اصلاح وتعريب النقود.

(5) النقود في أفريقية والمغرب.

((فكانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة ... وترد عليهم دراهم الفرس البغلية، وبعض النقود الفضية الحميرية))

البلاذري، فتوح البلدان، ص 452

((...وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم ... إلى أن تفاحش الغش في الدنانير والدراهم وأمر عبد الملك الحجاج بضرب الدراهم في العراق فضربها سنة 74هـ))

الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 154

ابن خلدون، المقدمة، ص 261

الفصل الأول

إصلاح وتعريب النقود في الدولة العربية الإسلامية

المبحث الأول

النقود المتداولة والمحاولات الأولى للإصلاح والتعريب

1- طبيعة النقود المتداولة:

إنّ لموقع شبه الجزيرة العربية الوسط بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، أثراً كبيراً في النشاط التجاري والمالي، وقد أفاد أهل مكة بشكل خاص من هذا الموقع، ومن قدسية مدينتهم في زيادة التعامل التجاري والمالي⁽⁴⁾، برحلات مستمرة إلى اليمن وبلاد الشام⁽⁵⁾، والعراق⁽⁶⁾. وهذا يعني أن لأهل الحجاز علاقات تجارية واسعة، كانت النقود⁽⁷⁾ وسيلتها الأولى، فكانت دنائير

(4) العلي، د. صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، ط6، (بغداد - 1966م)، ج1، ص100-101.

(5) كان لأهل قريش رحلتان تجاريتان إلى اليمن (شتاءً)، وإلى بلاد الشام (صيفاً)، أشار إليهما القرآن الكريم ﴿لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ ۖ إِلَيْفَهُمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ سورة قريش / الآية: 1، 2.

(6) النقشبندی، ناصر السيد محمود، الدينار الإسلامي في المتحف العراقي، بلا. ط، مطبعة الرابطة، (بغداد - 1953م)، ج1، ص10.

(7) أطلقت كلمة النقود: على جميع ما تتعامل به الشعوب، من دنائير ذهبية، ودراهم فضية، وفلوس نحاسية. المقرئزي، شذور العقود في ذكر النقود (النقود الإسلامية)، تحقيق وإضافات محمد السيد بحر العلوم، ط5، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف - 1967م)، ص44.

هرقل ترد على أهل مكة... وترد عليهم دراهم الفرس البغلية، وبعض النقود الفضية الحميرية⁽⁸⁾، الذي يبدو أن التعامل بها كان قليلاً نسبياً.

وهكذا فإن النقود التي كانت متداولة في الحجاز، والتي كان يتداولها تجار قريش بالدرجة الأولى، كانت هي الدنانير الذهبية البيزنطية، والدراهم الفضية الفارسية⁽⁹⁾، أي أن شبه الجزيرة العربية واقعة بين منطقة الذهب البيزنطية ومنطقة الفضة الفارسية⁽¹⁰⁾، وكانوا يعبرون عن الذهب بـ (العين)، وعن الفضة بـ (الورق)⁽¹¹⁾.

(8) البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، ط1، (مصر - 1932م)، ص452؛ الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، (مصر - 1960م)، ص154؛ ابن الاخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القرية في احكام الحسبة، باعتناء، روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، (كيمبرج - 1937م)، ص82؛ المقرئزي، اغاثة الامة بكشف الغمة، نشر، محمد مصطفى زيادة، وجمال محمد الشيال، مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة - 1940م)، ص48-49؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، (بيروت - 1969م)، ج2، ص113؛ غنيمه، يوسف، النقود العباسية، مجلة سومر، ج1، م9 لسنة 1953م، ص98.

(9) البلاذري، فتوح، ص457؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص154؛ المقرئزي، النزاع والتخاصم فيما بين أمية وهاشم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، (النجف - 1966م)، ص11؛ اسكندر، توفيق، بحوث في التاريخ الاقتصادي، (القاهرة - 1961م)، ص56.

(10) متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادي أبو ريده، مط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة - 1948م)، ج2، ص275؛ اسكندر، توفيق، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ص56؛

GRIESON. P: " The monetary reform of Abid - Al MALIK, Journal of the Economic and social history of the orient, III , 1960. P. 255. =

محمد، د. عبدالرحمن فهمي، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، "فجر السكة

العربية، مط، دار الكتب، (القاهرة - 1965م)، ص31-32.

(11) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، (5) أجزاء، مط، الهلال، (القاهرة - 1931 -

1947م)، ج1، ص109؛ النقشبندى، الدينار الاسلامي، ص2؛ المازندراني، =

وكانوا يتعاملون أيضاً بأجزاء من أوزان الدراهم، كالحبة والدانق⁽¹²⁾، وقد ورد ذكر النقود في أخبارهم وأشعارهم⁽¹³⁾. وكانوا لا يتبايعون بهذه النقود إلا على أنها تبر⁽¹⁴⁾، أي ذهب أو فضة بغض النظر عن كونها دنانير أو دراهم

= السيد موسى الحسيني، العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير، المطبعة الإسلامية، ط2، (طهران - 1382هـ)، ص33.

ومن الجدير بالذكر أن كلمة (الورق)، بوصفها نقداً وردت في القرآن الكريم، سورة الكهف: الآية (19).

(12) الكرمل، لمحة في تاريخ النقود، منشور ضمن كتاب النقود العربية، ص89.
الحبة: تساوي (8 / 1) دانق، أو (ربع) القيراط، وتساوي (0.05غم). الكرمل، النقود العربية، ص28، حاشية رقم (2)؛ هنتس، فالتر، المكييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة، د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، (عمان - 1970م)، ص25.

الدانق: لفظة أعجمية معربة بمعنى الحبة. أدى شير، الالفاظ الفارسية المعربة، ص66. وهو وحدة وزن صغيرة من أجزاء وزن كل من الدينار والدرهم، وكان وزنه فيما قبل الإسلام وفي الإسلام مختلفاً. ابن الرفعة، الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تح، الخاروف، د. محمد أحمد اسماعيل، مط، دار الفكر، (دمشق - 1980)، ص61، حاشية رقم (3). والدانق يساوي (6 / 1) الدرهم، دائرة المعارف، مادة دانق.

(13) غنيم، يوسف، النقود العباسية، مجلة سومر، ج1، م9، لسنة 1953م، ص98.
(14) البلاذري، فتوح، ص452؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة، دار احياء التراث العربي، ط4، (بيروت - بلا. ت)، ص261؛ المقرئ، شذور، ص5.

مضروبة⁽¹⁵⁾، لأن المراد بالدينار قطعة من الذهب وزنها مثقال⁽¹⁶⁾، والمراد بالدرهم وزن درهم من الفضة⁽¹⁷⁾.

ويبدو أن أسباب التعامل بهذه النقود بالوزن لا بالعدد كونها فسدت فاختلفت أنواعها وأوزانها ولا سيما الدراهم الفارسية⁽¹⁸⁾، كما أن الدينار وإن كانت ثابتة الوزن والمقدار، فقد يعتري النقص بعضها، أثناء التداول⁽¹⁹⁾، كقطع بعض أجزاءها مثلاً، فضلاً عن سهولة وسرعة تمشية الصفقات التجارية بالوزن عنه بالعدد، ولا سيما للكميات الكبيرة. ولذلك فقد استخدم العرب أوزاناً خاصة متعددة⁽²⁰⁾، لوزن النقود، فكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه "درهما"، وتزن الذهب بوزن تسميه "ديناراً" فكل عشرة من أوزان الدراهم تساوي سبعة

(15) النقشبندی، الدينار الاسلامي، ص2.

(16) غنيمه، يوسف، النقود العباسية، مجلة سومر، ج1، م9، لسنة 1953م، ص100.

(17) البلاذري، فتوح، ص452؛ المقرئزي، شذور، ص3؛ المناوي، محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي، النقود والمكايل والموازين، تح، د. رجاء محمود السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، (بغداد - 1981م)، ص46؛ زيدان، جرجي، التمدن، ج1، ص109.

(18) ابن خلدون، المقدمة، ص261؛ النقشبندی، الدينار الاسلامي، ص10؛ الصالح، د. صبحي، النظم الاسلامية، نشأتها وتطورها، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت - 1968م)، ص425.

(19) النقشبندی، الدينار الاسلامي، ص10.

(20) البلاذري، فتوح، ص453؛ المقرئزي، شذور، ص3؛ المناوي، النقود والمكايل والموازين، ص46؛ كاشف، د. سيدة اسماعيل، مصر في فجر الاسلام، دار الفكر العربي، (القاهرة - 1947م)، ص65.

أوزان الدينار⁽²¹⁾. والمثقال⁽²²⁾ عندهم أساس الأوزان، فالوحدات الأخرى تُقدر بالنسبة إليه⁽²³⁾.

وهذا وصف للعملة التي كانت متداولة حتى تم اصلاحها على يد الخليفة عبدالملك بن مروان:

الدينار: قطعة ذهبية مستديرة الشكل، وزنها مثقال (4.25 غم)، ويُنقش عليها اسم الملك أو الأمير الذي ضربه⁽²⁴⁾ وغالباً ما يتم التعامل معه على أساس

(21) البلاذري، فتوح، ص 453؛ ابن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم الجزري، الكامل في التاريخ، (13) جزء، دار صادر، دار بيروت، (بيروت - 1965م)، ج 4، ص 418.

(22) المثقال: عرفه المقرئزي: ((بأنه اسم لما له ثقل، سواء كبر أم صغر، وغلب عرفه على الصغير)).

وقدر اليونانيون الدرهم من حب الخردل البري بـ (4200) حبة، والمثقال بـ (6000) حبة، فيكون المثقال درهماً وثلاثة أسباع درهم، والدرهم سبعة أعشار المثقال، فالعشرة دراهم سبعة مثاقيل. الذهبي، تحرير الدرهم، (منشور ضمن الكرمللي، ص 76)، ثم قدر بعد

ذلك بحب الشعير، فقدر الدرهم بـ ($50 \frac{2}{5}$) شعيرة، والمثقال بـ (72) شعيرة، ثم اصطلح على التقريظ واختلفوا في كميته. ينظر: الكرمللي، النقود، ص 77. وجعل عبدالملك المثقال وحدة الذهب وقرر أن يكون وزن = الدينار مثقالاً واحداً كما كان قبلاً أي (4.25 غم). دائرة المعارف الإسلامية، مادة دينار؛ محمد، عبدالرحمن فهمي، صنع السكة في فجر الاسلام، مط، دار الكتب المصرية، (القاهرة - 1957م)، ص 28.

(23) المقرئزي، شذور، ص 4؛ الرئيس، ضياء الدين، الخراج في الدولة الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، ط 1، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة - 1957م)، ص 337.

(24) النقشبندي، الدينار، ص 10.

الوزن⁽²⁵⁾، وعرف العرب هذه العملة الذهبية البيزنطية واستعملوها قبل الاسلام وبعده⁽²⁶⁾، واختلف في أصل تسميته⁽²⁷⁾، وورد ذكر كلمة دينار في القرآن الكريم⁽²⁸⁾، واشتهر عند العرب الدينار الهرقلي، الذي كان ذهبه من أحسن الذهب، وشكله بديعاً حسناً، حتى ضربوا المثل بجماله وزهوه⁽²⁹⁾، وكان يُنقش على أحد وجهيه، صورة الامبراطور البيزنطي وحده، أو مع أولاده...، أما الوجه الثاني فينقش عليه الصليب، مع كتابات دعائية⁽³⁰⁾.

وقد استمر تداول الدنانير البيزنطية في الدولة العربية الاسلامية، حتى تمكن الخليفة عبدالملك بن مروان من إصلاح وتعريب النقود، فضرب الدينار على الطراز العربي الاسلامي الخاص سنة (77هـ / 696م)⁽³¹⁾.

(25) البلاذري، فتوح، ص 452؛ محمد، فجر السكة، ص 30.

(26) دائرة المعارف الاسلامية، مادة دينار، م 9، ص 370؛ غنيمه، يوسف، النقود العباسية، مجلة سومر، م 9، لسنة 1953م، ص 98.

(27) ينظر: الكرمللي، النقود العربية، ص 25-26، حاشية رقم (1)؛ النقشبندلي، الدينار، ص 11؛ بحر العلوم، النقود الاسلامية، ص 57-58.

(28) قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة آل عمران / الآية: 75.

(29) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، ج 1، 110؛ الكرمللي، النقود، ص 25، حاشية رقم (1).

(30) ينظر: مراحل تعريب النقود، في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(31) ينظر: المبحث الثاني من هذا الفصل.

الدرهم: لفظة تدل على معنيين: الأول، أنه وحدة كيل للسوائل، والثاني، وحدة نقدية للتداول، أي من وحدات العملة الفضية في نظام السكة عند العرب المسلمين⁽³²⁾، وورد ذكر كلمة درهم في القرآن الكريم⁽³³⁾، مما يدل على معرفته واستخدامه منذ أمد بعيد.

وكان غالب تعامل العرب بدراهم الفرس الفضية، التي كانت مختلفة الأوزان⁽³⁴⁾، كما ذكرنا سابقاً.

وكان يُنقش على أحد وجهي الدرهم الساساني، صورة ملكهم، بوضع جانبي (Profilo)، يعلو رأسه التاج، وفي الوجه الآخر، موقد النار المجوسية، يقوم جنديان فارسيان بحراستها، مكتوب عليها باللغة البهلوية اسم الملك، وسنة الضرب، وأحياناً مكانه، وعبارات دعائية للملك وعائلته، وفي الهامش الخارجي (ثلاثة) أو (أربعة) أهلة في داخلها نجوم⁽³⁵⁾، وكانت الدراهم من ضرب الاعاجم

(32) النقشبندي، الدرهم الأموي المضروب على الطراز الساساني، مجلة سومر، ج1، 2، م14، لسنة 1958م، ص101؛ الدرهم الإسلامي، ج1، ص1؛ محمد، النقود العربية، ص10؛ النقشبندي، والبكري، مهذب، الدرهم الأموي العربي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، (بغداد - 1974م)، ص9.

(33) قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾.
سورة يوسف / الآية 20.

(34) البلاذري، فتوح، ص451.

(35) Walker, J: " Acatologue of the Arab – Sassanian Coins ", (London, 1941), No. B. P. 2; Jesiio: Op.cit. P. 242.

النقشبندي، الدرهم الإسلامي، ج1، ص30-33؛ محمد، فجر السكة، ص30؛ النقود العربية، ص24.

مختلفة كباراً وصغاراً⁽³⁶⁾، وشاع تعاملهم بثلاثة أنواع هي: البغلية (ثمانية) دوانق، والطبرية (أربعة) دوانق، والجوراقية (أربعة دوانق ونصف)⁽³⁷⁾.

وتعاملوا أيضاً بالدرهم المغربي (ثلاثة) دوانق⁽³⁸⁾، واليميني (دانق واحد)⁽³⁹⁾.

(36) البلاذري، فتوح، ص 451؛ أبو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، تح، محمد خليل هراس، ط 2، دار الفكر، (القاهرة - 1975م)، ص 629؛ ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 418؛ الكرمل - العزيزي، لحة في تاريخ النقود، ص 89-90.

(37) الماوردي، الأحكام السلطانية ص 153؛ ابن الأخوة، معالم القرية، ص 82؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 262؛ ابن الرفعة، الإيضاح والبيان، ص 60؛ المقرئ، شذور، ص 3. الدرهم البغلي: نسبة إلى (بغل) وهو اسم يهودي ضربها، وكان يُعرف برأس البغل، وأطلق عليها أيضاً السود الوافية لاستيفائها الوزن الحقيقي للدرهم، وسميت كذلك الكسروية.

البیهقي، المحاسن والمساوي، ص 469؛ قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص 60؛ أبو عبيد، الأموال، ص 629؛ Walker: op. cit. vol. I. p. oxlviii. النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص 3.

الطبرية: هي الدراهم المضروبة في طبرستان، وهي الدراهم الصغار، أنصاف البغلية، وتكون جميلة مستديرة ومعدل أقطارها (23 ملم).

أبو عبيد، الأموال، ص 629؛ المقرئ، شذور، ص 3؛ النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ج 1، ص 3؛ Walker: op. cit. vol. I. p. oxlviii.

الجوراقية: دراهم تضرب في جورقان، قرية بنواحي همدان، وزنها (أربعة دوانق ونصف) (3,40 غم). المقرئ، شذور، ص 3؛ الكرمل، النقود، ص 23، حاشية رقم (1).

(38) الماوردي، الأحكام، ص 153؛ ويذكر ابن خلدون، المقدمة، ص 262: ((ان وزن الدرهم المغربي هو (8 دوانق)) وهو خطأ.

(39) الماوردي، الأحكام، ص 153؛ ويذكر ابن خلدون، المقدمة، ص 262: ((ان وزن الدرهم اليميني هو (6 دوانق)) وهو خطأ أيضاً.

بقيت الدراهم تُضرب على الطراز الساساني مع اضافة كلمات عربية طيلة عهد الخلفاء الراشدين والأمويين حتى عام (697/هـ 78) ⁽⁴⁰⁾ وهو العام الذي تمكن فيه الخليفة عبدالملك بن مروان من جعلها عربية اسلامية تماماً، إذ نقش عليها كلمة "درهم" أول مرة في التاريخ العربي الاسلامي، لتستمر هكذا إلى ما بعد نهاية الدولة العباسية بقليل ⁽⁴¹⁾.

الفلس ⁽⁴²⁾: لا تعني هذه الكلمة بالضرورة نقوداً نحاسية على الرغم من أن استعمالها الشائع منذ فجر الاسلام هو في هذا الغرض الضيق، فاستعارها العرب... ولم يتقيدوا بوزنها فضربوا فلوساً في العديد من مدن بلاد الشام ⁽⁴³⁾ واختلفت أنواعها، وأزائها، وقيمتها، باختلاف البلدان، وإن كانت النسبة الشرعية بين الدرهم والفلس هي (1: 40) ⁽⁴⁴⁾. وبعد تحرير مصر سنة (20هـ/ 640م)، كانت الفلوس الشائعة التداول في أيدي الناس هي القطع التي قيمتها (12)، (Nummia) من ضرب الاسكندرية بصورة هرقل وحده، أو مع

(40) حصلت مديرية الآثار العامة العراقية في 9 / 3 / 1971م على درهم نادر، وهو على الطراز العربي الاسلامي الخالص، وتاريخ ضربه سنة (78هـ/ 697م)، مما غير الاعتقاد الذي كان سائداً بأن سنة (79هـ/ 698م) هي سنة تعريب الدراهم. ينظر: د. عيسى سلمان، أقدم درهم معرب، مجلة سومر، م27، لسنة 1971م، ص148.

(41) النقشبندي، الدرهم الاموي المضروب على الطراز الاسلامي، مجلة سومر، ج1، 2، م14، لسنة 1958م، ص101.

(42) الفلس: الجمع فلوس، وأصلها أفلس، وهذه تعريب اليونانية أفلس، وأخذته اليونانية قبل من اللفظ اللاتيني (Follis). الكرمللي، النقود، ص67، حاشية رقم (2).

(43) Walker: A catalogue of the Arab Byzantine and post – reform umayyad coins. P. 37 , 46. 201. ff.

(44) محمد، فجر السكة، ص63.

أولاده، وهناك فلوس أخرى ذات أقيام مختلفة. وأقدم فلس ضربه العرب ظهر في (قنسرين)⁽⁴⁵⁾، على طراز عملة هرقل، سنة (17هـ/ 638م) باسم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه⁽⁴⁶⁾.

ويبدو أن الخليفة عبدالملك بن مروان، عندما بدأ باصلاح وتعريب النقود استفاد من الفلوس البيزنطية من ضرب الاسكندرية، ف ضرب على شاكلتها الدينار الذهب اول الأمر⁽⁴⁷⁾.

والسبب في ضرب نقد الفلس: ((أنه لما كانت في المبيعات... ما تقل عن أن ثباع بدرهم أو بجزء منه، احتاج الناس..... إلى شيء سوى الذهب والفضة... فجعلوا إزاء هذه المبيعات قطعاً صغيراً تسمى فلوساً))⁽⁴⁸⁾، ومع ذلك عني العرب بنقوشها وأوزانها، فصنعوا لها صنجات⁽⁴⁹⁾.

(45) قنسرين: كورة بالشام، بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص، حررها أبو عبيدة عامر بن الجراح، سنة (17هـ/ 638م). ياقوت، معجم البلدان، م4، ص 403-404.

(46) محمد، صنج السكة، ص 37 ؛ Walker: op. cit. vol. 2. P. 46

(47) ينظر: مراحل اصلاح وتعريب النقود.

(48) المقرئزي، فصل في نقود مصر، منشور ضمن الكرمل، ص 67.

(49) الصنجة: أو السنجة، لفظة أعجمية، تعني الحجر، ويراد بها في الاصطلاح العيار، وبالفرنسية (Poids)، ووضعت الصنج لصيانة الوزن من التلاعب، والزجاج أحسن مادة لهذا الغرض إذ (لا يستحيل إلى زيادة أو نقصان)، والخليفة عبدالملك بن مروان أول من وضع الصنج الزجاجية، ويوجد في المتحف العراقي واحدة باسم الخليفة عبدالملك بن مروان. الدميري، حياة الحيوان، ج1، 73 ؛ ادي شير، الالفاظ الفارسية، ص 95 ؛ النقشبندی، الدينار، ص 15.

2. المحاولات الأولى للإصلاح والتعريب:

عندما تأسست الدولة العربية الاسلامية أقرّ الرسول محمد ﷺ النقود المتداولة على حالها⁽⁵⁰⁾، وتعامل بها على أساس الوزن⁽⁵¹⁾، كما أقر الأوزان المستعملة وجعلها أساساً للأوزان الاسلامية⁽⁵²⁾.

وكذلك أقرّ الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ (11-13هـ/ 632-634م) النقود على حالها⁽⁵³⁾. أي لم يُعلم عن الرسول محمد ﷺ ولا الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ أنهما حاولا إصلاح أو تعريب النقود، إذ لم يكن من السهولة على العرب المسلمين في هذه المرحلة التاريخية الدقيقة، أن يضربوا عملة خاصة بهم في وقت شُغلوا فيه بتوحيد شبه الجزيرة العربية، كما أن الحاجة الاقتصادية لم تكن قد اشتدت بعد.

إنّ تعامل الرسول محمد ﷺ هذا، يفسر لنا معنى الاقرار لهذه النقود، فهو لا يعني قبول ما فيها من صور ونقوش تتعارض مع العقيدة الاسلامية، بل بوصفها وسيلة تبادل فقط.

(50) البلاذري، فتوح، 452؛ ابن الرفعة، الايضاح والبيان، ص49.

(51) فقد زوج علي بن أبي طالب ﷺ ابنته فاطمة الزهراء بهذه الدراهم، واشترط أن تكون من وزن (6) دوانق. ابو عبيد، الأموال، ص631 (رقم 1625)؛ ينظر: الرمضاني، عبدالواحد، البعد القومي لتعريب النقود (دراسة سياسية اقتصادية)، مجلة آداب الرافيدين، العدد (14)، لسنة 1981م، ص54.

(52) المقرئزي، شذور، ص4، اغائة الامة، ص51؛ ابن الرفعة، الايضاح والبيان، ص49؛ المناوي، النقود والمكايل والأوزان، ص49.

(53) البلاذري، فتوح، ص452؛ المقرئزي، اغائة الامة، ص51.

وعندما تولى الخليفة عمر بن الخطاب ؓ (13-23هـ / 634-643م) ازدادت عنايته بالنقود وبخاصة بعد سنة (18هـ / 639م)⁽⁵⁴⁾، أي بعد تحرير بلاد الشام والعراق ومصر، واستقرار الدولة عسكرياً، وحدثت تحولات سياسية واقتصادية وإدارية واسعة النطاق، أوجدت ظروفاً جديدة حتمت على الخليفة عمر بن الخطاب ؓ، محاولة إصلاح وتعريب النقود، ثم تحديد الوزن الشرعي للدرهم، وهذه المحاولة جزء من الخطة الإصلاحية والتنظيمية الشاملة لمنظر النظم المالية والإدارية الخليفة عمر بن الخطاب ؓ، فضرب حيتنذ الدرهم على نقش الكسروية⁽⁵⁵⁾ وصورها بأعيانها، غير أنه زاد في بعضها "الحمد لله" وفي بعضها "محمد رسول الله" وفي بعضها "لا إله إلا الله وحده" وعلى جزء منها "عمر"⁽⁵⁶⁾. كما أضاف على نقوش الفلوس المضروبة في مدن بلاد الشام كلمة (جائز) أو (واف) إشارة إلى الوزن الصحيح⁽⁵⁷⁾.

وبذلك يُعد الخليفة عمر بن الخطاب ؓ أول من كتب بالعربية على الدراهم والفلوس، لكن بقيت الصور والشارات الأجنبية عليها، على أننا نفتقر

(54) البلاذري، فتوح، ص 452؛ المقرئزي، شذور، ص 4-5.

(55) الكسروية: نسبة إلى كسرى الأول (531-579م). الكرمللي، النقود، ص 32، حاشية رقم (3). ويقول الدميري: ((الكسروية هي التي يقال لها البغلية لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب ؓ بسكة كسروية عليها صورة الملك ...)). حياة الحيوان، ج 1، ص 72.

(56) المقرئزي، اغاثة الأمة، ص 52؛ شذور، ص 5.

(57) سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت - 1971م)، ص 524.

إلى وجود هذه الدراهم⁽⁵⁸⁾، على الرغم من أن هناك من ينسب إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ؓ، دراهم ضُربت في مدن المشرق، ويوجد بعضها في المتحف العراقي⁽⁵⁹⁾، إلا أنه يُشك⁽⁶⁰⁾، في كون تاريخ سكها يعود إلى فترة حكم الخليفة عمر بن الخطاب ؓ (13-23هـ) بل إلى فترة لاحقة.

وهناك من يقول أن خالد بن الوليد، ضرب نقوداً باسمه في طبرية سنة (15هـ / 636م) أو (16هـ / 637م)، وجعلها على رسم الدنانير البيزنطية تماماً، عليها أحرف باليونانية، حيث يعتقد المؤرخ الألماني الدكتور مولر، أن هذه

(58) محمد، فجر السكة، ص36؛ طه، عبدالواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج، ص162؛ الكبيسي، د. حمدان عبدالمجيد، البعد القومي لعملية تعريب النقود في الدولة العربية، مجلة آداب المستنصرية، العدد (5)، لسنة 1980م، ص62.

(59) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص38-40؛ القزاز، وداد، الدراهم الاسلامية المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، مجلة المسكوكات، العدد (1)، لسنة 1969م، ص13-15.

(60) يذكر النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص38-40: ((أنه عثر على دراهم ضُربت في سجستان مؤرخة سنة (20) ويعتقد أنها سنة (20هـ) ، وهذا غير صحيح، فالمعروف أن سجستان لم تُفتح إلا بعد سنة (30هـ) أي في عهد الخليفة عثمان بن عفان ؓ فما بعد. ينظر: البلاذري، فتوح، ص385-387. وربما أن سنة (20) المؤرخة بها هذه الدراهم هي السنة (20) من حكم يزيدجرد الثالث (11-31هـ / 632-651م)، حيث توافق هذه السنة سنة (31هـ) في فترة خلافة عثمان بن عفان ؓ (23-35هـ). والمعروف أن الفرس ليس لهم تاريخ ثابت، بل يؤرخون عند اعتلاء العرش ملك جديد. ينظر: طه، عبدالواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج، ص161-163.

الأحرف متقطعة من كنية خالد بن الوليد أبي سليمان⁽⁶¹⁾. لكننا لم نعثر على ما يؤيد هذه الأقوال في المصادر العربية القديمة.

تؤكد غالبية المصادر العربية الإسلامية أن الخليفة عمر بن الخطاب ؓ هو أول من حدد الوزن الشرعي للدرهم⁽⁶²⁾، وتُجمع هذه المصادر على أن وزن الدرهم الشرعي هذا هو ستة دوانق، ووزن كل عشرة دراهم يساوي سبعة مثاقيل⁽⁶³⁾، وأن عامل الزكاة والحدود الشرعية، هو العامل الرئيس في هذا التحديد، حينما رأى الخليفة عمر ابن الخطاب ؓ تعدد الدراهم واختلاف أوزانها⁽⁶⁴⁾. فيقول الماوردي⁽⁶⁵⁾: ((أن عمر لما رأى اختلاف الدراهم وأن منها (البغلي) وهو ثمانية دوانق، ومنها (الطبري) وهو أربعة دوانق، ومنها (المغربي) وهو ثلاثة دوانق، ومنها اليمينية (الحميرية) وهو دانق واحد، قال: انظروا الأغلب مما يتعامل به الناس من أعلاها وأدناها فكان البغلي والطبري فجمع بينهما فكانا اثني عشر دانقاً، فأخذ نصفها، فكان ستة دوانق، فجعل الدرهم

(61) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، ص111؛ الكرمل، النقود، ص91؛ Walker: op. cit. vol. 2. P. 47.

(62) الماوردي، الأحكام، ص153؛ ابن الأخوة، معالم القرية، ص82؛ ابن خلدون، المقدمة، ص262.

(63) الماوردي، الأحكام، ص153؛ ابن الأخوة، معالم القرية، ص82؛ ابن خلدون، المقدمة، ص262.

(64) البلاذري، فتوح، ص451؛ الماوردي، الأحكام، ص153؛ ابن الأخوة، معالم القرية، ص82؛ ابن خلدون، المقدمة، ص262-263.

لكن البلاذري لا يذكر في ذلك اسم الخليفة عمر بن الخطاب ؓ أو الخليفة عبدالملك.

(65) الأحكام السلطانية، ص153؛ أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص162.

الاسلامي في ستة دوانق ((. وقال ابن خلدون⁽⁶⁶⁾: ((ان الدينار والدرهم مختلفا السكة⁽⁶⁷⁾ في المقدار والموازين... والشرع قد تعرض لذكرهما... فلا بد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين... دون غير الشرعي منهما، فاعلم إن الاجماع منعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة ان الدرهم الشرعي هو الذي وزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب... وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبدالملك أو من اجماع الناس بعد عليه... والحق أنهما كانا (الدينار والدرهم) معلومي المقدار... وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج وإنما كان متعارفاً بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارهما ووزنهما... وقارن ذلك أيام عبدالملك ف مشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما السكة ((.

(66) المقدمة، ص 263.

(67) السكة: عرفها ابن خلدون: ((بانها الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة وتضرب بها على الدنانير أو الدراهم... ولفظ السكة كان اسماً للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجته وشروطه وهي الوظيفة ((. المقدمة، ص 261.

وعرفها الماوردي: ((بانها الحديدة التي يطبع عليها الدراهم ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكة ((. الاحكام، ص 155.

وهكذا يتبين ان للسكة معاني متعددة، تفهم من سياق الكلام. ((وقد توسع بعض العوام في معناها حتى أطلقوها على النقود نفسها ((. الكرملی، النقود، ص 36، حاشية رقم (1).

أي ان الذي شاع استعماله للسكة، هو معناها كنقود من دنانير ودرهم وفلوس.

ولمناقشة ذلك نقول: ((أن الدينار والدرهم هما وزنان قبل أن يكونا نقدين⁽⁶⁸⁾، وأن التعامل بهما كان بالوزن لا بالعدد⁽⁶⁹⁾، وأن وزنهما لم يختلف قبل الاسلام وبعده⁽⁷⁰⁾، وأن الرسول محمد ﷺ قد تعامل بالدرهم على أساس الوزن⁽⁷¹⁾، فضلاً عن أن الزكاة قد فُرضت أصلاً بالأوزان وليس بالاعداد⁽⁷²⁾، وأن المسلمين كانوا يزكون أموالهم شطراً من الكبار وشطراً من الصغار⁽⁷³⁾، إذا ما عرفنا هذه الحقائق نكون قد أدركنا أن مقدار الدرهم الشرعي، كان معلوماً - ولو بشكل تقريبي - في زمن الرسول محمد ﷺ، وأكد المقرئزي⁽⁷⁴⁾ ذلك بقوله: ((ولا يصح أن تكون الأوقية والدرهم مجهولة القدر زمن النبي محمد ﷺ وهو يوجب الزكاة في أعداد منها وتقع بها البياعات والأنكحة)) . ولذلك يبدو أن الواجبات الشرعية كالزكاة وغيرها، كانت تؤخذ من متوسط أوزان النقود، وربما يُترك ذلك لاجتهاد الناس.

(68) المقرئزي، شذور، ص3.

(69) البلاذري، فتوح، ص452 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص261 ؛ النقشبندی، الدينار، ص2 ؛ الرئيس، الخراج، ص326.

(70) الذهبي، تحرير الدرهم والمثقال (منشور ضمن الكرملي: النقود)، ص75 ؛ المقرئزي، شذور، ص4، على الرغم من ان المقرئزي ناقض نفسه إذ يقول: ((وكان وزن الدراهم والدنانير قبل الاسلام مثل وزنهما في الاسلام مرتين)) . شذور، ص3.

(71) أبو عبيد، الاموال، ص631 (رقم 1625).

(72) المصدر نفسه، ص630 ؛ المقرئزي، شذور، ص8.

(73) أبو عبيد، الاموال، ص630 ؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص81.

(74) الرئيس، الخراج، ص368، نقلاً عن المقرئزي، الاوزان والاكياس، نشر تحسن، ص57-58.

أما الخليفة عمر بن الخطاب ؓ فقد اعتمد على هذه الاسس في تحديد وزن الدرهم بالقراريط والدوانق، ولم يأت اعتباراً كما يفهم من أقوال المؤرخين وبمجرد التوفيق بين الأوزان وأخذ متوسطها. ثم ان أغلب المؤرخين يجعل الزكاة فقط هي السبب في تحديد الخليفة عمر بن الخطاب ؓ لوزن الدرهم الشرعي، والحقيقة أن هناك أسباباً مهمة أخرى غير الزكاة، لأن الزكاة كانت قد فرضت منذ السنين الأولى لعهد الرسول محمد ﷺ وأن المسلمين يدفعونها دون أي اشكال حتى تحرير بلاد الشام والعراق، حيث حدثت تطورات واسعة في مختلف المجالات، استدعت التنظيم، ومنها الضرائب⁽⁷⁵⁾، وتداول الديوان وصرف العطاء، فكان لابد من تحديد وزن الدرهم الشرعي ليضمن العدالة للجميع في صرف الأموال وجبايتها، فضلاً عن تحديد أنصبة الزكاة خاصة بالنسبة للشعوب التي دخلت حديثاً في الإسلام، لكن الخليفة عمر بن الخطاب ؓ لم يضرب درهماً على الوزن الشرعي⁽⁷⁶⁾، أي أن ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب ؓ هو تحديد

(75) يقول العسكري: ((وكان أرباب الخراج يؤدون الطبرية التي هي (4) دوانق، وتمسكوا بالوافي الذي وزنه وزن المثقال)) . الاوائل، ص238 ؛ الماوردي، الاحكام، ص81. ويقول المقرئزي: ((ووضع (عمر) الجريب والدرهمين في الشهر، فضرب حينئذ عمر ؓ الدراهم)) . شذور، ص5 ؛ الرئيس، الخراج، ص333 ؛ الراوي، ثابت اسماعيل، العراق في العصر الاموي، ص71.

(76) وزن الدرهم الشرعي (2.97غم)، دائرة المعارف الاسلامية، (مادة درهم). وضرب الخليفة عبدالملك دراهمه وثبتها على الوزن الشرعي هذا. ((أما عمر فضرب دراهمه على نقش الكسروية... وضربها ناقصة عن الوزن الشرعي)) . المقرئزي، شذور، ص5، وعلل المقرئزي فعل الخليفة عمر بن الخطاب ؓ هذا قائلاً: ((أن عمر ؓ صغر الدرهم وكبر القفيز... طلباً للاحسان إلى الرعية)) . المقرئزي، شذور، ص5. ان عمل الخليفة عمر ؓ هذا كان علاجاً = مؤقناً للوضع الاقتصادي في الدولة العربية ؛ ابن الرفعة، الايضاح والبيان، ص52-53، حاشية رقم (8).

علمي للوزن الشرعي للدرهم، معتمداً على تقرير الرسول محمد ﷺ لذلك، أما ما فعله الخليفة عبدالملك بن مروان: ((فشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهب ونقش عليهما السكة))⁽⁷⁷⁾. أي أن الخليفة عبدالملك بن مروان أكد وثبت الوزن الشرعي للدرهم على ما قرره الرسول محمد ﷺ والخليفة عمر بن الخطاب ؓ من بعده عملياً بضرب الدرهم على الوزن الشرعي لأول مرة.

ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان ؓ (23-35هـ / 643-655م)، أقرّ الأوزان للنقود على حالها⁽⁷⁸⁾، وضربت في خلافته دراهم نقشها "الله أكبر"⁽⁷⁹⁾، وكذلك ضربت في خلافة علي بن أبي طالب ؓ (35-41هـ / 655-661م) دراهم⁽⁸⁰⁾ وكان كلا الضربين على الطراز الساساني⁽⁸¹⁾.

ولما اجتمع الأمر للخليفة معاوية بن أبي سفيان، ضرب الدراهم السود الناقصة، من ستة دوانق فتكون خمسة عشر قيراطاً تنقص حبة أو حبتين⁽⁸²⁾،

(77) ابن خلدون، المقدمة، ص 263.

(78) البلاذري، فتوح، ص 452.

(79) المقرئزي، شذور، ص 5.

(80) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص 22، 48-49.

(81) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص 21، 22، 42-45، 48-49؛ القزاز، وداد،

الدراهم الاسلامية، مجلة المسكوكات، العدد (1) لسنة 1969م، ص 13-15.

(82) تنقص حبة أو حبتين، أي تحتاج إلى حبة أو حبتين لتتم صحتها. الكرمللي، النقود،

ص 33، حاشية رقم (2)؛ المقرئزي، شذور، ص 5؛ اغائة الأمة، ص 52-53؛

. Walker: op. cit. vol. I. pp. XXX

وضرب منها زياد ابن أبي سفيان، عامل معاوية في العراق أيضاً⁽⁸³⁾. وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها صورة رجل متقلد سيفاً، فوقع منها دينار رديء في يد شيخ من الجند فجاء به إلى معاوية وقال: ((إنا وجدنا ضربك شرّ ضرب))⁽⁸⁴⁾.

ويوجد في المتحف العراقي نماذج لدراهم معاوية وهي على نوعين، الأول: كالذي سبق ضربه في مدن فارس وسجستان وخراسان، عليه عبارات إسلامية كُتبت بالعربية⁽⁸⁵⁾. والثاني أيضاً عليه كلمات عربية، ولكن وضع اسمه محل اسم كسرى "معاوية أمير وروشنكان"، "معاوية أمير المؤمنين"⁽⁸⁶⁾.

أما بالنسبة للدنانير التي ضربها الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فلم يصل إلينا منها شيء حتى الآن، وربما يُعزى ذلك إلى صهرها وإعادة ضربها ثانية، أثناء عملية الإصلاح الجذري للنظام النقدي، على يد الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي منع أيضاً تداول غير العملة الرسمية الجديدة للدولة العربية. كما أن هذا الضرب كان على ما يبدو محدوداً، فضلاً عن كونه رديئاً⁽⁸⁷⁾.

(83) المقرئزي، شذور، ص 5 ؛ Walker: op. cit. vol. I. pp. Xliv , 3

(84) المقرئزي، شذور، ص 5 ؛ اغائة الامة، ص 52-53 ؛ المدّور، جميل نخلة، حضارة

الاسلام في دار السلام، ص 153 ؛ الخصري، تاريخ الأمم الاسلاميه، ج 2، ص 219.

(85) مثل 'بسم الله. بسم الله ربي. بسم الله الملك'. النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص 22؛

محمد، فجر السكة، ص 329، لوحة رقم (8).

(86) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص 23 ؛ ينظر: لوح (2) رقم (A 20)، ويذكر

النقشبندي، الدرهم، ص 23: ((بأن معاوية ضربها لسنة واحدة وفي مدينة واحدة هي

(داربجرد) سنة (41هـ/661م).

(87) المقرئزي، شذور، ص 5 ؛ اغائة الامة، ص 52-53 ؛

. Walker: op. cit. vol. 2. pp. XXV

بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية (64هـ / 683م) كثر المطالبون بالخلافة، واضطربت أحوال الدولة... وأدرك هؤلاء الأهمية السياسية لضرب النقود... ومنهم آل الزبير في الحجاز والعراق، والخوارج⁽⁸⁸⁾ في العراق وفارس، وغيرهم⁽⁸⁹⁾، ف ضرب عبدالله بن الزبير دراهم مدورة، فكان أول من ضرب الدراهم المستديرة... ونقش بأحد الوجهين "محمد رسول الله" وبالأخر "أمر الله بالوفاء والعدل"⁽⁹⁰⁾، ونقش على استدارتها "عبدالله"⁽⁹¹⁾. ((و ضرب مصعب الدراهم بأمر عبدالله بن الزبير سنة (70هـ / 689م) على ضرب الأكاسرة وعليها "بركة" وعليها "الله" فلما كان الحجاج غيرها⁽⁹²⁾، و ضرب مصعب مع الدراهم

(88) عن دراهم الخوارج ينظر: النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص128.

(89) ضرب ابن الاشعث دراهم بعد خروجه على الخلافة. النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص131.

كما ضرب عمر بن عبيد الله بن معمر، وعبدالله بن خازم، والمهلب بن أبي صفرة، دراهم

تحمل اسماءهم. ينظر: Walker: op. cit. vol. I. p. Xli – Xlii

(90) المقرئزي، شذور، ص6 ؛ اغائة الامة، ص53 ؛ المناوي، النقود والمكايل والأوزان،

ص72-73 ؛ كاشف، سيدة اسماعيل، مصر في فجر الاسلام، ص66.

(91) الكرمللي، النقود، ص92 ؛ النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص62-67. كما كتب

((عبدالله أمير المؤمنين)) بالبهلوية، ص65-67.

(92) البلاذري، فتوح، ص454، ويذكر البلاذري في رواية أخرى (ص452) بأن مصعب

ضرب دراهم دون ذكر الدنانير. بينما ذكرت المصادر الآتية ((أن مصعب ضرب دراهم

فقط)) . الماوردي، الاحكام، ص139 ؛ أبو يعلي، الاحكام، ص165 ؛ المقرئزي،

شذور، ص6. أما ابن خلدون فيقول: ((وقيل أول من ضرب الدنانير والدراهم

مصعب بن الزبير سنة (70هـ) بأمر أخيه عبدالله بن الزبير لما ولي الحجاز)) . المقدمة،

ص261.

دنائير أيضاً⁽⁹³⁾، ولكن لم يُعثر حتى الآن على دينار يحمل تاريخ إمارة مصعب بن الزبير.

ولم يؤثر عن الخلفاء الأمويين الثلاثة، الذين جاءوا بعد معاوية، يزيد بن معاوية، ومعاوية الثاني بن يزيد، ومروان بن الحكم، أنهم حاولوا إصلاح وتعريب النقود وربما يُعزى ذلك لقصر فترة حكم كل منهم وللظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة العربية الإسلامية آنذاك إلا أنه يذكر أن عبيد الله بن زياد، ضرب الزيوف⁽⁹⁴⁾ من الدراهم أثناء هروبه من البصرة.

وبذلك فإن كل المحاولات التي مرت لضرب عملة عربية مستقلة كانت محاولات غير متكاملة، إذ عُدت رديئة لا تنافس العملة البيزنطية والساسانية، إذ أنها مجرد ادخال تعديلات بسيطة على النقود، كان يُكتب عليها كلمات عربية أو عبارات دينية، أو وضع اسم الأمير باللغة العربية أو الأجنبية، أي أنها كانت

(93) البلاذري، فتوح، ص 454 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 261.

ومن الجدير بالذكر أن البلاذري وابن خلدون ينفردان بذكر ضرب مصعب بن الزبير للدنانير.

(94) الثعالبي، لطائف المعارف، ص 18 ؛ السيوطي، الوسائل إلى مسامرة الأوائل، ص 47 ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج 1، ص 425.

يقول الثعالبي: ((وكان عبيد الله بن زياد (أثناء هروبه من البصرة) إذا نزل بماء وخشى أن يشب عليه الأعراب قسمها بينهم)) . وهذا يدل على مدى اضطراب أحوال النقد واثار الأوضاع السياسية في ذلك.

الزيوف: وهو الدرهم الذي خُلط به نحاس أو غيره، ففادت صفة الجودة، فيرده بيت المال إلى التجار. الكرملي، النقود، ص 50، حاشية رقم (4).

وللسلطان كسر النقود المزيفة إذا تبين ذلك. السنامي، نصاب الاحتساب، ورقة (29ب)، مخطوطة مكتبة الاوقاف العراقية تحت رقم (5789).

عملة مشتركة بين العرب المسلمين والفرس والبيزنطيين. فهي إذن جهود أولية للإصلاح والتعريب، ولكنها جهود مشتتة لم تأت بشمارها بل زادت في أعداد النقود المتداولة واختلط الرديء بالجيد، فزادت فوضى النقد، فاختلفت قيم النقود، وأوزانها، وأشكالها، باختلاف جهات إصدارها، وكان لابد لدولة واسعة كالدولة العربية في العصر الأموي، والمتمثلة بشخصية الخليفة عبدالملك بن مروان القومية من اكمال مستلزمات الدولة المستقلة وذلك بإيجاد نظام نقدي عربي مستقل من أي تأثير خارجي.

المبحث الثاني

إصلاح وتعريب النقود الحاسم على يد الخليفة عبد الملك بن مروان

1- أسباب الإصلاح والتعريب:

يمكن إن نقسم أسباب إصلاح وتعريب النقود على يد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى:-

أ- الاسباب غير المباشرة.

ب- الاسباب المباشرة.

أ- الاسباب غير المباشرة:

وهي الأسباب الحقيقية لإصلاح وتعريب النقود، التي اجتمعت مع السبب المباشر (حادثة القراطيس)⁽⁹⁵⁾، متوافقة مع تطلع وطموح الخليفة عبد الملك بن مروان، لتوجد نظاماً نقدياً عربياً اسلامياً متميزاً، وأهم هذه الأسباب هي:

1- الاسباب المالية والاقتصادية:

بعد الحروب الخارجية والفتن الداخلية التي عصفت بالدولة الأموية ومنذ وفاة الخليفة معاوية بن ابي سفيان سنة (60هـ/ 679م) وحتى سنة (73هـ/ 692م) واجهت الدولة حاجة إلى الأموال، كان لابد من معالجتها، وبذلك بات من الضروري إقدام الخليفة عبد الملك بن مروان على اصلاح وتعريب النقود، لكي

(95) القراطيس: (أو الطوامير)، جمع قرطاس، وهو ورق الكتابة، ويُصنع من البردي، وتشتهر مصر بصناعته. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، م3 (مادة قرطس).

يدعم كيان الدولة ويعزز اقتصادها. وهذا يعني أن لهذه الخطوة المهمة صلة وثيقة بالنقص المالي الذي تعرض له بيت المال أبان خلافة عبدالملك بن مروان⁽⁹⁶⁾.

وكان تنوع الدراهم واختلاف قيمتها، يؤثر في كمية ما تحصل عليه الدولة من أموال، فكان أرباب الخراج يؤدون ما عليهم من حقوق بيت المال بالدراهم الطبرية، التي كان وزنها أربعة دوانق ويحتفظون بالدراهم الوافية التي تزن ثمانية دوانق⁽⁹⁷⁾، وفي ذلك حيف وخسارة لبيت المال، وحينئذ أصبح من الضروري إيجاد نقود شرعية تستوفي بها الدولة حقوقها من خراج وجزية وترفع الغبن عن الناس الذي قد يتعرضون له من الدهاقين أثناء جبايتهم للضرائب.

كما أن الدولة بسيطرتها على دور الضرائب وإشرافها المباشر عليها تحصل على واردات إضافية ترفد بيت المال بموارد جديدة، إذ سمح الخليفة عبدالملك بن مروان للناس بضرب النقود داخل دور الضرب الحكومية⁽⁹⁸⁾ مقابل أجرة قدرها درهم واحد لكل (مئة) درهم⁽⁹⁹⁾، وبالتأكيد كان ما تحصل عليه الدولة كبيراً⁽¹⁰⁰⁾، لاسيما أن الاصلاح كان في مراحله الأولى، إذ أمر الخليفة عبدالملك بمنع التعامل بغير نقوده الجديدة ومعاقبة المخالفين⁽¹⁰¹⁾.

(96) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، (بيروت-1982م)، ص31-32.

(97) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص81.

(98) البلاذري، فتوح، ص454؛ قدامة، الخراج، ص59.

(99) المقرئزي، شذور، ص7-8؛ النقشبندی، الدينار، ص16.

(100) ويمكن استنتاج ذلك إذا علمنا أن وارد خزينة الدولة العباسية لسنة (306هـ) كان (60.370) ديناراً من دور الضرب في بغداد وسامراء والبصرة والكوفة. زيدان، تاريخ

التمدن، ج2، ص93.

(101) زيدان، تاريخ التمدن، ج2، ص112.

وكجزء من خطة الحجاج بن يوسف الثقفي في معالجة النقص المالي، قام بتخفيض عيار النقد إلى (10 / 7) مما كان عليه⁽¹⁰²⁾، فأدى ذلك إلى زيادة واردات بيت المال، وزيادة السيولة النقدية في الأسواق، وفي الوقت نفسه جُنب بيت المال من احتمال تعرضه لضائقة مالية محققة، بما جناه من فرق العملتين⁽¹⁰³⁾.

ولذلك فقد تعددت أنواع النقود، واختلفت أوزانها وأقيامها، ولا سيما الدراهم الساسانية، فقد ((كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم، فجاء الاسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة))⁽¹⁰⁴⁾، واستمرت احوال النقود بهذا الشكل، ((... إلى أن ضُربت الدراهم الاسلامية فتميز المغشوش من الخالص))⁽¹⁰⁵⁾، وأكد ذلك ابن خلدون⁽¹⁰⁶⁾ بقوله: ((... وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم... إلى أن تفاحش الغش في الدنانير والدراهم، وأمر عبد الملك الحجاج بضرب الدراهم))، وكذلك كثر انقاص وتزييف العملة وبالاخص الذهبية منها فأدى ذلك إلى نتائج اقتصادية سيئة منها: هبوط قيمة العملة، وارتفاع أسعار الحاجيات، وزوال الثقة المالية، ومن أهمها الغبن الذي يقع على الدولة في استيفاء حقوقها من الضرائب فيؤدي ذلك إلى نقص في موارد

(102) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص215، نقلا عن:

Walker:op. cit. vol. I.P. CXLVII.

(103) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص213.

(104) قدامة، الخراج، ص59؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص154.

(105) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص154.

(106) المقدمة، ص261.

الخراج⁽¹⁰⁷⁾، لذلك ((رأى عبدالمملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجارين في
معاملة المسلمين من الغش))⁽¹⁰⁸⁾.

وفي هذه الفترة بدأ النشاط المالي والتجاري يزداد، فالتسعت الحاجة إلى
مزيد من النقود في وقت كانت العلاقات التجارية مع البيزنطيين غير مستقرة،
فتنقطع اثناء الحروب وتقل النقود، ويؤكد ذلك البلاذري⁽¹⁰⁹⁾، إذ يقول:
((فمكثت حيناً لا تحمل إليهم)) أي أن كمية النقود المتداولة في الأسواق لم تعد
تناسب مع حاجة الدولة ومتطلبات النشاط التجاري والمالي فيها. فحيث
أصبحت الحاجة ملحة لضرب نقود خاصة بالدولة تسد الحاجة المتزايدة وتحقق
استقلالاً اقتصادياً يدعم الاستقلال السياسي للدولة الاموية فلا تبقى تدور في
فلك الاقتصاد الأجنبي معتمدة على عملة تكون عرضة للمؤثرات الاقتصادية
والسياسية، فوجد الخليفة عبدالمملك بن مروان أن ذلك لا يتحقق إلا بفك اقتصاد
الدولة وعزله عن الارتباطات الأجنبية.

2. الأسباب السياسية:

يمكن أن نحدد الأسباب السياسية على المستويين الخارجي والداخلي.
فعلى المستوى الخارجي ما يتعلق بالدولتين البيزنطية والساسانية اللتين كانتا
تحتلان أجزاء من الأراضي العربية، فدولة الفرس كانت قد انتهت على يد
العرب المسلمين، لكن بقي الدرهم يرمز إلى ذلك العهد البغيض، كما أن بعض

(107) الرئيس، ضياء الدين، عبدالمملك بن مروان موحد الدولة العربية، سلسلة أعلام
العرب، العدد (10)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،
(القاهرة - 1962م)، ص 279.

(108) ابن خلدون، المقدمة، ص 262.

(109) فتوح البلدان، ص 242.

دور السك، ما زالت تحت تأثير الدهاقين والمتنفذين من الفرس⁽¹¹⁰⁾، وهي كثيرة⁽¹¹¹⁾، وكانت تسك أعداداً كبيرة ومختلفة من الدراهم، وظلت شبه مستقلة، تؤثر في الاقتصاد العربي، فلا بد إذن من السيطرة عليها وإنهاء بقايا التأثيرات الفارسية، فنجح الخليفة عبد الملك بن مروان في ذلك بجهود أمير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي.

أما بالنسبة للدولة البيزنطية، فكانت هي المورد الرئيس للدنانير الذهبية، وكانت العلاقات العربية - البيزنطية، غير مستقرة، وأن تعامل الدولة العربية الإسلامية بهذه العملة قد يشير إلى نوع من التبعية وينقص من الكرامة الوطنية والقومية، حتى عدّ بعضهم ضربها حقاً لا يمكن المساس به، بل أن الامبراطور جستنيان الثاني عدّه من قبيل الخضوع له⁽¹¹²⁾، ولذلك فإن الاستقلال السياسي لا يكون تاماً إلاّ بإزالة كل مظهر من مظاهر التبعية الاقتصادية، أي أن هنالك أسباباً ومصالح اقتصادية وسياسية استدعت عملية الإصلاح والتعريب.

أما على المستوى الداخلي، فقد أراد الخليفة عبد الملك بن مروان اسدال الستار على ذلك الماضي المليء بالفتن والاضطرابات، فرغب في حصر حق ضرب النقود بالدولة وتحت إشرافه المباشر، بعد أن نجح في توحيد الدولة العربية الإسلامية، وكان قد اسهم في هذا الحق كثير من المتمردين والخارجين على

(110) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص 258-259. وللتفصيل عن مراكز السك الساسانية في العراق، ينظر: العلي، مراكز السك الساسانية في العراق، مجلة المسكوكات، العدد (3) لسنة 1972م، ص 18-20.

(111) محمد، فجر السكة، ص 36، حاشية رقم (2)، ويذكر أنها بلغت نحواً من (113) داراً.

(112) محمد، فجر السكة، ص 34، حاشية رقم (4)، وص 35، حاشية رقم (1).

الخلافة، منذ قيام الحرب الأهلية بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ⁽¹¹³⁾ . كما أن ضرب بعض ولاة الخلفاء نقوداً باسمائهم ⁽¹¹⁴⁾ ، قد يعطي معنى المساواة في المكانة السياسية واقتسام السلطة، فأراد الخليفة عبدالملك محو تلك الآثار بالغاء تلك النقود، ولهذا عندما شرع في الاصلاح، أكد ضرورة التعامل بنقوده الجديدة، وحذر من مغبة تداول النقود القديمة، فبطل التعامل بالنقود الفارسية والبيزنطية ⁽¹¹⁵⁾ ، وحصر الضرب بشخص الخليفة وجعله من حق الدولة فقط وتحت اشرافها ⁽¹¹⁶⁾ ، بوصفها وسيلة تعبر عن سيادة واستقلال الدولة العربية الاسلامية.

ثم إن هناك ظاهرة ميزت العصر الأموي عامة وعصر الخليفة عبدالملك خاصة، هي بروز الاتجاه القومي، والشروع في صبغ الدولة بالصبغة العربية وفق منهج اصلاحي وتنظيمي شامل في جميع المجالات الإدارية والمالية والاقتصادية والثقافية، والتي يمكن عدّها من الاصلاحات الجذرية الكبرى في التاريخ العربي الاسلامي.

3- الاسباب الدينية:

لقد كان للعوامل الدينية – الزكاة خاصة – اثر واضح في ضرب الخليفة عبدالملك لنقوده الجديدة وعلى الوزن الشرعي، فقد كانت الدراهم مختلفة

(113) محمد، فجر السكة، ص52، وينظر: ص28-31.

(114) ينظر: النقشبندی، الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني، ص70 فما بعدها.

(115) زيدان، التمدن الاسلامي، ج1، ص112.

(116) البلاذري، فتوح، ص455.

الأوزان والأقيام، مما يسبب اشكالات عند اخراج الزكاة، فيقول المقريري⁽¹¹⁷⁾ في ذلك: ((إن الذي دعا عبدالمملك إلى ما صنع من ذلك أن الدراهم كانت على وجه الدهر سوداء وافية، وطبرية عتقا، فلما نظر عبدالمملك إلى أمور الأمة، قال: إن هذه الدراهم تبقى مع الدهر، وقد جاء في الزكاة أن في كل (مئتين) أو في كل خمس أواق - خمسة دراهم، واشفق أن جعلها كلها على مثال السود العظام (مئتين) عدداً، يكون في ذلك بخساً للزكاة، وإن عملها كلها مثل الطبرية،... كان في ذلك حيف وشطط على رب المال، فاتخذ عبدالمملك منزلة بين منزلتين فيها كمال الزكاة، من غير بخس ولا إضرار بالناس مع موافقة ما سنه رسول الله ﷺ وحده من ذلك)).

وبذلك حلّ الخليفة عبدالمملك مشكلة فقهية ربما تُخلف اشكالات، قد تتضارب فيها الاجتهادات والآراء وتؤدي إلى مماطلة بعض الناس في أداء فريضة الزكاة، فضلاً عن كون هذه النقود فيها مظاهر دينية تختلف وتتعارض مع العقيدة الاسلامية منقوشة عليها، كالدراهم الفارسية، التي نقشت عليها صور معابد النار في المجوسية، وكذلك نقشت على الدنانير البيزنطية صوراً وكتابات تتعارض مع العقيدة الاسلامية أيضاً، يرى السيوطي⁽¹¹⁸⁾ بأن: ((سبب ضرب عبدالمملك للنقود أنه وجد دراهم ودنانير... مكتوب عليها باسم الأب والابن وروح القدس، فسكها عبدالمملك ونقش عليها اسم الله تعالى))، فكانت نقود عبدالمملك فيها ثلاث فضائل: كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم، وأنه عدل بين صغارها

(117) اغائة الامه بكشف الغمة، ص 55-56.

(118) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتاب العربي، ط 1، (القاهرة - 1967م)، ص 174.

وكبارها، وانها موافقة لسنة رسول الله ﷺ⁽¹¹⁹⁾، أي انه كان لعمل الخليفة عبدالملك هذا شأن في ارضاء الشعور الديني للناس⁽¹²⁰⁾. وبذلك يمكن أن يُعد عمل الخليفة هذا اصلاً جديراً حاسماً، لأنه حدد معياراً ثابتاً لكل من الدينار والدرهم بنسبة معينة وفق ما أقره الشرع.

4. الأسباب العمرانية:

أشار إلى هذه الأسباب ابن خلدون⁽¹²¹⁾، عندما بين بأن النقود تكثر عندما يعم العمران والاستقرار، وتحول الدولة من البداوة إلى التحضر والاستقرار، فتشعب المصالح وتزداد الثروة وتنتعش التجارة، فتصبح السلع الكمالية ضرورية لدى الناس، ويتوسع العمران وهكذا. وفي عهد الخليفة عبدالملك بدأت بوادر تطورات هائلة في مجالات الحياة الجديدة للدولة العربية، بزيادة مطردة في نفقات الدولة ومواردها، وتنظيم إداري وتخصص وظيفي، حدث عبر مراحل التطور الاقتصادي الكبير، كل هذه الأمور جعلت الحاجة إلى نقود عربية ماسة للغاية، وذلك لاكمال المتطلبات القومية التي استدعتها، ولتسهيل عمليات المبادلة الواسعة حجماً والمتزايدة قيمة باستمرار⁽¹²²⁾.

(119) المقرئزي، شذور، ص 8-9.

(120) ولهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية، ترجمة، محمد عبدالحادي أبو ريده، ط2، (القاهرة- 1968م)، ص 210.

(121) المقدمة، ص 261.

(122) الكبيسي، البعد القومي لعملية تعريب النقود، مجلة آداب المستنصرية، العدد (5) لسنة 1980م، ص 55.

ب- الاسباب المباشرة:

(العلاقات العربية – البيزنطية وحادثة القراطيس)

عندما تسنّم عبدالمملك بن مروان الخلافة سنة (65هـ / 684م)، كانت ظروف الدولة الداخلية والخارجية، غير مستقرة... يتهدها الروم البيزنطيون من الشمال، فرأى الخليفة عبدالمملك من الحكمة مهادنتهم، فصالحهم على مقدار من المال يؤديه إليهم⁽¹²³⁾،... وفي سنة (70هـ / 689م) استغل اعداء الدولة اضطراب احوالها الداخلية، ((فثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين، فصالح عبدالمملك ملك الروم على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار، خوفاً منه على المسلمين))⁽¹²⁴⁾، أما الجراجمة⁽¹²⁵⁾، فتمكن عبدالمملك من القضاء على خطرهم⁽¹²⁶⁾. وعلى الرغم من ثقل صلح عبدالمملك هذا مع الروم، فبالامكان عده من الخطوات الدبلوماسية الناجحة للخليفة⁽¹²⁷⁾، إذ تمكن من ابعاد الخطر البيزنطي عن حدوده إلى حين، ونجح في القضاء على خصومه السياسيين في

(123) البلاذري، فتوح، ص192، نبيه عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص121، خلافة بني امية، ص184-185.

(124) الطبري، تاريخ، ج5، ص2؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص77؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1، ص80.

(125) الجراجمة: نسبة إلى مدينة الجرجومة على جبل اللكام قرب انطاكية، وتُطلق عليهم المراجع الحديثة المردة، وكانوا عملاء للروم ((وكانوا يستقيمون للولاة مرة ويهوجون مرة أخرى)). البلاذري، فتوح، ص163-167؛ انساب الاشراف، ج5، ص299؛ كرد علي، خطط الشام، ج1، ص149-152؛ العدوي، الامبراطورية البيزنطية، ص58.

(126) للمزيد ينظر: البلاذري، فتوح، ص165.

(127) العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص185.

الداخل وإعادة وحدة الدولة، فانقلبت الموازين لصالح الخليفة عبد الملك بن مروان، وأخذ يعد العدة لمواجهة البيزنطيين، فعين أخاه (محمد بن مروان) والياً على الجزيرة وأرمينيا وقائداً للجيش الإسلامية لمواجهة الروم⁽¹²⁸⁾، ثم نقل بعض القبائل القيسية إلى الجزيرة⁽¹²⁹⁾ لتتولى مهمة الدفاع عن الثغور الإسلامية، وعندئذ تعزز مركزه فامتنع عن إرسال الأموال حسب اتفاق الصلح⁽¹³⁰⁾، إذ عد ذلك انتقاصاً من الدولة العربية الإسلامية وانتهاكاً لاستقلالها، مما أثار غضب الامبراطور جستنيان الثاني الذي وصف بالحمق والتهور⁽¹³¹⁾، فألغى الصلح، الأمر الذي جعل الخليفة عبد الملك بن مروان يعود إلى جهاد الروم، بعد فترة انقطاع امتدت زهاء خمسة عشر عاماً⁽¹³²⁾، فتجددت الحرب ثانية بين الطرفين⁽¹³³⁾.

يذكر عبدالرحمن فهمي محمد: ((أن ظهور الدنانير المصورة بصورة الخليفة عبد الملك بن مروان، كان مشار النزاع بين الطرفين، إذ عارض الامبراطور البيزنطي ظهور هذه الدنانير، مما أدى إلى فسخ المعاهدة مع الخليفة عبد الملك، لأن مقدار المال المتفق على دفعه سنوياً للدولة البيزنطية، لم يُدفع بسكة تحمل

(128) ابن خياط، تاريخ خليفة، ج1، ص267؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص186؛ ابن أعثم، الفتوح، ج6، ص294؛ ابن الكلبي، المثالب، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب/ جامعة بغداد، تحت رقم (205) ورقة رقم (53).

(129) The Encyclopaedia of Islam (New Edition), vol. 1. P.76.

(130) نبيه عاقل، خلافة بني أمية، ص185.

(131) الرئيس، الخراج، ص194، 197.

(132) ولهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص209؛ دكسن، د. عبدالأمير عبد حسين، الخلافة الأموية، (65-86هـ)، دار النهضة العربية، (بيروت-1973م)، ص41.

(133) ينظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص15.

صورة الامبراطور البيزنطي، وإثماً بسكة على طراز عربي إسلامي. ثم يقول أيضاً بأن محاولات الخليفة عبدالملك بن مروان لم تُفلح في اقناع الدولة البيزنطية بقبول سكتة الجديدة، وبذلك تجدد النزاع ثانية بين العرب والبيزنطيين⁽¹³⁴⁾.

ويبدو أن هذا الكلام غير دقيق للأسباب الآتية:

1. إن أقدم تاريخ لضرب الدنانير تذكره المصادر التاريخية هو سنة (74هـ / 693م)⁽¹³⁵⁾ مع العلم أن أقدم دينار عُرف حتى الآن يحمل الشارات الإسلامية، مع بقاء التأثيرات البيزنطية، يحتمل جداً أنه ضرب في بحر السنين (74 و 75هـ)⁽¹³⁶⁾، في حين أن أقدم الدنانير التي وصلت إلينا بطراز عربي إسلامي خالية من أية إشارات أجنبية تماماً، تحمل تاريخ الضرب سنة (77هـ / 696م)⁽¹³⁷⁾ لهذا عدّ هذا التاريخ هو تاريخ ضرب الدينار العربي الإسلامي على الطراز الخاص⁽¹³⁸⁾، أي أن أول ضرب لهذا الدينار كان بعد وقوع النزاع بين الطرفين بأربع سنوات.

2. تربط غالبية مصادرنا التاريخية ضرب النقود بمحاذة القرامطيس⁽¹³⁹⁾، وهذه الحادثة اقترنت بالحرب مع البيزنطيين سنة (73هـ / 692م)، أي أن الحرب

(134) محمد، فجر السكة، ص 47؛ النقود العربية ماضيها وحاضرها، ص 41-42؛ ينظر: E.I: (old. Edition) Vol. I. P. 48.

(135) ينظر: بدأ عملية الإصلاح والتعريب.

(136) النقشبندی، الدينار، ص 23.

(137) المصدر نفسه، ص 24-25؛ عيسى سلمان، درهم نادر للخليفة عبدالملك، ص 166؛ ينظر: مراحل إصلاح وتعريب الدينار.

(138) النقشبندی، الدينار، ص 19.

(139) ينظر: الأسباب المباشرة لضرب النقود.

وقعت قبل ضرب النقود وكانت السبب المباشر لضرب النقود العربية الإسلامية.

3. من المستبعد أن يرفض الامبراطور جستنيان الثاني تسلم دنانير ذهبية لمجرد اختلاف النقش بقيمتها بذهبها وليس بنقشها، خصوصاً أن وزنها كان وزن الدنانير البيزنطية نفسها.

4. من غير المعقول أن يحاول الخليفة عبدالملك بن مروان اقناع الامبراطور البيزنطي، بقبول ما فرض عليه من مال - نتيجة ظروف داخلية بالغة التعقيد - بأي سكة كانت، وقد خرج لتوه متصراً على منافسيه في الداخل، موحداً للدولة، ويتمتع بأعلى المعنويات.

5. إن الصراع العربي - البيزنطي، لم يكن وليد الساعة، بل وجد منذ زمن الرسول محمد ﷺ واستمر طيلة العصرين الراشدي والأموي حتى نهاية الدولة العباسية.

حادثة القراطيس:

ولعل من النتائج المهمة التي تمخضت عن سوء العلاقات بين الدولة العربية في العصر الأموي والبيزنطيين، هي حادثة القراطيس، التي زادت العلاقات سوءاً، لأنها اثارت الشعور الديني والقومي لمساسها بحيثيات الدين والمصلحة الاقتصادية⁽¹⁴⁰⁾. وقد عده مؤرخونا القدامى هذه الحادثة السبب الرئيس لضرب النقود، دون أن يربطوا الأسباب بأوليات الحوادث وتطوراتها، ونقل لنا البلاذري⁽¹⁴¹⁾ الحادثة قائلاً: ((كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من

(140) الكبيسي، البعد القومي، ص 72.

(141) فتوح، ص 241-242.

أرض مصر ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من ﴿ قل هو الله أحد ﴾⁽¹⁴²⁾... فكتب إليه ملك الروم إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه، فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه، فكبر ذلك في صدر عبد الملك، فكره أن يدع سنة حسنة سنّها، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية⁽¹⁴³⁾... وأشار عليه خالد بأن يضرب النقود. في حين أورد البيهقي أن الذي أشار على الخليفة عبد الملك بن مروان بضرب النقود، هو محمد بن علي بن الحسين (الباقر)⁽¹⁴⁴⁾، قائلاً له: ((... وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة التي وزن العشرة منها عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعاً واحد وعشرون مثقالاً فتجزئها من الثلاثين فتصير العدد من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة أو نقصان فتضرب الدنانير على وزن عشرة والدراهم على وزن سبعة مثاقيل))⁽¹⁴⁵⁾.

(142) سورة الاخلاص، الآية: 1.

(143) خالد بن يزيد بن معاوية: اشتهر بالعلم، خصوصاً الكيمياء والطب، له رسائل حسنة، كان يقول الشعر، (توفي سنة 85هـ/704م). ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص4-6؛ ابن عساكر، التاريخ الكبير، م5، ص116-120.

(144) الباقر: هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؑ، كان فقيهاً فاضلاً ثقة، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة المنورة سنة (56هـ/675م)، وقيل توفي سنة (114هـ/732م) أو بعدها بقليل. ابن حجر، تهذيب التهذيب، م9، ص350-352؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص109-112.

(145) البيهقي، المحاسن والمساوي، ص469. ذكرت المصادر الأخرى الحادثة باختلاف بسيط. ينظر: العسكري، الأوائل، ص205-206؛ ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج1، ص199؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص416-417؛ الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص71-73.

تؤكد لنا هذه الرواية عناية الخليفة عبدالمملك بن مروان بتعريب القراطيس ونجاحه في مسعاه، على الرغم من محاولة الامبراطور جستنيان الثاني أن يُثني الخليفة عن ذلك، بأن أرسل له الأموال الطائلة دون جدوى. كما تؤكد أيضاً العلاقات الطيبة والحسنة بين الدولة الأموية متمثلة بالخليفة عبدالمملك بن مروان وبين العلويين.

ويمكننا أن نستشف من هذه الروايات ما يأتي:

1- ان هذه الروايات قد لا تقترب كثيراً من الأسباب والدوافع الأصلية لاصلاح وتعريب النقود، بل كما أسميناها، فهي السبب المباشر، الذي دفع الخليفة عبدالمملك لضرب العملة الذهبية (الدينار) أولاً، ثم ضرب الدراهم الفضية بعد ذلك، لكون المشروع واحداً ولا ارتباط العملتين احدهما بالآخرى ولا اتصالهما العميق بالحياة الاقتصادية العربية، وتعلقهما بالاعتبارات الدينية، والبواعث القومية.

2- ذكر المؤرخون حادثة القراطيس، وكأنها وقعت مصادفة: ((... فمر به قرطاس فأمر بترجمته فأنكره))⁽¹⁴⁶⁾. ويمكن القول بأن الخليفة عبدالمملك بن مروان، ربما تعمد إيجاد هذه الحادثة، والتي تُظهر لنا مسألتين، الأولى، البدء بتعريب كل ما هو أجنبي، والثانية جعل الصراع مع البيزنطيين دينياً، عندما أبدل العبارات التي تنسب السيد المسيح إلى الربوبية، ووضع مكانها « قل هو الله أحد »⁽¹⁴⁷⁾، وبهذا الاتجاه يمكن تفسير استشارة الخليفة عبدالمملك بن

(146) البيهقي، المحاسن والمساوي، ص 467 ؛ الدميري، حياة الحيوان، ج 1، ص 71.

(147) البيهقي، المحاسن والمساوي، ص 467 ؛ الدميري، حياة الحيوان، ج 1، ص 71.

مروان لمحمد بن علي بن الحسين (الباقر)، أي أنه أراد حشد جهود كل أبناء الأمة لمواجهة البيزنطيين، فنجح في ذلك.

وهكذا يجيء العامل المباشر - بما يحمله من أبعاد دينية تجاه البيزنطيين، وروح قومية تجاه الفرس - مكملًا للدوافع غير المباشرة ليخرج نظاماً نقدياً عربياً إسلامياً أصيلاً، خالياً من التأثيرات الأجنبية.

2- بدء عملية الإصلاح والتعريب:

تُجمع المصادر الأولية المعتمدة على أن الخليفة عبد الملك بن مروان، هو أول من ضرب النقود العربية الإسلامية على الطراز الخاص⁽¹⁴⁸⁾، وأنه أول من أوجد النقد القومي العربي، بخصائصه المميزة، للدولة العربية الإسلامية، وكتب لعمله هذا الاستقرار والبقاء، لأنه قام على أسس عملية ناجحة. ولكن يختلف المؤرخون في تاريخ بدء الإصلاح والتعريب، وينحصر هذا الاختلاف في رواياتنا بين سنة (74-77هـ / 693-696م).

(148) ابن سعد، الطبقات، م5، ص229؛ ابن قتيبة، المعارف، ص242؛ البلاذري، فتوح، ص453-455؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص361؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص83؛ ابن رسته، العلاقات النفيسة، ص192؛ الثعالي، لطائف المعارف، ص18؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص154؛ ابن الأخوة، معالم القرية، ص82؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص418؛ ابن الرفعة، الإيضاح والتبيان، ص52؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص89؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ج2، ص139؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص217؛ القرمانلي، أخبار الدول وآثار الأول، (بيروت - 1978م)، ص133.

روى البلاذري⁽¹⁴⁹⁾ عن ابن سعد قائلاً: ((إن عبد الملك أول من ضرب الذهب... سنة 74هـ / 693م))، وأيد ذلك داود الناقد قائلاً: ((ضرب عبد الملك شيئاً من الدنانير سنة (74هـ / 693م))⁽¹⁵⁰⁾.

بينما ذكرت مصادر أخرى أن الخليفة عبد الملك بن مروان ضرب الدنانير والدرهم سنة (75هـ / 694م)⁽¹⁵¹⁾ في حين أوردت مصادر ثلاثة أن الضرب كان سنة (76هـ / 695م)⁽¹⁵²⁾.

أما ضرب الدرهم فقد بدأ في العراق على يد الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق (75-95هـ / 694-713م)، وبأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان⁽¹⁵³⁾، روى سعيد بن المسيب: ((أن عبد الملك بن مروان أمر الحجاج أن

(149) فتوح البلدان، ص 453، 455.

(150) البلاذري، فتوح، ص 454؛ الماوردي، الأحكام، ص 154؛ أبو يعلى، الأحكام، ص 164؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص 82؛ ابن الرفعة، الإيضاح والبيان، ص 52.

(151) ابن سعد، الطبقات، م 5، ص 229؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب - جامعة بغداد، تحت رقم (1282)، ج 12، ورقة (31ب)؛ ابن الجوزي، المنتظم، مخطوطة محفوظة في المجمع العلمي العراقي، برقم (1128)، ج 6، ورقة (64 أ)؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 217؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج 2، ص 310.

(152) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 316؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 83؛ ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 416؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص 89؛ المقرئ، اغاثة الامة، ص 53؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 176؛ الدويهي، تاريخ المسلمين، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب - جامعة بغداد، تحت رقم (13)، ورقة (21).

(153) ابن خلدون، المقدمة، ص 261؛ المقرئ، شذور، ص 6.

يضرب الدراهم في العراق فضربها سنة 74هـ)⁽¹⁵⁴⁾، وهذه الرواية يصعب الأخذ بها، وذلك لأن الحجاج لم يكن أصلاً قد عُين أميراً على العراق في التاريخ المشار إليه آنفاً، أما المدائني فيقول: ((ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة 75هـ)، ثم أمر بضربها في جميع النواحي سنة 76هـ / 695م))⁽¹⁵⁵⁾.

وأرجح أن سنة (74هـ / 693م)، هي السنة التي بدأ فيها الخليفة عبد الملك بن مروان ضرب الدنانير، وأن ضرب الدراهم بدأ سنة 75هـ، وعمم على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 76هـ)، للأسباب الآتية:

1. تُشير أكثر رواياتنا التاريخية إلى أن سنة 74هـ هي بداية الإصلاح والتعريب⁽¹⁵⁶⁾ لاسيما روايات البلاذري، التي هي جديرة بالثقة، أما ما ذكره الطبري⁽¹⁵⁷⁾ من أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر بضرب الدراهم والدنانير عام 76هـ / 695م، فهو محمول على أن المراد تعميمها، وليس البدء في ضربها، ولا سيما أن روايته تتفق في أسنادها مع إحدى روايات البلاذري فلا يناقض الرواة أنفسهم⁽¹⁵⁸⁾.

2. إنَّ عام (74هـ / 693م) هو العام الذي يلي وقوع الحرب بين الدولة العربية الإسلامية والدولة البيزنطية، مما دعا العرب المسلمين إلى العمل على وضع

(154) الماوردي، الأحكام، ص 154؛ أبو يعلي، الأحكام، ص 164؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 261.

(155) البلاذري، فتوح، ص 453؛ الماوردي، الأحكام، ص 154؛ أبو يعلي، الأحكام، ص 164؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 261.

(156) ينظر: بدء عملية الإصلاح والتعريب، ص 43 هامش رقم (1) و (2).

(157) تاريخ، ج 5، ص 83.

(158) الكبيسي، البعد القومي، ص 68-69.

عملة خاصة بهم. فقد أكد أغلب مؤرخينا ذلك عندما ربطوا بين سوء العلاقات وضرب النقود.

3. إن أقدم الدنانير المعروفة حتى الآن، والتي تحمل الشارات الاسلامية وتمثل المرحلة الأولى للتعريب يرجح أنها ضُربت في سنة (74هـ) أو (75هـ)⁽¹⁵⁹⁾. وأن أقدم الدراهم تحمل الشارات الاسلامية ومصورة (بصورة) تمثل الخليفة عبدالملك ابن مروان ضُربت سنة (75هـ)⁽¹⁶⁰⁾.

وبهذا يظهر أن ما أوردته دائرة المعارف الاسلامية بقولها⁽¹⁶¹⁾: ((وقد أجمع المحدثون على أن الاصلاح الذي ادخله الخليفة عبدالملك بن مروان سنة (77هـ / 696م) لم يمس معيار العملة الذهبية))، غير دقيق، إذ أن المؤرخين لم يُجمعوا على أن سنة (77هـ) سنة للضرب، وإن أجمعوا على أن الاصلاح لم يمس معيار العملة. ثم إن عدم عثورنا على نقود عربية اسلامية ضربت قبل عام (77هـ) لا يعني بالضرورة أن هذه النقود لم تُضرب قبل هذا التاريخ، ذلك أن من المحتمل أن الأيام القادمة قد تكشف عن نقود يعود تاريخ ضربها إلى وقت أقدم مما ورد في دائرة المعارف الاسلامية.

(159) النقشبندی، الدينار، ص 23 ؛ للتفصيل ينظر: مراحل الاصلاح والتعريب.

(160) النقشبندی، الدرهم الاسلامي، ص 58 ؛ عيسى سليمان، درهم نادر للخليفة

عبدالملك بن مروان، ص 163 وما بعدها.

(161) مادة دينار، م 9، ص 370.

3- مراحل الاصلاح والتعريب:

أ- مراحل اصلاح وتعريب الدينار:

بعد توحيد الدولة العربية الاسلامية على يد الخليفة عبدالملك بن مروان عام الجماعة (73هـ/692م) أصبحت الظروف مواتية لوضع نظام نقدي موحد للدولة العربية الاسلامية، فبدأ الخليفة عبدالملك باصلاح وتعريب النقود سنة (74هـ/693م)، واستكملها سنة (78هـ/697م)، وقد مرّ اصلاح وتعريب النقود عبر مراحل لم يكن منها بد ولا عنها مندوحة، أي ان الاصلاح والتعريب تدرج مع الزمن، ويمكن متابعة هذه المراحل من خلال ما عرف من نقود ضربت ضمن مرحلة الاصلاح والتعريب.

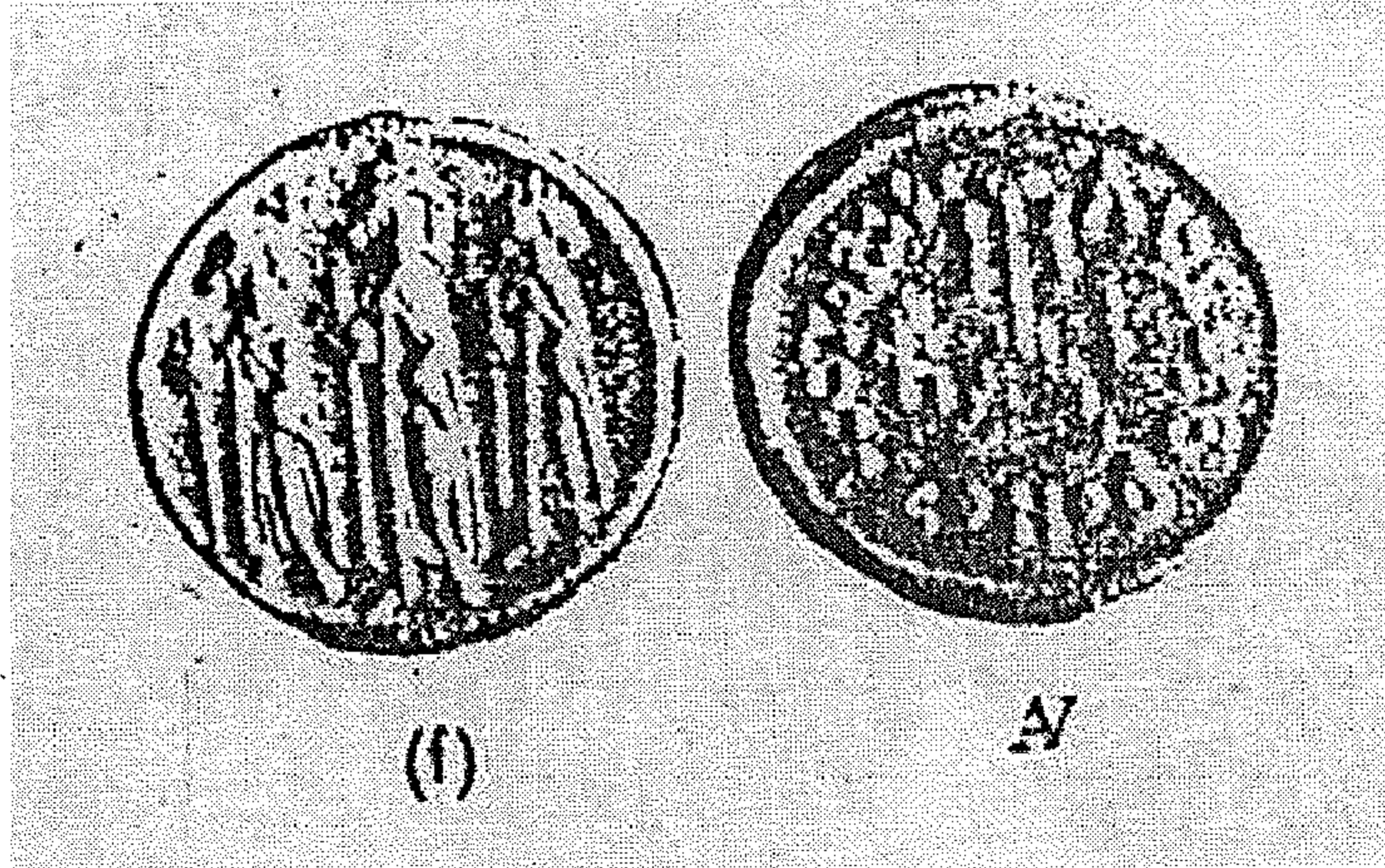
سار الخليفة عبدالملك بن مروان في تعريبه للدينار أول الأمر على طراز النقود النحاسية لهرقل وولديه مما كان يضرب في الاسكندرية وعليها الحرفان (I.B) ولا تحمل تاريخ⁽¹⁶²⁾.

وقبل وصف مراحل تعريب الدينار من المستحسن أن نصف الدينار البيزنطي لكي نستطيع تتبع خطوات الخليفة عبدالملك بن مروان في وضعه للدينار العربي الاسلامي الخاص.

(162) النقشبندي، الدينار، ص 23. و ((يعتقد النقشبندي أن حرفي (I.B) يعنيان (12) وحدة فلسية (نمي)، حيث أن السوليدس الذهب يساوي (2000) نمي. وقد ناقش (Walker) ذلك فيقول: ان الحرفين (I.B) مجرد تقليد للرموز البيزنطية السابقة.

Walker: op. cit. vol. 2. p. Xcviii.

وللتفصيل في معرفة آراء المختصين ومناقشتها. ينظر: النقشبندي، الدينار، ص 21-23.



الشكل (1)

دينار بيزنطي خالص

الوجه (F)

صورة الامبراطور هرقل وعلى يمينه، ابنه هرقل قسطنطين، وعلى اليسار ابنه هراقلوناس وعلى رأس كل واحد منهم تاج يعلوه صليب وبأيمانهم العصا المطرانية يعلوه صليب فوقه كرة ويحيط بهذه الصورة دائرة خارجية.

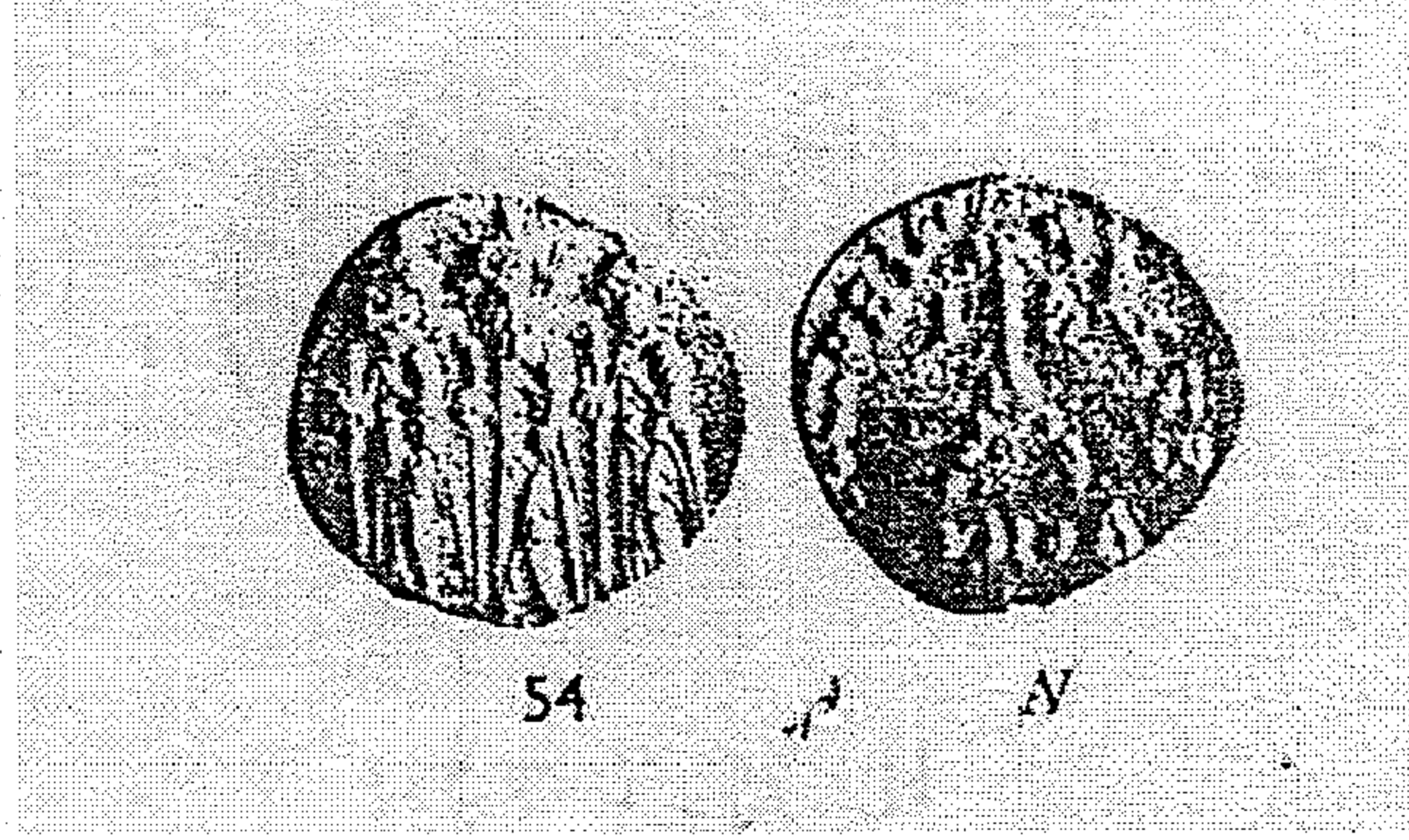
الظهر (N)

صليب مرسوم على ثلاث مدرجات وحول الصليب عبارات دعائية مدونة باليونانية وبعكس اتجاه عقرب الساعة، وتوجد على يمين ويسار الصليب، علامة السك، واسفل الصليب الحروف الأولى من اسم دار السك (القسطنطينية) ويحيط بالنقوش من الخارج دائرة⁽¹⁶³⁾. ينظر الشكل (1).

(163) Walker: op. cit. vol. 2. p. 17. pl. V. No. F.

المرحلة الأولى⁽¹⁶⁴⁾:

ضرب الخليفة عبد الملك في هذه المرحلة الدينار على شكل نقد النحاس المرسوم (I.B). واصبحت أوصافه هي الآتي:



الشكل (2) دينار عربي بتأثيرات بيزنطية

الوجه:

أبقى صورة الامبراطور مع ولديه كما هي، ولكن حذف رؤوس الصليبان، فلا أثر لها، وأصبح الصليب يشبه حرف (T).

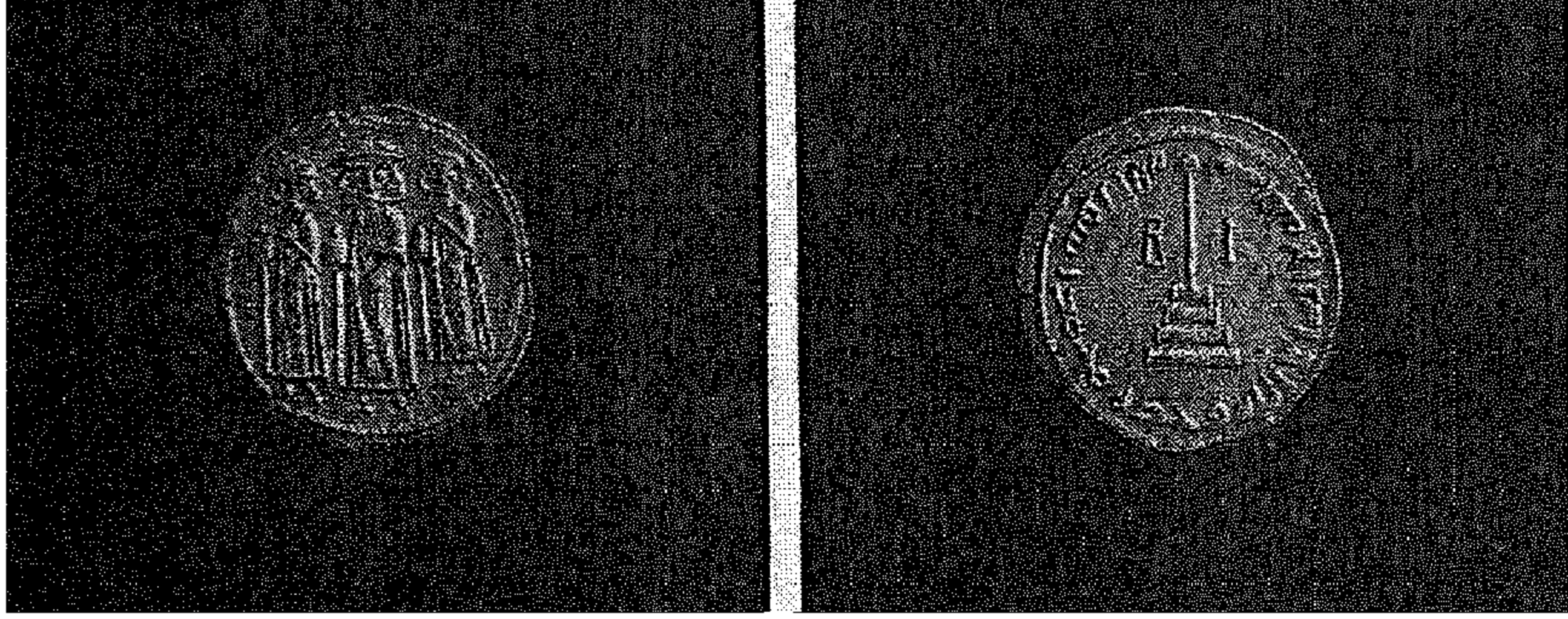
الظهر:

غير شكل الصليب القائم على المدرجات الثلاثة وأصبح يشبه حرف (T)، والعبارات الدعائية بقيت كما هي في الشكل (1) ووضع حرف (I) على اليسار وحرف (B) على اليمين، واسم مدينة الضرب بقي كما هو في الشكل (1).

(164)Walker: op. cit. vol. 2. p. 18. pl. V. No. 54.

المرحلة الثانية⁽¹⁶⁵⁾:

يعد هذا الدينار أول دينار عرف يحمل الشارات الاسلامية، وهو بلا تاريخ ويحتمل جداً أنه ضُرب في بحر السنتين (74 و 75هـ)، وهذا وصفه⁽¹⁶⁶⁾. ينظر الشكل (3).



الشكل (3) دينار عربي بتأثيرات بيزنطية

الوجه:

أبقى الخليفة عبد الملك صورة الامبراطور وولديه كما هي، إلا أنه غير آثار الصليبان على العصي، وجعلها على شكل كرات.

الظهر:

- المركز: جعل رأس العمود القائم على المدرجات الثلاث على شكل كرة، وجعل حرف (I) على اليمين وحرف (B) على اليسار.

(165) النقشبندي، الدينار، ص 25 ؛

Walker: op. cit. p. 18.

(166) النقشبندي، الدينار، ص 23 ؛

Walker: op. cit. p. 18. pl. V. No. (B.2). ;

محمد، فجر السكة، ص 287.

- الطوق: كتب حول القائم عبارات عربية وبالخَط الكوفي البارز تدور في اتجاه عقرب الساعة نصها ((بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله)).

وعَدَ النقشبندي وضع الحرفين (B.I) زخرفة لا أكثر ولا أقل⁽¹⁶⁷⁾، أي أن الخليفة عبد الملك عمل ذلك لاجل إيجاد شكل يخالف النقود البيزنطية، ولتهيئة الأجواء لقبول نقوده الجديدة.

المرحلة الثالثة⁽¹⁶⁸⁾:

في هذه المرحلة رفعت صورة الامبراطور البيزنطي وأولاده، ووضعت مكانها صورة تمثل الخليفة عبد الملك بن مروان ويمثل ذلك تطوراً خطيراً، وخطوة حاسمة في سبيل تعريب الدينار لأنها كانت في حقيقتها ثورة على نظام السكة القديمة لاختصاصها لمبدأ التعريب الذي حققه الخليفة عبد الملك بن مروان في جميع الميادين.

والدينار رقم (P.13) مضروب سنة (76هـ). والدينار رقم (P.14) مضروب سنة (77هـ)⁽¹⁶⁹⁾.

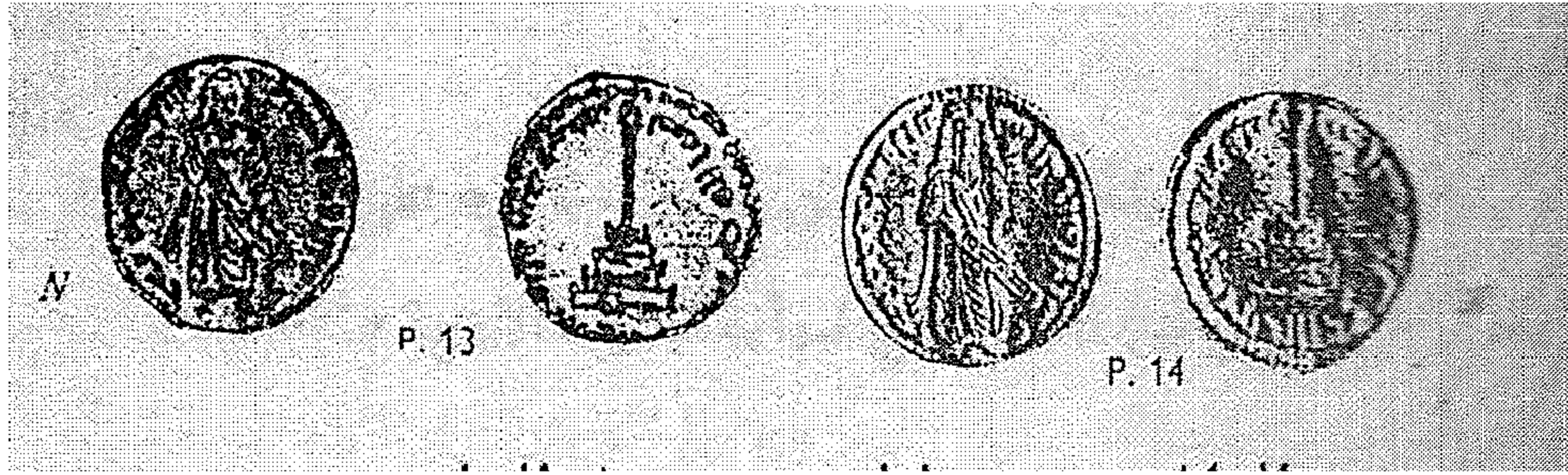
(167) النقشبندي، الدينار، ص 23.

(168) النقشبندي، الدينار، ص 23-25 ؛

Walker: op. cit. p. 42. pl. Viii. No. (p.13),(p.14). ;

محمد، فجر السكة، ص 43-44، 287-288.

(169) ان عدم وضوح الصورة في ديناري الشكل (4)، يبدو انه راجع الى أن رقم (P.13) مضروب بقالب مصبوب صباً، أما الآخر فمضروب بقالب محفور حفرأ مباشراً، إذ أن طريقة الضرب بالقوالب المحفورة ظهرت منذ سنة (76هـ). ينظر: ابن بكرة، كشف الاسرار العلمية، ص 13.



الشكل (4) ديناران بصورة تمثل الخليفة عبد الملك بن مروان

وأصبحت أوصافه هي الآتي:

الوجه:

المركز: صورة تمثل الخليفة عبد الملك بن مروان، قائماً مواجهاً، وهو حاسر الرأس، مفروق الشعر من الوسط، ويتدلى شعره على كتفيه، وله لحية مطلقة، ويلبس عباءة، ممسكاً سيفاً بيده اليمنى، وهو علامة الامامة عند المسلمين.

الطوق: حول الصورة عبارة عربية بالخط الكوفي البارز تدور باتجاه عقرب الساعة نصها: بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله.

الظهر:

- المركز: أبقى العمود القائم على المدرجات كما هو، ورفع حرف (B.1) إذ لا معنى لبقائهما.

- الطوق: كتابة عربية بالخط الكوفي البارز تدور في اتجاه عقرب الساعة نصها: (بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ستة وسبعين)، وتُحيط بالكتابة دائرة خارجية. ينظر: الشكل (4) صورة (P.13).

المرحلة الأخيرة:

في أواخر سنة (77هـ)⁽¹⁷⁰⁾، ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان دنانيره على الطراز العربي الاسلامي المستقل تماماً، واستمر على ذلك حتى نهاية الدولة الأموية.

وأصبح يكتب عليها النصوص الآتية. ينظر الشكل (5)

الوجه:

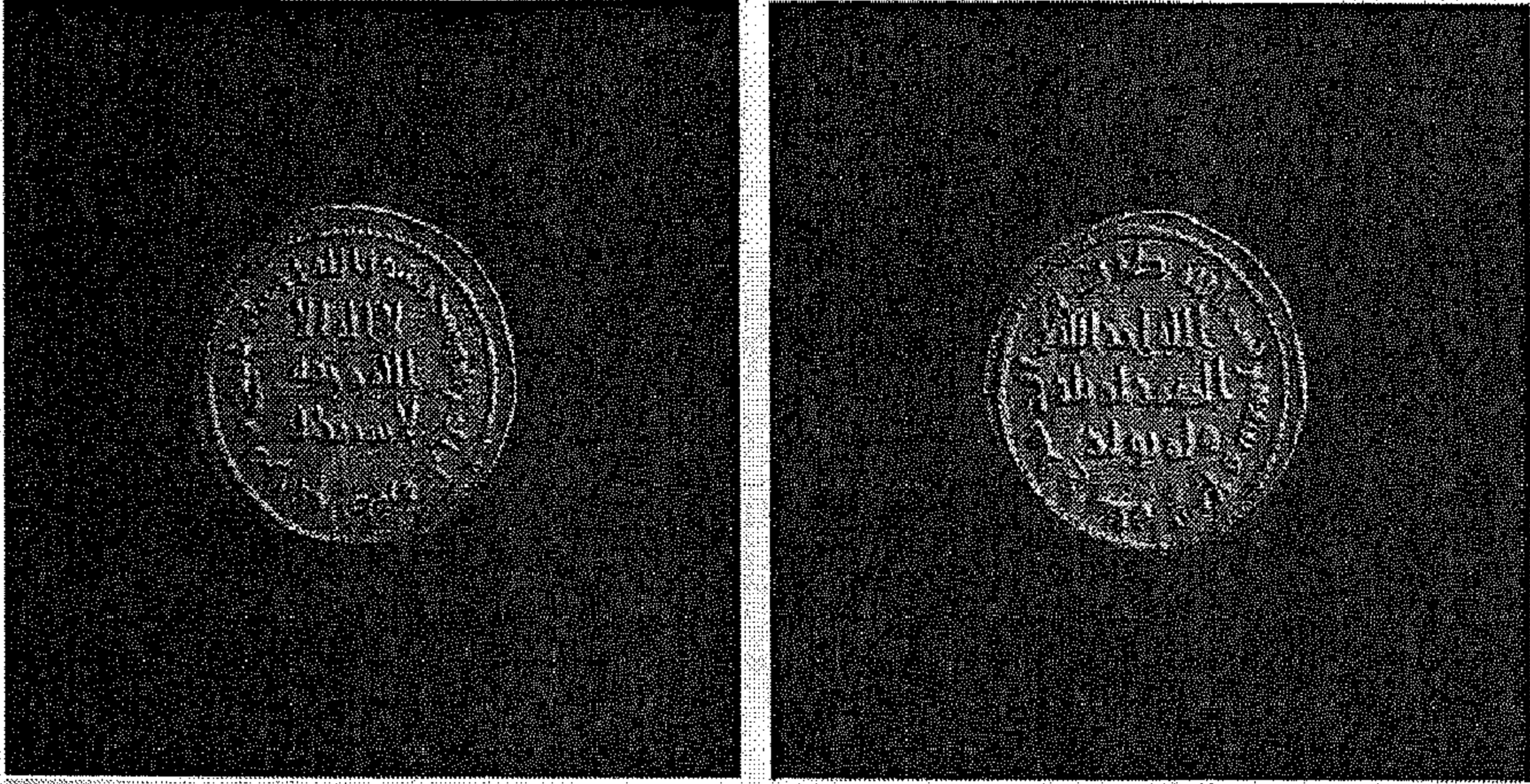
- المركز: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد.
- الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة...

الظهر:

- المركز: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
- الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

(170) نشر باحث أردني هو (فرح معاينة) مقالة عن (لقية اورف) قال بأن هناك دينارين ضمن هذه اللقية مؤرخين سنة (73هـ)، وهما على الطراز العربي الاسلامي الخالص. وهذه المسألة لا تتفق وأقوال المؤرخين، ومكتشفات الآثاريين حتى الآن، ولذلك يبدو أن تاريخ ضربها غير صحيح.

Maaya, Farah's: Ahoard of ommayad dinars from ORIF , Annual. Dept. Antiq. Jordan. 1962. P. 76.



الشكل (5) دينار عربي خالص

ب - مراحل اصلاح وتعريب الدرهم:

يبدو أن تطور الدرهم كان أكثر تعقيداً من الدينار بسبب كثرة عدد الأنواع التي صدرت ضمن مراحل الاصلاح والتعريب، وكذلك تعدد مراكز الاصدار، والتي لم تكن السيطرة والاشراف عليها دقيقين، حتى أنه في بعض الأحيان، تصدر هذه الدور العملة النقدية العربية ذات التأثيرات الاجنبية، بعد أن تركتها المراكز المجاورة⁽¹⁷¹⁾. وهذا يعني أن قرار الاصلاح والتعريب لم يبدأ تطبيقه في كل أنحاء الدولة في فترة زمنية واحدة، بالالتزام نفسه، وربما كان هذا من جملة اسباب تأخر اصلاح وتعريب الدرهم عن الدينار.

ومن غير شك فإن الدرهم مرّ بمراحل شأنه في ذلك شأن الدينار، إلا أننا لا يمكن أن نحدد تلك المراحل بدقة، وذلك لقلة ما لدينا من دراهم تمثل مرحلة ما قبل التعريب النهائي سنة (78هـ)⁽¹⁷²⁾.

(171) JESHO: P.244-245.

(172) د. عيسى سلمان، اقدم درهم معرب، مجلة سومر، م27، لسنة 1971، ص148.

ومع ذلك يمكن تحديد هذه المراحل من خلال ما عثر عليه حتى الآن من دراهم ضربت في هذه المرحلة.

المرحلة الأولى:

في هذه المرحلة ضرب الخليفة عبدالملك بن مروان دراهمه على طراز الدرهم الساساني، وهو باسم كسرى الثاني، وكتب على طوق هذا الدرهم بالحروف العربية الكوفية: ((بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله))، ومكتوب بالحروف الكوفية أيضاً مكان الضرب وهو مدينة دمشق، ومؤرخ سنة (692/هـ 73 م)، (693/هـ 74 م)⁽¹⁷³⁾.

المرحلة الثانية:

قام الخليفة عبدالملك بن مروان في هذه المرحلة بنقش صورة تمثله على وجه الدرهم وكتب بجاني الصورة (أمير المؤمنين خلفت الله) باللغة العربية وبالخط الكوفي، وكتب على الوجه الآخر، ضرب سنة (694/هـ 75 م)، وهذا الدرهم نادر جداً⁽¹⁷⁴⁾، وأوصافه هي:

الوجه:

- المركز: صورة كسرى الثاني، ضرب في سنة خمسة وسبعين.

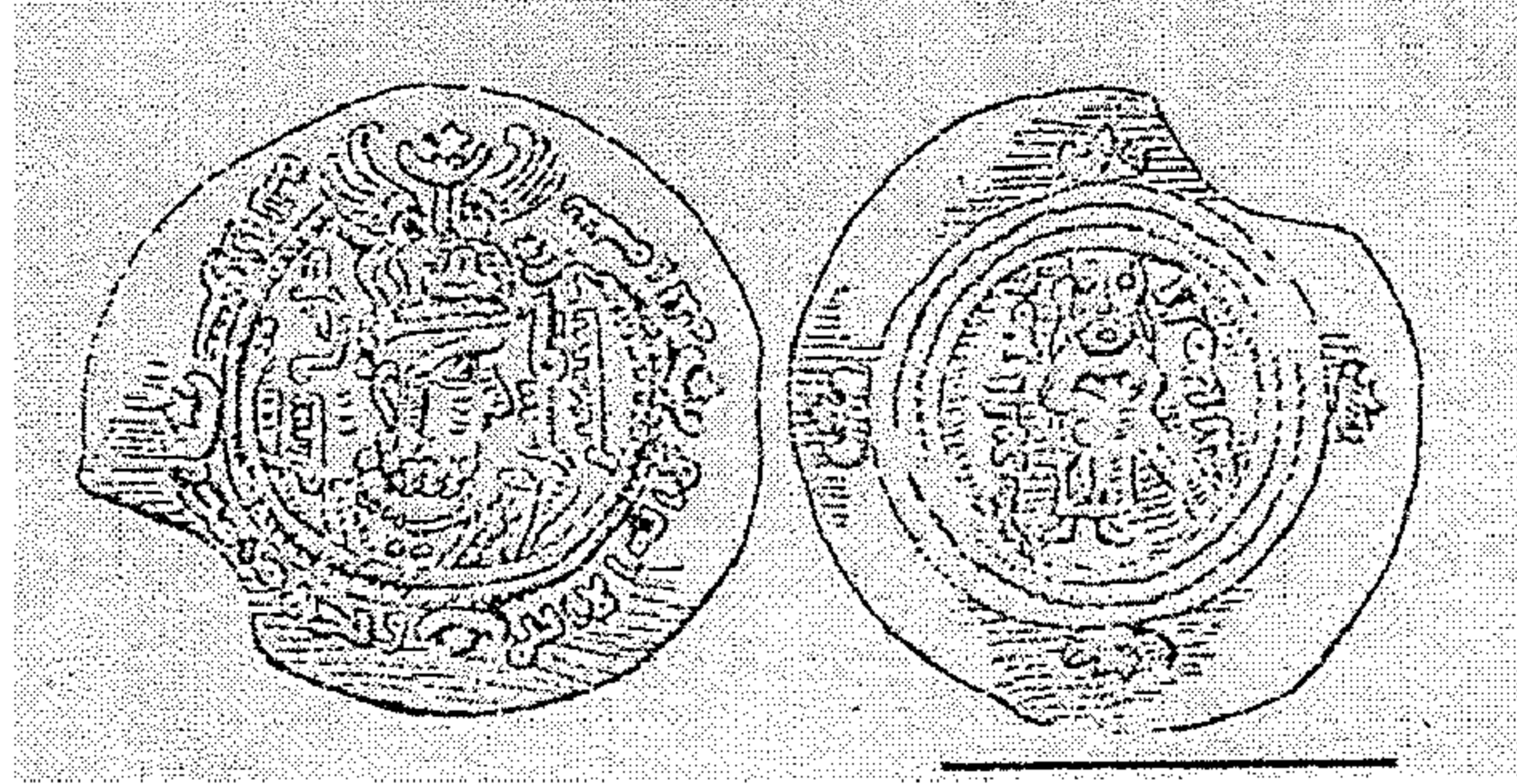
(173) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص 23، 58.

(174) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص 23، 58؛ وهو درهم المتحف التاريخي في موسكو. ومن الجدير بالذكر ان مديرية الاثار العامة العراقية اقتنت في شهر (نيسان - 1971م) درهماً نقش على صورة تمثل الخليفة عبدالملك بن مروان، وتاريخ الضرب هو سنة (694/هـ 75 م)، وهو ثاني نسخة في العالم. ينظر: د. عيسى سلمان، درهم نادر، مجلة سومر، م 26، ج 1، 2، لسنة 1970 م.

- الطوق: بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله.

الظهر:

- المركز: صورة (تمثل الخليفة عبد الملك) مكتوب على جانبيها، أمير المؤمنين - خلفت الله⁽¹⁷⁵⁾.



شكل (6) درهم عربي بتأثيرات أجنبية

ثم جاءت بعد ذلك المرحلة النهائية التي ضربت الدراهم فيها على الطراز العربي الإسلامي الخاص ومنذ سنة (78هـ/697م) ولا تحمل إلا نصوصاً عربية إسلامية وبخط كوفي⁽¹⁷⁶⁾. ينظر الشكل (8).

ج- اصلاح وتعريب الفلاس:

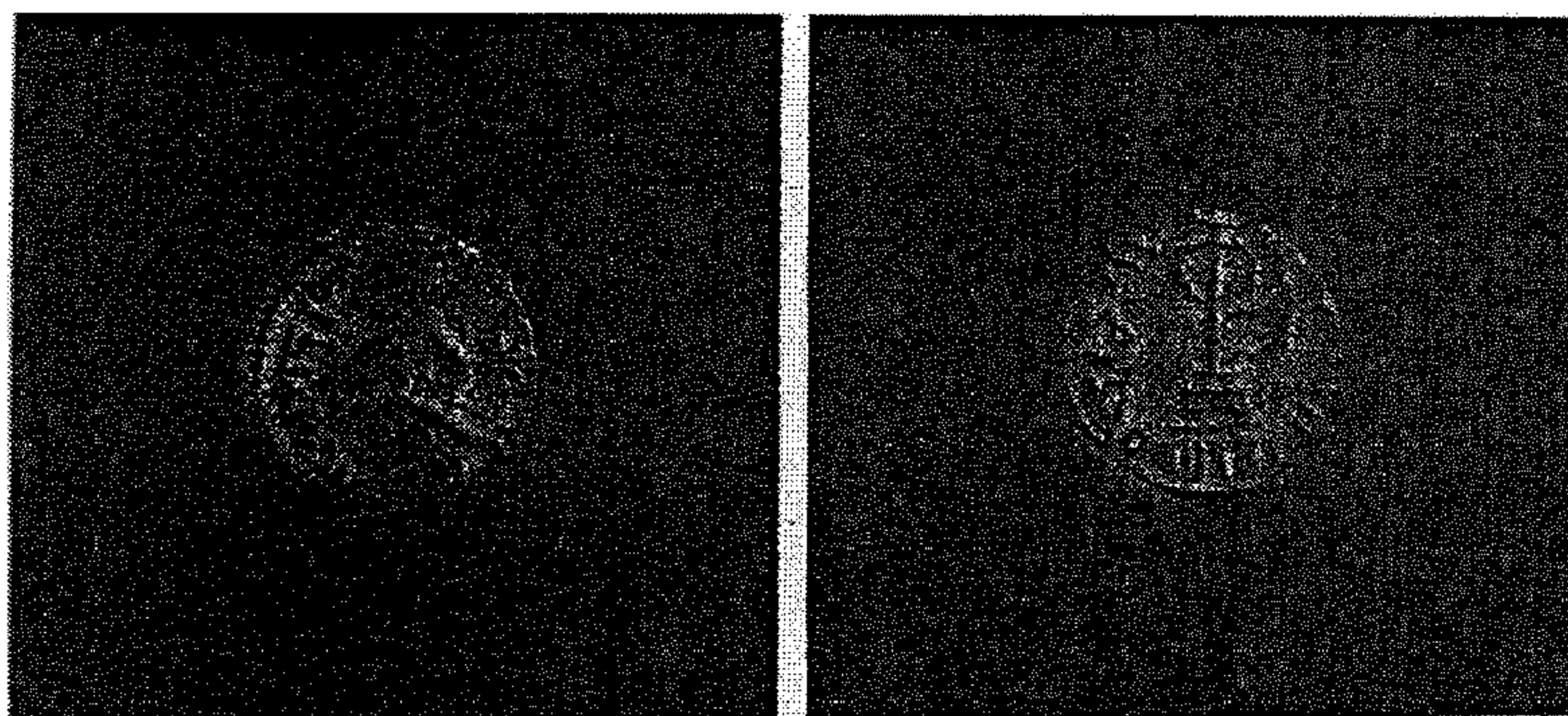
يمكن القول بان التطور الذي حدث في الدينار والدرهم هو نفسه الذي حدث في ضرب السكة النحاسية ولكن ليس بالامكان تحديد مراحل تعريبها بدقة، ومع ذلك وصلت الينا فلوس عليها صورة تمثل الخليفة عبد الملك بن

(175) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص 23، 58؛ د. عيسى سلمان، درهم نادر للخليفة عبد الملك، ص 163.

(176) د. عيسى سلمان، اقدم درهم معرب، ص 148.

مروان بطراز عربي - بيزنطي وعليها كلمات وعبارات اسلامية مختلفة، وبعضها يحمل اسم الخليفة عبدالملك

وصفته⁽¹⁷⁷⁾. ينظر الشكل (7).



الشكل (7) فلس عربي - بيزنطي

وهذه صفته:

- **الوجه:** صورة تمثل الخليفة عبدالملك وهو واقف، حاسر الرأس مكتوب حولها: (لعبدالله عبدالملك أمير المؤمنين).

- **الظهر:** شكل محور للصليب، محوط بكتابة نصها (لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) بجمص.

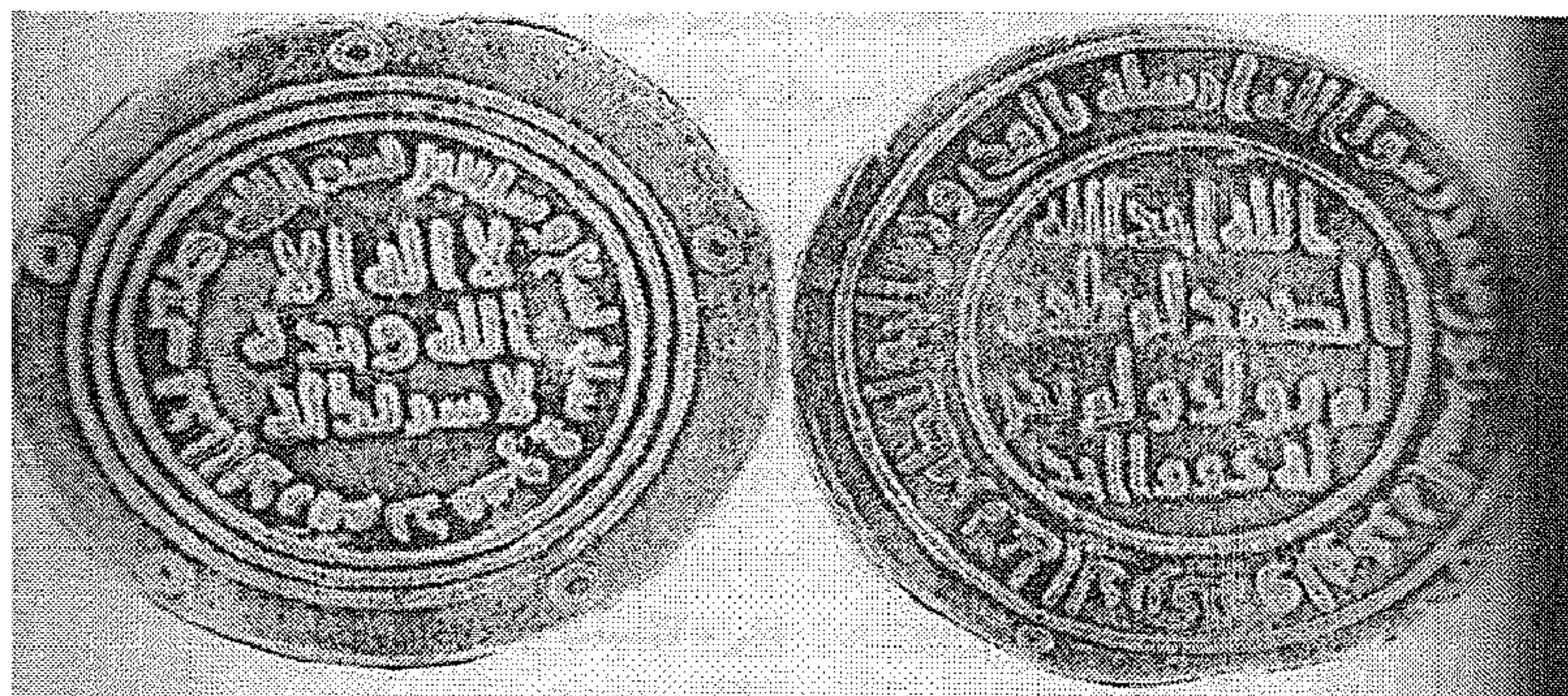
ويذكر أن المتحف العراقي يمتلك مجموعة من هذه الفلوس⁽¹⁷⁸⁾.

(177) محمد، فجر السكة، ص 404-405 ؛

Walker: Op.cit. vol. 2. P. 32-42.

(178) د. عيسى سلمان، المسكوكات المصورة في مجموعة عبدالله شكر الصراف، مجلة المسكوكات، العدد (2)، (بغداد - 1969م)، ص 17.

أما النماذج المضروبة على الطراز الاسلامي الخاص فلم تصل إلينا إلا في سنة (90هـ / 708م) فما بعد⁽¹⁷⁹⁾.



الشكل (8) درهم عربي مضروب على الطراز الخاص

الوجه:

- المركز: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.
- الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الظهر:

- المركز: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
 - الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق في سنة تسعاً وسبعين⁽¹⁸⁰⁾.
- وهناك مسألة ترتبط بمراحل اصلاح وتعريب النقود، هي:

(179) Walker: Op.cit. vol. 2. P. IXvii , 289-293.

(180) وبذلك يظهر أن ما قالته دائرة المعارف الاسلامية، م9 (مادة درهم): ((وترجع اقدم الدراهم الاسلامية الخالصة... الى عام (75هـ / 694م) لم يثبت حتى الان)).

مسألة نقش الصورة على الدنانير والدراهم والفلوس قبل ضربها بشكل نهائي على الطراز الخاص.

وقد نوقشت مسألة نقش الصورة على نقود الخليفة عبدالملك من عدة أوجه، فيقول الدكتور عبدالرحمن فهمي محمد: ((إن كراهية الاسلام للسكة المصورة لم تكن حقيقة واقعة بدليل تعامل الرسول محمد ﷺ بها... وان هذه الصورة هي صورة شخصية للخليفة عبدالملك بن مروان، يظهر وهو واقف يحمل السيف يمينه... وتغطي رأسه ملحفة (كوفية)... وللخليفة حية طويلة أطلقها لتتفق وتعاليم السنة النبوية))⁽¹⁸¹⁾.

وأرى أن ما قاله الدكتور محمد فيه نظر، للأسباب الآتية:

1. لقد ناقش عدد من الباحثين⁽¹⁸²⁾ مسألة كراهية الاسلام للتصوير، ولا نريد ذكر التفاصيل، بل نقول أن الشرع نهى عن الصور⁽¹⁸³⁾، على أقل تقدير في صدر الاسلام، فقد حطم الرسول محمد ﷺ الأصنام وأحرق الرسوم في الكعبة، لذلك أنكر بعض الصحابة في المدينة نقود الخليفة عبدالملك ذات الصورة، عند قدومها عليهم، فيقول المقرئزي⁽¹⁸⁴⁾: ((... فلم ينكروا منها سوى نقشها فإن فيها صورة))، ولم يذكر المؤرخون أن هذه صورة للخليفة عبدالملك بل هي مجرد (صورة).

(181) فجر السكة العربية، ص 44-46.

(182) ينظر: باشا، أحمد تيمور، التصوير عند العرب، اخراج وتعليق، زكي محمد حسن، مط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة - 1942م)، ص 117 فما بعد.

(183) ابن خلدون، المقدمة، ص 262؛ المقرئزي، شذور، ص 6؛ مجهول، رسالة في الاموال، ورقة (45 ب).

(184) شذور، ص 6.

2. ان تعامل الرسول محمد ﷺ بالسكة المصورة، لا يُعد دليلاً كافياً على عدم كراهية التصوير في الاسلام، ذلك أن تعامل الرسول محمد ﷺ والمسلمين بهذه النقود، كان على أساس الوزن وليس العدد⁽¹⁸⁵⁾، أو النقش، فقيمة النقود في وزنها وليس في شكلها، فلا يعني تعامل الرسول محمد ﷺ بها اقراراً لما فيها من كتابات وصور تمثل الديانة المجوسية وتتعارض كلياً مع العقيدة الاسلامية، وذلك في الدراهم خاصة ثم ان الضرورة هي التي دفعت الرسول محمد ﷺ والمسلمين إلى التعامل بهذه النقود، فلم يكن في الامكان في تلك الفترة المبكرة ضرب عملة اسلامية خاصة.

3. أما ما يتعلق بحمل الخليفة عبدالملك للسيف، وملابسه، ولحيته، فهذه أمور عامة يشترك فيها كل المسلمين في تلك الفترة، ولا يتميز بها الخليفة من سائر الناس، ثم ان الكوفية على الرأس في النقود لم تظهر إلا في درهم موسكو، ودرهم المتحف العراقي المضروب سنة (75هـ/ 694م) والتي لا تشكل هي أيضاً صفة مميزة للخليفة، فكل الناس يلبسون الكوفية أو يضعون شيئاً آخر على رؤوسهم، في حين تظهر أغلب الصور على الدنانير والفلوس، التي قيل أنها صورة للخليفة عبدالملك، يظهر فيها حاسر الرأس مفروق الشعر ويتدلى شعره على كتفيه⁽¹⁸⁶⁾.

(185) أبو عبيد، الأموال، ص 631 ؛ البلاذري، فتوح، ص 451 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 261.

(186) النقشبندی، الدينار الاسلامي، ص 25 ؛

Walker: op. cit. vol. 2. P.22-42. P1. VI , VII , VIII.

4. ان الصور التي نقشت على الدنانير والدرهم والفلوس، والتي قيل أنها صورة الخليفة عبدالملك، تختلف في اشكالها كثيراً بعضها عن بعض⁽¹⁸⁷⁾، فلو قارنا مثلاً بين (صورة الخليفة عبدالملك) المزعومة على دينار سنة (76هـ)، الشكل (4)، وصورته على درهم موسكو، الشكل (6)، نرى فروقاً كثيرة بين الصورتين، أكثر من أن تكون عدم دقة النقاش في رسم الصورتين.

5. ان هنالك تشابهاً كبيراً بين أوصاف الصورة - التي قيل أنها للخليفة معاوية - على الفلوس، مع بعض صور الخليفة عبدالملك المزعومة على الدنانير والفلوس، فتبدو صورة الخليفة وهو حاسر الرأس ويتدلى شعره على كتفيه قابضاً على السيف⁽¹⁸⁸⁾.

6. أما ما يراه الدكتور محمد باقر الحسيني⁽¹⁸⁹⁾: بان تفاصيل هذه الصورة تتفق مع ما أورده ابن دقماق: ((من أن الخليفة كان طويلاً مقرون الحاجبين دقيق الوجه ذا لحية طويلة))، فعلى العكس يظهر الخليفة عبدالملك في درهم موسكو، ودرهم المتحف العراقي، وحتى في الدنانير المضروبة سنة (76 و 77 هـ / 695 و 696 م)، قصير القامة، أما الصفات الأخرى التي ذكرها، فلا تظهر واضحة ضمن الامكانيات الفنية المحدودة للصورة، في

(187) ينظر: مراحل الاصلاح والتعريب (للدینار والدرهم والفلوس)، وقارن بين صورها التوضيحية.

(188) ينظر: محمد، فجر السكة، ص 287 - 288، 404 - 405؛ النقود العربية، ص 33، 37.

(189) تطور النقود العربية، ص 28؛ العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، (بغداد - 1966 م)، ص 89.

حين إن الخليفة عبدالملك في درهم موسكو ليست له حية طويلة. ينظر الشكل (6).

7. لقد كان الخليفة عبدالملك بن مروان، متضلعا بعلوم الدين، فهو أحد فقهاء المدينة الأربعة⁽¹⁹⁰⁾، قبل خلافته، فليس من المعقول إذاً أن يخفى عليه موقف الاسلام من التصوير، إذ ليس من المصلحة السياسية ولا الحكمة ان يضع صورته على النقود، ويدخل نفسه مدخل الشبهات والريبة، وقد اجتمعت الامة الاسلامية توا على خلافته في عام الجماعة.

لهذه الأسباب كلها أرى أن هذه الصورة ليست صورة شخصية للخليفة عبدالملك ابن مروان، بل انها مجرد رمز يمثل سلطان المسلمين، وان الناس قد اعتادوا منذ فترات طويلة على النقود ذات الصور، وليس بالامكان ضربها دفعة على الطراز العربي الاسلامي الخاص، بل لابد من التدرج مع الزمن، وضربها على مراحل، فهذه النقود ذات الصورة هي مرحلة، تجربة لتمييز نقوده عن النقود الأجنبية، ومعرفة موقف المسلمين منها، فعندما لم ينكر الصحابة إلا نقشها - وهي الصورة - عندئذ رفع الصورة، وضربها بطرازها الخاص.

(190) ابن حزم، جوامع السيرة، ص332؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخرى في الآداب السلطانية والولايات الدينية، دار صادر، ودار بيروت، (بلا. ط، 1966م)، ص122؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص216.

4. دور الحجاج بن يوسف الثقفي في اصلاح وتعريب النقود:

بعد أن ضرب الخليفة عبدالملك بن مروان الدنانير سنة (74هـ / 693م)، على الوزن الشرعي⁽¹⁹¹⁾، وقبلها أهل المدينة وتعامل بها الفقهاء⁽¹⁹²⁾، قام ببناء دار للسك⁽¹⁹³⁾، ومنع الناس من ضرب النقود خارج دور الضرب العائدة للدولة⁽¹⁹⁴⁾، وأوجب التعامل بنقوده ومنع تداول غيرها، فبطل منذ ذلك الوقت التعامل بالنقود الأجنبية⁽¹⁹⁵⁾. ولأجل المحافظة على وزن النقود وصيانتها من التلاعب، وضع صنجا زجاجيا، ((لا تستحيل إلى زيادة أو نقصان))⁽¹⁹⁶⁾، أي

(191) البلاذري، فتوح، ص452، 453؛ ابن خلدون، المقدمة، ص262. وقد أكد البلاذري ذلك في عدة روايات، فقد نقل عن الواقدي قوله: ((رأيت الدنانير والدراهم قبل أن ينقشها عبدالملك ممسوحة، وهي وزن الدنانير التي ضربها عبدالملك)). وروى عن أبي وداعة السهمي قوله: ((أنه أراه وزن المثقال، قال فوزنته فوجدته وزن مثقال عبدالملك)). ((وما ذكر هنا ان الخليفة عبدالملك ضرب الدينار على وزن (22) قيراطا إلا كسراً، والدرهم على وزن (15) قيراطا)). المقرئزي، شذور، ص6.

(192) روى البلاذري عن عثمان بن عبدالله قوله: ((فقدمت [دنانير ودراهم عبدالملك] المدينة وبها نفر من اصحاب رسول الله ﷺ، وغيرهم من التابعين فلم ينكروا ذلك)). فتوح، ص452.

(193) البلاذري، فتوح، ص452؛ الدويهي، تاريخ المسلمين، ورقة رقم (21)؛ سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ص88.

(194) البلاذري، فتوح، ص455، ((ولم يجوز الفقهاء ضرب النقود خارج دور ضرب الدولة)). السنامي، نصاب الاحتساب، ورقة رقم (29 أ). ويقول البلاذري: ((وأخذ عبدالملك بن مروان رجلا يضرب على غير سكة المسلمين فأراد قطع يده ثم ترك ذلك وعاقبه)). فتوح، ص455.

(195) زيدان، التمدن، ج1، ص112؛ الكرمللي - العزيزي، لمحة في تاريخ النقود، ص93.

(196) الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص72.

أن الخليفة عبد الملك بن مروان وضع اسس الاصلاح والتعريب وقاده بنفسه، ولذلك سجل هذا الانجاز الكبير في التاريخ العربي الاسلامي باسم الخليفة عبد الملك بن مروان، ومع ذلك كان لابد للخليفة من الاعتماد على ولائه الأقوياء في انجاح هذا الاصلاح الكبير، ولا سيما في الولايات البعيدة كالعراق، فكان للحجاج بن يوسف الثقفي دور متميز في ذلك.

ولتنفيذ هذا الاصلاح بعث الخليفة عبد الملك بالسكة إلى الحجاج⁽¹⁹⁷⁾، وأمره أن يضرب الدراهم على وزن (خمسة عشر) قيراطاً⁽¹⁹⁸⁾، فسأل الحجاج عما كان يعمل به في ضرب الدراهم، فاتخذ دار ضرب، وجمع فيه الطبايعين، فكان المال يضرب للسلطان مما يجتمع له من التبر، وخلاصة الزيوف⁽¹⁹⁹⁾، والستوقة⁽²⁰⁰⁾، والبهرجة⁽²⁰¹⁾، ثم اذن للتجار وغيرهم في أن تضرب لهم النقود⁽²⁰²⁾، مقابل دفع اجرة مقدارها (درهم) واحد لكل مئة درهم، وهو ثمن الحطب وأجرة الضرايين⁽²⁰³⁾، وختم على ايدي الصناع والطبايعين⁽²⁰⁴⁾، وذلك منعاً من تلاعبهم.

(197) المقرئزي، شذور، ص7.

(198) البلاذري، فتوح، ص452.

(199) الزيوف، ينظر ص30.

(200) الستوقة: الستوق من الدراهم ما غلب عليه الغش، وهو ما كان الصفر أو النحاس وهو الغالب والأكثر. الكرمل، النقود العربية، ص50، هامش رقم (4).

(201) البهرجة: الدرهم البهرج ما يردته التجار. الكرمل، النقود العربية، ص50، هامش (4).

(202) البلاذري، فتوح، ص454؛ قدامة، الخراج، ص59.

(203) المقرئزي، شذور، ص8؛ الحكيم، الدوحة المشبكة، ص50؛ ضرار، صالح ضرار، الحجاج، ص112.

(204) البلاذري، فتوح، ص454؛ قدامة، الخراج، ص59.

ويبدو أنَّ محاولات جرت لضرب النقود خارج دور الضرب التابعة للدولة، على الرغم من منع الحجاج ذلك⁽²⁰⁵⁾، ومنها محاولة سُمير اليهودي⁽²⁰⁶⁾، الذي سَكها من فضة خالصة مخلوطة بالذهب وأراد الحجاج قتله، إلا أنه عفا عنه، بعد أن وضع للناس صنج الأوزان، ثم استخدمه بعد ذلك في الإشراف على الدراهم التي ضربها على الطراز العربي الإسلامي الخاص⁽²⁰⁷⁾ وقد ضرب الحجاج بن يوسف الثقفي، دراهمه أول الأمر على الطراز الساساني (البغلية)، وكتب عليها ((بسم الله الحجاج))⁽²⁰⁸⁾، لذلك يُعد الحجاج أول أمير في الدولة العربية الإسلامية يكتب اسمه على الدراهم لكنه غيرها أثناء تطبيق عملية التعريب، فضربها على الطراز العربي الإسلامي الخاص، وكتب عليها ((الله احد الله الصمد))⁽²⁰⁹⁾، فقليل كره الفقهاء ذلك، فسميت

(205) المقرئزي، اغائة الامة، ص 54.

(206) وهو من تيماء (بلدة في بلاد الشام)، ضرب النقود للحجاج فسميت (الدراهم السميرية) ونُسبت إليه. البلاذري، فتوح، ص 454 ؛ العسكري، الأوائل، ص 206 ؛ المقرئزي، شذور، ص 7 ؛ ياقوت، معجم البلدان، م 2، ص 67.

(207) البلاذري، فتوح، ص 454 ؛ المقرئزي، شذور، ص 7.

(208) البلاذري، فتوح، ص 454 ؛ النقشبندى، الدرهم الإسلامى، ص 132.

(209) البلاذري، فتوح، ص 454 ؛ الماوردي، الأحكام، ص 154. ومن الجدير بالذكر ان بعض دور السك استمرت تضرب الدراهم على الطراز العربى- الساسانى حتى سنة (83هـ) ثم اُهمل عدا ما كان يضرب في طبرستان، فقد استمر حتى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد. النقشبندى، الدرهم الإسلامى، ص 2.

(المكروهة)، لمكان القرآن فيها، لأن الجنب والحائض يمسها⁽²¹⁰⁾، ((ويقال ان الاعاجم كرهوا نقصانها فسميت مكروهة))⁽²¹¹⁾.

وهناك رواية ثالثة، تقول بأن الخليفة العباسي المنصور لم يكن يقبلها في الخراج لهذا سميت مكروهة⁽²¹²⁾.

ويبدو أن التفسير الديني لتسمية دراهم الحجاج بـ (المكروهة)، غير صحيح، وذلك لأن النقود التي ضربها الخليفة عبد الملك بن مروان قد كتب عليها (سورة الاخلاص)، فضلاً عن أن غالبية أهل المدينة من الصحابة والفقهاء لم ينكروا ذلك، ولم ير الامام مالك بها بأساً⁽²¹³⁾، بل تعامل بها سعيد بن المسيب⁽²¹⁴⁾، ولذلك رفض الخليفة عمر ابن عبدالعزيز ان يحوا ما عليها من آيات قرآنية⁽²¹⁵⁾.

(210) العسكري، الأوائل، ص 206؛ الماوردي، الاحكام، ص 154؛ ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 417؛ المقرئ، اغاثة الامة، ص 57.

(211) البلاذري، فتوح، ص 454؛ الماوردي، الاحكام، ص 154.

(212) الماوردي، الاحكام، ص 154.

(213) مثل مالك بن أنس عن رفع الآيات القرآنية من النقود فأجاب: ((أول ما ضربت على عهد عبد الملك بن مروان والناس متوافرون فما أنكر أحد ذلك، وما رأيت أهل العلم انكروه، ولقد بلغني أن ابن سيرين كان يكره أن يبيع بها ويشترى، ولم أر أحد منع ذلك ههنا، يعني رحمه الله أهل المدينة النبوية)) . شذور، ص 10.

(214) سعيد بن المسيب: سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. قيل توفي سنة (95هـ / 713م). ابن سعد، الطبقات، م 5، ص 119؛ ابن خلكان، وفيات، ج 1، ص 206.

(215) المقرئ، شذور، ص 10؛ اغاثة الامة، ص 58.

أما ما قيل عن كرهها بسبب نقصان وزنها، فالحقيقة ان أحداً من الخلفاء لم يضرب الدراهم على الوزن الشرعي قبل الخليفة عبدالملك بن مروان، ومع ذلك فلم يسم أحد تلك الدراهم بـ (المكروهة)، بل اطلقوا على دراهم الخليفة معاوية التي ضربها ناقصة (السود الناقصة)⁽²¹⁶⁾، لكل ذلك فأرجح العامل السياسي في تفسير هذه التسمية، إذ ترد في رواية البلاذري عبارة (كره الاعاجم نقصها)، فكلمة الاعاجم هنا تعني غير العرب وغالبيتهم بالتأكيد من الفرس، وهذا يبرز دور الروايات الشعبية، التي التقت مع أعداء الحجاج الكثيرين، ممن اشترك ضده، في حركة ابن الزبير أو في تمرد ابن الاشعث، ومن الموالى خاصة، وكذلك من الدهاقين الذين تأثرت مصالحهم بسبب هذا الاصلاح⁽²¹⁷⁾، كل هؤلاء التقت مصالحهم ضد الحجاج، فوصلت إلينا الكثير من الروايات ذات النفس الشعبي التي حاولت جاهدة تشويه صورة الحجاج، والتصغير من انجازاته، ومن ثم اعطاء صورة مشوهة عن الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي.

ومن جهة أخرى قام الحجاج ايضاً بادخال اصلاحه (تنقيط الحروف) على النقود ايضاً، فيلاحظ ومنذ سنة (78هـ / 697م) ان النقط بدأت توضع على الكلمات المنقوشة على الدنانير، ولكن ليس في مكانها الصحيح، ثم بدأت توضع في مكانها الصحيح منذ سنة (82هـ / 701م)، وحتى سنة (106هـ / 724م) تقريباً، إذ تبدو الدنانير خالية من النقط، إلا في بعضها. وكذلك الحال بالنسبة للدراهم فيلاحظ بداية وضع النقط على الحروف من سنة (81هـ / 700م) وحتى

(216) المقرئزي، شذور، ص5.

(217) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص258.

سنة (131هـ/748م)⁽²¹⁸⁾، وكان الحجاج يهدف من ذلك إلى إيجاد صيغة موحدة للكتابة في جميع أنحاء الدولة، وللمحافظة على سلامة اللغة العربية وصيانتها.

ولكن يلاحظ بعد فترة ان هذه النقطة رُفعت، ربما لثبوت هذا الاصلاح ومعرفة الناس له، ولتسهيل حفر الكلمات على قوالب سك العملة ايضاً.

وحدث تطور بسيط في الكتابة على النقود في هذه الفترة ايضاً، حيث رفع حرف (في) سنة (81هـ/710م) من نص كتابة الدينار ومن الدرهم المضروب في دمشق وأرمينية، وترك استعماله من دراهم واسط، سنة (99هـ/717م)، إلا أنه ظل يُستعمل في المدن الأخرى⁽²¹⁹⁾.

وظلت هناك اختلافات بسيطة في نصوص الدينار العربي وأجزائه في الاقاليم الشرقية عنها في الاقاليم الغربية، غير ان الدنانير الاموية توحدت كتاباتها في كل أنحاء الدولة سنة (114هـ/732م)⁽²²⁰⁾.

من كل ما مرّ يتبين لنا الدور الكبير الذي اضطلع به الحجاج بن يوسف الثقفي في تنفيذ هذا الانجاز العربي الكبير وتدعيمه في ولايته (العراق والمشرق الاسلامي)، مما جعل اسم الحجاج يُقرن باسم الخليفة عبدالملك بن مروان في

(218) تبين لي ذلك من دراسة كتاب: النقشبندي، الدينار الاسلامي، وكتابي (Walker)، ومحمد، فجر السكة العربية.

(219) محمد، فجر السكة، ص 292، 350، 384؛ النقشبندي ومهاب البكري، الدرهم الاموي المعرب، ص 13.

(220) النقشبندي، الدينار، ص 25-26، 28؛

Walker: op. cit. vol. I. P. Iviii, 99, 100, 101.

هذا الانجاز الكبير، بل ذهب الماوردي⁽²²¹⁾ إلى أبعد من ذلك عندما قال: ((... بل ضربها الحجاج))، في سياق كلامه عن أول من ضرب النقود في الاسلام.

5. النقود في أفريقية والمغرب:

في الوقت الذي كانت السكة في المشرق في مراحل الاصلاح والتعريب الأولى، كانت أحوال أفريقية والمغرب السياسية مضطربة،... وبعد أن تمكن حسان بن النعمان الغساني من تحرير قرطاجة للمرة الثانية سنة (79هـ / 698م) نظم أحوالها الإدارية⁽²²²⁾، وضرب نقوداً نحاسية على الطراز البيزنطي - العربي سنة (80هـ / 699م) ووصل إلينا قسم منها وعليها اسم النعمان⁽²²³⁾.

وسمح الولاة أول الأمر بتداول السكة البيزنطية السائدة، لعدم استقرار موقفهم السياسي فأصبحت لنقود افريقيا والمغرب سمات مميزة من نقود المشرق في هذه المرحلة. ثم اتبعوا بعد ذلك خطوات اصلاحية تدريجية منذ عهد الوالي موسى بن نصير، ووصلت إلينا فلوس نحاسية كثيرة عليها اسم الوالي موسى بن نصير، وهي على طراز عربي - لاتيني، تنحصر فيما بين سنة (80هـ / 699م

(221) الأحكام السلطانية، ص 154. وهي رواية المدائني. وكذلك يقول اليعقوبي: ((وفي أيام عبدالملك بن مروان نقشت الدراهم والدنانير بالعربية وكان الذي فعل ذلك الحجاج بن يوسف)) . التاريخ، ج 3، ص 27.

(222) ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله، فتوح مصر وأخبارها، (ليدن - 1930م)، ص 201؛ القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، تح، المنجي الكعبي، (تونس - 1967م)، ص 64.

(223) Walker: op. cit. vol. 2. P. Xivi. 58-59.

وسنة (85هـ / 704م)⁽²²⁴⁾، واستمر بهذا الشكل حتى تم تعريبها تماماً بحدود سنة (108هـ / 726م)⁽²²⁵⁾.

أما بالنسبة للدينار، فقد تأخر اصلاحه وتعريبه عن المشرق أيضاً، فكان لابد من التدرج في ضربه، ففي الوقت الذي كانت تُضرب فيه الدنانير في دمشق ومصر على الطراز العربي الاسلامي الخاص كانت الدنانير تُضرب في أفريقية والمغرب بطابعها اللاتيني الخاص، ثم تطورت فُضِّرت بالحروف اللاتينية والعربية، التي استمرت بهذا الشكل حتى ضُرب بشكله العربي الاسلامي الخاص بحدود سنة (102هـ / 720م) حيث ظهر أول دينار عربي خالص في أفريقية⁽²²⁶⁾.

(224) محمد، فجر السكة، ص 80 ؛

Walker: op. cit. vol. 2. P. Xivi. 59-61.

(225) الحسيني، تطور النقود العربية، ص 53.

(226) محمد، فجر السكة، ص 82 ؛

Walker: op. cit. vol. 2. P 99.

الفصل الثاني

التنظيمات المالية في عصر الخليفة

عبد الملك بن مروان

المبحث الاول: أسس التنظيمات المالية حتى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان.

المبحث الثاني: الظروف والمستجدات التي أثرت في النقص المالي.

1) زيادة النفقات المالية.

2) التحولات المالية والاجتماعية.

المبحث الثالث: دور الحجاج بن يوسف الثقفي في معالجة النقص المالي.

المبحث الرابع: تنظيمات الخليفة عبد الملك بن مروان المالية.

1) بلاد الشام والجزيرة الفراتية.

2) مصر.

3) خراسان والمشرق الاسلامي.

قال أبو جعفر المنصور:

((الخلفاء ثلاثة: معاوية وكفاه زياد.. وعبد الملك
وكفاه الحجاج.. وأنا ولا كافي لي... (و) كان عبد الملك
أشدهم شكيمة وأمضاهم عزيمة))

البلاذري، الانساب، ص 172 (اهلورت).

الفصل الثاني

التنظيمات المالية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

المبحث الأول

أسس التنظيمات المالية حتى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

عندما تأسست الدولة العربية الإسلامية بقيادة الرسول محمد ﷺ في المدينة المنورة لم يكن هناك نظام مالي متكامل، ولا سيما في مجال الضرائب ومنها (الجزية والخراج)، التي أصبحت فيما بعد عماد بيت المال، لذلك طبق الرسول محمد ﷺ في مجال الضرائب هذه، النصوص القرآنية التي عاجلت جوانب من هذا النظام، واجتهد في الجوانب الأخرى، التي لا يوجد نص قرآني يوضحها. وتعد الضرائب وأنظمتها من جوانب التشريع المالي المهمة في الإسلام، وقد نمت وتطورت هذه النظم تبعاً لنمو وتطور الدولة، وازدياد الحاجات وتغير الظروف وظهور المستجدات، ثم جاء دور الفقهاء الذين أخذوا بنظر الاعتبار واقع المجتمع الجديد وتحوله مستندين على النظم الإسلامية في ذلك فوضعوا أسس السياسة المالية التي كونت بمجملها النظام المالي في الإسلام.

ونرى من الضروري القاء نظرة على الأسس والمبادئ والتدابير العملية المالية في عصر الرسول محمد ﷺ والخلفاء الراشدين، ولا سيما في موضوع الضرائب، لأنها بمجموعها شكلت النظام المالي الذي اعتمد وسار عليه الأمويين فيما بعد، آخذين بنظر الاعتبار تغير الظروف والأحوال، وظهور مستجدات، كثيرة حتمت على الأمويين تعديل بعض الجوانب التي لا تتعارض مع النصوص القرآنية.

ونستعرض فيما يأتي باختصار مفاهيم (الجزية والخراج)⁽¹⁾، وتدابير
الرسول محمد ﷺ العملية في ذلك:

1- الجزية:

الجزية في الاسلام ضريبة شخصية يدفعها أهل الذمة⁽²⁾ للمسلمين
((لأن دمايتهم وأموالهم إنما احرزت بأداء الجزية))⁽³⁾، فضلاً عن اعفائهم من
الخدمة العسكرية⁽⁴⁾، ويقول الماوردي⁽⁵⁾ في أصل تسميتها: ((فالجزية موضوعة
على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء أما جزاء على كفرهم لأخذها منهم
صغاراً، وأما جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقاء)).

(1) لم يكن العرب المسلمون أول من فرض (الجزية والخراج). فقد فرضها البيزنطيون
والساسانيون على راعيهم وكانت ثقيلة. ينظر: جرجي زيدان، التمدن، ج1، ص188
؛ ناجي معروف، الضمان الاجتماعي في الاسلام، مجلة أقلام، ج7، السنة الاولى
(1965م)، ص3 ؛ كريستنسن، = = ايران في عهد الساسانيين، ص110-113 ؛
الريس، الخراج، ص43 ؛ بتلر، فتح العرب لمصر، ص393-394.

(2) عن تحديد أصناف أهل الذمة. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص122 ؛ أبو عبيد، الأموال،
ص653-655 ؛ الماوردي، الاحكام، ص143 ؛ ابن قدامة، المغني، ج8، ص496 وما
بعدها.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص123، 139 ؛ البلاذري، فتوح، ص143 ؛ قدامة، الخراج،
ص225.

(4) معروف، ناجي، المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ط6، مط، العاني، (بغداد -
1966م)، ص55 ؛ فاروق عمر وآخرون، النظم الاسلامية، ص226.

(5) الاحكام، ص142 ؛ أبو يعلي، الاحكام، ص137 ؛ ابن القيم، احكام، ق1، ص22.

فرضت الجزية في السنة التاسعة للهجرة، أثناء غزوة تبوك⁽⁶⁾، بنص قرآني مجمل⁽⁷⁾. لذلك فقد اجتهد الرسول محمد ﷺ في ذلك، حيث حددها في الغالب بدينار واحد⁽⁸⁾، وأحياناً فرضها ضريبة مشتركة محددة على المنطقة⁽⁹⁾، كما قبلها مواد عينية أيضاً⁽¹⁰⁾. وبذلك فإن الرسول محمد ﷺ راعى في فرض الجزية أحوال البلاد المعاشية، وقدرة أهل البلاد على دفعها، فقد قبلها عينية من أهل نجران تخفيفاً عنهم، وأعفى النساء والأطفال والمرضى. أي أن الجزية أصبحت تؤخذ من أهل الذمة، من الذكور البالغين العقلاء، وأعفى منها النساء والأطفال، والمرضى والمجانين والعميان والشيوخ، والرهبان⁽¹¹⁾، إلا أن يكونوا من أهل اليسار⁽¹²⁾. وتسقط باسلام الذمي أو موته⁽¹³⁾، ولا تقبل من العرب عبدة الاوثان، أو من المرتدين فهؤلاء لا تقبل منهم الجزية، فإما الإسلام وإما

(6) الصولي، اداب، ص214.

(7) سورة التوبة/ آية (29). وقد بحث الفقهاء والمؤرخون الجزية بعد ذلك مفصلاً. ينظر فضلاً عما ذكر من مصادر: الشافعي، الام، ج4، ص175 ؛ أبو عبيد، الاموال، ص26-33؛ الطبري، اختلاف الفقهاء، ص199 وما بعدها ؛ ابن قدامة، المغني، ج8، ص495 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج8، ص237.

(8) البلاذري، فتوح، ص70، 83، 89 ؛ الصولي، أدب، ص214 ؛ ابن القيم، أحكام، ق1، ص31.

(9) البلاذري، فتوح، ص48، 71، 76 ؛ الصولي، أدب، ص214.

(10) البلاذري، فتوح، ص75 ؛ الصولي، أدب، ص214 ؛ ابن القيم، أحكام، ق1، ص31.

(11) قدامة، الخراج، ص225.

(12) أبو يوسف، الخراج، ص122 ؛ الصولي، أدب، ص214.

(13) أبو يوسف، الخراج، ص122-123 ؛ أبو عبيد، الأموال، ص59-61 ؛ الماوردي، الاحكام، ص137 ؛ أبو يعلي، الاحكام، ص143.

السيف⁽¹⁴⁾، وربما من جملة أسباب موقف الرسول محمد ﷺ هذا من العرب هو العمل على توحيد أمة العرب وعدم إذلالهم بالجزية.

2. الخراج:

الخراج كلمة عربية ورد ذكرها في القرآن الكريم⁽¹⁵⁾، ويعني في العربية، اسماً للكراء والغلة⁽¹⁶⁾.

والخراج: مقدار معين من المال أو الحاصلات الزراعية، يفرض على الأراضي التي انضمت إلى لواء الدولة العربية الإسلامية أي ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها، فهي فيء موقوف على اجتهاد أولي الأمر⁽¹⁷⁾، ويؤخذ الخراج من أراضي الصلح⁽¹⁸⁾، والعنوة، التي عدل الإمام عن تقسيمها وابقائها بيد أصحابها وفرض عليها الخراج⁽¹⁹⁾، ولا يسقط الخراج بالاسلام⁽²⁰⁾.

وقد عالج الرسول محمد ﷺ موضوع الأراضي سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها، فلكل حالة ظروفها الخاصة، فحين حرر خيبر، قسمها وقسمها⁽²¹⁾

(14) قدامة، الخراج، ص 224.

(15) قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ سورة المؤمنون / آية: 72.

(16) أبو عبيد، الاموال، ص 93؛ رقم (182)؛ الماوردي، الأحكام، ص 146.

(17) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص 146.

(18) أبو يوسف، الخراج، ص 69؛ الماوردي، الأحكام، ص 147.

(19) أبو يوسف، الخراج، ص 69؛ الماوردي، الأحكام، ص 147.

(20) الماوردي، الاحكام، ص 137؛ ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ق 1، ص 137.

(21) البلاذري، فتوح، ص 36؛ قدامة، الخراج، ص 206؛ مجهول، رسالة في الأموال، ورقة (39ب).

بوصفها غنيمة، لكنه عدل عن ذلك، فصالح أهلها على نصف انتاج الأرض⁽²²⁾، وفعل الرسول محمد ﷺ الشيء نفسه مع أهل وادي القرى⁽²³⁾، كما لم يقسم النبي ﷺ أراضي الصلح مثل أراضي بني النضير⁽²⁴⁾.

أما الأراضي العربية الأخرى، فقد فرض على بعضها العُشر أو نصف العُشر، كأرض اليمن⁽²⁵⁾، أو قاسم أهلها الثمر كما فعل مع أهل البحرين⁽²⁶⁾. وبذلك يتبين لنا أنه من الصعوبة اعطاء قاعدة ثابتة ومحددة لمقدار ضريبة الخراج في هذه الفترة.

وفي عصر الخليفة عمر بن الخطاب ؓ توسعت الدولة العربية الاسلامية كثيراً، مما أوجد مشاكل كثيرة، استوجبت التنظيم،..... فوضع الخليفة عمر ؓ أسس التنظيم المالي للدولة العربية الاسلامية، معتمداً على القرآن، والمفاهيم الاسلامية، وتدابير الرسول محمد ﷺ العملية، ومستنداً على شورى الصحابة في ذلك كما استفاد من التنظيمات المحلية في الاقاليم المحررة، مراعيًا طريقة التحرير (عنوة أم صلحاً). وكانت هذه التنظيمات المحلية سبباً في الاختلاف الواضح في تنظيمات الضرائب في الاقاليم المحررة. ومما كرس هذا الاختلاف أيضاً، اختلاف لغات دواوين الخراج في هذه الاقاليم.

(22) البلاذري، فتوح، ص 37.

(23) أبو يوسف، الخراج، ص 50؛ البلاذري، فتوح، ص 47.

(24) البلاذري، فتوح، ص 31.

(25) أبو يوسف، الخراج، ص 37، 59؛ أبو عبيد، الأموال، ص 35، رقم (65)؛ البلاذري، فتوح، ص 82.

(26) البلاذري، فتوح، ص 89.

وعند تنظيم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ للضرائب، ((راعى في كل أرض ما تحتمله))⁽²⁷⁾، كما راعى نوع المحصولات الزراعية⁽²⁸⁾، وقرب الأرض الزراعية وبعدها عن الأسواق⁽²⁹⁾، ثم طريقة سقي الأرض⁽³⁰⁾.

لهذه الأسباب كانت تنظيمات الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مختلفة نوعاً ما من قطر لآخر، مما استوجب دراسة كل قطر على حدة، لتتبع عملية تطور وتنظيم واصلاح هذه الضرائب بتطور الظروف والحاجة.

السواد⁽³¹⁾:

بعد تحرير أرض السواد عنوة⁽³²⁾، رفض الخليفة عمر ﷺ - وبعد مشاورة الصحابة - أن يقسم الأرض على الجند، مستنداً على آية الفيل⁽³³⁾، إذ كتب إلى

(27) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص 148 ؛ أبو يعلي، الاحكام، ص 151.

(28) الماوردي، الاحكام، ص 148 ؛ أبو يعلي، الاحكام، ص 151.

(29) قدامة، الخراج، ص 367-368؛ الماوردي، الاحكام، ص 148؛ أبو يعلي، الاحكام، ص 151.

(30) أبو يوسف، الخراج، ص 37.

(31) يقول أبو عبيد: ((ان حد السواد... من لدن تخوم الموصل ماداً مع الماء الى ساحل البحر، ببلاد عبادان، من شرقي دجلة، هذا طوله أما عرضه فحده منقطع الجبل من أرض حلوان الى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب، فهذه حدود السواد وعليه وقع الخراج. الأموال، ص 92، رقم (182). اما الماوردي فيجعل السواد أطول من العراق. الاحكام، ص 166-167. اما ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 14 ؛ وابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 104 فيجعلان السواد أقصر من العراق.

(32) ينظر تفاصيل تحرير السواد في: أبو يوسف، الخراج، ص 23 فما بعد ؛ أبو عبيد، الاموال، ص 74-78 ؛ ابن آدم، الخراج، ص 27 فما بعد.

(33) سورة الحشر / آية (6-9).

سعد ابن أبي وقاص: ((أما بعد... فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما اجلب الناس عليك به إلى العسكر من كراع ومال، فاقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرضين والأنهار لعمالها... فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء))⁽³⁴⁾. أي جعل الخليفة عمر رضي الله عنه الأرض ملكاً للأمة ووفقاً عليها، وأبقاها بيد اصحابها بعد أن وضع الخراج عليها، حيث أرسل (عثمان بن حنيف) و(حذيفة بن اليمان)، فمسحا السواد، وبلغت مساحته (سته وثلاثين ألف ألف جريب)⁽³⁵⁾، وراعى عمر رضي الله عنه أحوال زارعيتها ووضع عليها أقل مما تحمل⁽³⁶⁾، ويؤكد الفقهاء والمؤرخون ان الخليفة عمر رضي الله عنه وضع على كل جريب من الأرض ((عامراً أو غامراً يناله الماء... زرع أو عطل درهما وقفيزاً))⁽³⁷⁾، ويبدو ان ضريبة الخراج هذه وضعت في بداية المسح، ثم غيرها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تنظيم أثبت وأشمل، حين وضع ضريبة الخراج على وحدة المساحة (الجريب) حسب نوع المحاصيل الزراعية وبمقادير محددة، تتراوح بين درهمين،

(34) أبو يوسف، الخراج، ص 24؛ ابن آدم، الخراج، ص 48؛ البلاذري، فتوح، ص 265.
(35) أبو يوسف، الخراج، ص 36؛ أبو عبيد، الأموال، ص 86-87؛ البلاذري، فتوح، ص 268؛ قدامة، الخراج، ص 366-367؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص 133.
- الجريب: في الأصل مكيال، وهنا مقياس مساحة، وهو ستون ذراعاً طولاً في مثلها عرضاً، يكون تكسيها (3600) ذراع مكسرة، ومعنى الذراع المكسرة أن يكون طولها وعرضها ذراعاً، ويحدد هنتس الجريب بـ (1592م²). الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 44؛ الكرملي، النقود، ص 31، حاشية رقم (2)؛ هنتس، المكايل والاوزان، ص 96.

(36) ينظر: أبو يوسف، الخراج، 37، 38، 48؛ أبو عبيد، الاموال، ص 51، رقم (106).
(37) ابو يوسف، الخراج، ص 36، 38؛ ابن آدم، الخراج، ص 55؛ البلاذري، فتوح، ص 268؛ اليعقوبي، تاريخ، ج 2، ص 142؛ قدامة، الخراج، ص 367؛ الخطيب، تاريخ بغداد، م 1، ص 11.

واثنى عشر درهما للجريب المزروع في السنة⁽³⁸⁾، وبذلك أصبحت أرض السواد خراجية، ما عدا الحيرة وأليس، وبانقيا فانها عشرية، ولا يسقط خراج الارض بتبدل مالکها أو بيعها، لأن الضريبة أصبحت على الأرض وليست على المالك⁽³⁹⁾.

وكذلك شمل مسح السواد السكان فوجد أن عدد من تجب عليه الجزية في السواد هو (خمسمائة ألف)⁽⁴⁰⁾، وفي رواية أخرى (خمسمائة وخمسون ألفاً)⁽⁴¹⁾، قسمهم الخليفة عمر ؓ ثلاث درجات حسب مستواهم المعاشي، فجعل على الأغنياء (48) درهماً، وعلى متوسطي الحال (24) درهماً، وعلى من دونهم (12) درهماً⁽⁴²⁾، وبذلك فرض الخليفة عمر ؓ الجزية على كل الذميين في السواد عدا بني تغلب⁽⁴³⁾، حيث جعل عليهم الصدقة مضاعفة⁽⁴⁴⁾، وذلك لاعتبارات قومية وسياسية وعسكرية تطلبتها ظروف الدولة حينذاك.

(38) عن مقادير الخراج الذي وصفه الخليفة عمر بن الخطاب ؓ على مختلف المحاصيل الزراعية. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص 36-37؛ الصولي، أدب، ص 218؛ أبو عبيد، الأموال، ص 87-88، رقم (172، 173)؛ الخطيب، تاريخ بغداد، م 1، ص 11.

(39) ابن آدم، الخراج، ص 22؛ البلاذري، فتوح، ص 268؛ قدامة، الخراج، ص 207؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، م 1، ص 580.

(40) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 14؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 105؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 133؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج 1، ص 234.

(41) البلاذري، فتوح، ص 270.

(42) أبو يوسف، الخراج، ص 36، 122؛ الشافعي، الام، ج 4، ص 180؛ البلاذري، فتوح، ص 271؛ الصولي، أدب، ص 215؛ الماوردي، الاحكام، ص 144.

(43) أبو يوسف، الخراج، ص 122؛ الشافعي، الام، ج 4، ص 175؛ أبو عبيد، الاموال، ص 36-37.

(44) أبو عبيد، الاموال، ص 37؛ البلاذري، فتوح، ص 186-187.

ومما يلاحظ على ضريبة الجزية زمن الخليفة عمر بن الخطاب ؓ أنها زادت عما كانت عليه زمن الرسول محمد ﷺ، كما أنها نظمت على ثلاث درجات، وذلك لتغير الظروف وتطور الأحوال⁽⁴⁵⁾.

كما قام الخليفة عمر بن الخطاب ؓ بتنظيم الصوافي⁽⁴⁶⁾، إذ استصفي عشرة أنواع من الأراضي هي⁽⁴⁷⁾: أرض من قتل في الحرب، وأرض من هرب، وكل أرض كانت لكسرى، وكل أرض كانت لأحد من أهله، وكل مغيض ماء، وكل دير بريد، وكل صافية اصطفاها كسرى، والآجام، وأوقاف بيوت النار، والأرحاء.

وقد بلغ ايراد هذه الصوافي زمن الخليفة عمر ؓ (سبعة ألاف ألف درهم) سنوياً⁽⁴⁸⁾.

الجزيرة الفراتية:

تقع الجزيرة الفراتية بين غربي نهر دجلة وشرقي نهر الفرات، ويحدد الاصطخري حدودها، بأنها تمتد على الفرات من شمال مالطية بمسيرة يومين شمالاً إلى الأنبار جنوباً، وعلى دجلة من أرمينية شمالاً إلى تكريت جنوباً⁽⁴⁹⁾.

(45) ابن القيم، احكام اهل الذمة، ق1، ص31.

(46) الصوافي: وهي الأراضي التي حررت ولا مالك لها، وقد أقطع منها الخليفة عمر بن الخطاب ؓ كما أقطع منها الخليفة عثمان بن عفان ؓ أيضاً. أبو يوسف، الخراج، ص58، 62؛ ابن آدم، الخراج، ص61-73؛ أبو عبيد، الاموال، ص352-353؛ البلاذري، فتوح، ص345-346؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م1، ص595.

(47) أبو يوسف، الخراج، ص57-58؛ ابن آدم، الخراج، ص63-64؛ البلاذري، فتوح، ص272؛ الدوري، النظم، ص120.

(48) أبو يوسف، الخراج، ص57؛ البلاذري، فتوح، ص272؛ قدامة، الخراج، ص217.

(49) المسالك والممالك، ص52.

حررت الجزيرة الفراتية على عصر الخليفة عمر بن الخطاب ؓ على يد عياض ابن غنم⁽⁵⁰⁾، وحررت القرى والمدن صلحاً، وريفها عنوة⁽⁵¹⁾، ومن أهم المدن التي حررها العرب المسلمون صلحاً، الرها، عاصمة الاقليم⁽⁵²⁾، وقال عياض: ((الارض لنا وقد وطئناها وأحرزناها فأقرها في ايديهم على الخراج ودفع منها ما لم يرده أهل الذمة فرفضوه إلى المسلمين على العشر))⁽⁵³⁾، وبذلك أصبح في الجزيرة نوعان من الأراضي: الاراضي الخراجية، وهي غالبية الاراضي (أراضي أهل الذمة) والاراضي العشرية، التي امتلكها العرب. كما ((وضع (عياض) الجزية على كل رجل منهم ديناراً في كل سنة ووظف عليهم مع الدينار مدين⁽⁵⁴⁾ قمحاً، وقسطين⁽⁵⁵⁾ زيتاً، وقسطين خلاً، وجعلها جميعاً طبقة

(50) ابو يوسف، الخراج، ص 40 ؛ البلاذري، فتوح، ص 179.

(51) البلاذري، فتوح، ص 179.

(52) أبو يوسف، الخراج، ص 40.

(53) البلاذري، فتوح، ص 177.

(54) المذ: مكيال، يختلف باختلاف البلدان والازمان، فهو في فجر الاسلام، وخاصة في المدينة المنورة يساوي (ربع) صاع. وهو يساوي (1,053) لتر. هتس، الاوزان والمكايل، ص 74-75.

(55) القسط: مكيال، وهو في العراق حجامان: القسط الصغير ويعادل وزناً قدره (3) أرطال من السوائل، أي ان سعته (1.2158) لتر. والقسط الكبير، وهو ضعف الصغير. وفي مصر كان القسط الواحد فيما يبدو يساوي (نصف) صاع، أي ان سعته (2.106) لتر. هتس، الاوزان، ص 65-66.

واحدة))⁽⁵⁶⁾، وعد الدينار جزية، والمواد العينية ضريبة الارض، ثم عقدت أغلب مدن الجزيرة عقود صلحها على مثل صلح الرها⁽⁵⁷⁾.

وقد عدل نظام الضرائب بعد ذلك، فيقول ابو يوسف⁽⁵⁸⁾: ((فأما من ولي من الخلفاء المسلمين (الجزيرة) بعد فتحها فانهم قد جعلوا اهل الرساتيق أسوة اهل المدائن إلا في ارزاق الجند فانهم حملوها عليهم دون اهل المدائن... انما فعلوا ذلك لأن اهل الرساتيق أصحاب الأرضين والزرع، وان اهل المدائن ليسوا كذلك)).

وبذلك يبدو انه فرض على اهل الريف المواد العينية - على قدر الطاقة - وعلى اهل المدن النقود. ثم قام الخليفة عمر بن الخطاب ؓ بعد ذلك باعادة تنظيم الجزية في المدن حسب امكانيات الافراد المالية، فيقول البلاذري⁽⁵⁹⁾: ((اخذ الزيت والخل والطعام لمرق المسلمين بالجزيرة مدة ثم خفف عنهم، واقتصر على (48) درهما و(24) درهما و(12) درهما، نظراً من عمر ؓ للناس، وكان على كل انسان (ان يدفع) مع جزيته مُدا قمح وقسطين زيتاً وقسطين خلًا)).

(56) ابو يوسف، الخراج، ص 41؛ البلاذري، فتوح، ص 177-178. ويوضح لنا ابو يوسف عقد الصلح مع اهل الرها، فيذكر ان أبا عبيدة كتب إلى عياض بن غنم، أن يؤدوا على قدر الطاقة. فأخبر عياض اهل الرها بذلك، فقال قائل ((قبلوا الصلح على قدر الطاقة. وقال آخر: انكروا ذلك وعلموا ان في ايديهم اموالا وفضولا تذهب ان اخذوا بالطاقة وأبو إلا شيئاً مسمى)) فصالحهم عياض على ما سألوا. الخراج، ص 40.

(57) البلاذري، فتوح، ص 180-183.

(58) الخراج، ص 40-41.

(59) فتوح، ص 182.

ويبدو ان اسباب التعديل هذا هو قلة حاجة القوات العسكرية النسي للمواد الغذائية بعد استكمال تحرير الجزيرة واستقرارها، ورغبة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ تخفيف الضرائب عن كاهل السكان، ثم ايجاد تنظيم شامل وموحد للضرائب في جميع انحاء الدولة.

بلاد الشام:

لقد تمكن العرب المسلمين من تحرير أغلب مدن بلاد الشام صلحاً، وعقدوا معاهدات صلح مع أهل هذه المدن، كلاً على حدة، لأن لكل مدينة كانت إدارة محلية تفاوض عن أهلها⁽⁶⁰⁾، ووضعت الضرائب على هذا الأساس أول الأمر، فرضت على بعض المدن ضريبة محددة، كمدينة دمشق، حيث ((الزم كل رجل من الجزية ديناراً وجريب⁽⁶¹⁾ حنطة، وخلاً وزيتاً لقوت المسلمين))⁽⁶²⁾.

أما مدينة بعلبك فقد صالحهم أبو عبيدة على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وكتب لهم بذلك كتاباً، فرض على من أقام منهم: ((الجزية والخراج))⁽⁶³⁾.

(60) دينيت، الجزية والاسلام، ترجمة، فوزي فهم، دار مكتبة الحياة، (بيروت-1960م)، ص96.

(61) الجريب: هو مقياس كيل ومساحة، والمقصود هنا مكيال، يساوي (7) أقرر. هنتس، الأوزان والمكاييل، ص61، ويساوي حوالي (10.448) كيلو غرام قمح، ويساوي (132.213) لتر من الماء. ابن الرفعة، الايضاح والتبيان، ص87.

(62) البلاذري، فتوح، ص131.

(63) المصدر نفسه، ص136.

وهناك مدن أخرى فرضت عليها ضريبة محددة مثل مدينة حمص، حين طلبت الأمان من أبي عبيدة فصالحهم على مبلغ قدره (مائة ألف وسبعون ألف) دينار⁽⁶⁴⁾، وفي رواية أخرى يذكر البلاذري إن أهل حمص صالحوا أبا عبيدة على أن امنهم على أموالهم ووممتلكاتهم وكنائسهم، ((واشترط الخراج على من أقام منهم))⁽⁶⁵⁾.

أما مدينة اللاذقية، فقد صالح أهلها أبا عبيدة ((فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوأ أو كثروا))⁽⁶⁶⁾.

أما مدن فلسطين فقد صالحهم العرب المسلمون على أن الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم، وهي مدن، غزة، وسبسطية، ونابلس، ولد، ويني، وعمواس، وبيت جبرين، ويافا، ورفح، وإيلياء (بيت المقدس)⁽⁶⁷⁾.

وبذلك يتبين لنا أن الضرائب في بلاد الشام كانت مختلفة تبعاً لاختلاف إدارات مدن البلاد، وطبيعة التحرير وشروط الصلح، فلذلك كان من الضروري تنظيم وإصلاح النظام المالي فيها، فتم ذلك بعد استكمال تحرير البلاد، وانتهاء الحركات العسكرية، واستقرار البلاد، ويوضح ذلك البلاذري⁽⁶⁸⁾ قائلاً: ((كانت الجزية بالشام في بدء الأمر جريباً وديناراً على كل جمجمة، ثم وضعها

(64) البلاذري، فتوح، ص136. يذكر دينيت ان المبلغ المفروض على حمص هو (مائة ألف وسبعين ديناراً)). ص103.

(65) البلاذري، فتوح، ص137. ((والحقيقة ان حمص دخلتها الجيوش العربية الاسلامية أكثر من مرة)). ينظر: البلاذري، فتوح، ص137 وما بعدها.

(66) المصدر نفسه، ص139.

(67) المصدر نفسه، ص144.

(68) فتوح، ص131 ؛ أبو عبيد، الاموال، ص49، رقم (101).

عمر بن الخطاب ؓ على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الورق أربعين درهماً، وجعلها طبقات لغنى الغني واقلال المقل، وتوسط المتوسط ((، وهناك رواية أخرى تقول: ((ان عمر كتب إلى أمراء الأجناد ألا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليهم المواسي وجزيتهم (أربعون) درهماً على أهل الورق منهم و(أربعة) دنانير على أهل الذهب، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت (مديان) من حنطة و(ثلاثة) أقساط من زيت في كل شهر لكل انسان من أهل الشام والجزيرة، وجعل عليهم ودكا(سمناً) وعسلاً))⁽⁶⁹⁾. ويستتج من هذه الرواية ان قسماً من الجزيرة كان عملته الدينار، لأنه كان تحت سيطرة البيزنطيين، والقسم الآخر كان عملته الدراهم، لأنه كان تحت سيطرة الساسانيين.

مصر:

حررت مصر في عصر الخليفة عمر بن الخطاب ؓ سنة (20هـ/ 641م) فما بعد، بقيادة عمرو بن العاص، واختلف المؤرخون في أمر تحريرها، هل كان ذلك صلحاً أم عنوة؟ وناقش ذلك البلاذري⁽⁷⁰⁾ قائلاً: ((اشتبه على الناس أمر مصر فقال قوم: فتحت عنوة وقال آخرون فتحت صلحاً...))، ويؤكد البلاذري ان عمرو بن العاص حرر الیونة (بابلیون) عنوة⁽⁷¹⁾ – وكانت أهم مركز في مصر⁽⁷²⁾

(69) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص152؛ البلاذري، فتوح، ص131، 157؛

ابن عساکر، تاریخ، ج1، ص179؛ تاریخ مدينة دمشق، م1، ص573.

(70) فتوح، ص216؛ ينظر: ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص88-90؛ المقرئ، خطط، ج1، ص295.

(71) فتوح، ص216.

(72) كاشف، مصر في فجر الاسلام، ص12.

- وطلب صاحبها التفاوض مع المسلمين، ورضي أهل الیونة ان يعاملهم المسلمون معاملتهم لأهل الشام، فوافق عمرو بن العاص على ذلك بعد أن رفض قسمة الأرض بتوجيه من الخليفة عمر: ((أقرها حتى يغزو منها جبل الحبله))⁽⁷³⁾ -، ((فوضع على كل حالم دينارین جزية إلا أن يكون فقيراً وألزم كل ذي أرض مع الدينارين (ثلاثة) أراذب حنطة و(قسطي) زيت و(قسطي) عسل و(قسطي) خل رزقاً للمسلمين))⁽⁷⁴⁾. كما فرض عليهم ايضاً كسوة للمسلمين، وكتب بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب ؓ فاجازه، ((وصارت الأرض أرض خراج))⁽⁷⁵⁾. ثم صالح حاكم الیونة بعد ذلك عن جميع أهل مصر على مثل صلح الیونة ووضع الخراج على أرض مصر، فجعل على كل جريب ديناراً وثلاثة أراذب⁽⁷⁶⁾ طعاماً وعلى رأس كل حالم دينارین وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب ؓ⁽⁷⁷⁾ ويعني هذا ان الخراج فرض بالنقد والمواد الغذائية، اما الجزية فقد فرضت بالنقد فقط.

(73) أبو عبيد، الاموال، ص 73-74، رقم (149) ؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص 88؛

البلاذري، فتوح، ص 215 ؛ المقرئزي، خطط، ج 1، ص 295.

(74) البلاذري، فتوح، ص 216.

(75) البلاذري، فتوح، ص 216.

(76) الارذب: مكيال مصري ضخيم، يصعب تحديده بدقة، وهو حوالي (90) لتراً، وفي

الوقت الحاضر يساوي في مصر (198) لتراً، ويتوافق هذا مع (150) كيلو غراماً من

القمح و(120) كيلو غراماً من الشعير. هتس، الأوزان والمكاييل، ص 58-59.

(77) البلاذري، فتوح، ص 217.

وبعدها حررت الاسكندرية عنوة وصالح المقوقس المسلمين على مثل
صلح اليونة ولكنها نقضت، فحررت عنوة للمرة الثانية، ((فوضع عمرو بن
العاص على أرض الاسكندرية الخراج وعلى أهلها الجزية))⁽⁷⁸⁾.

ثم وجه عمرو بن العاص، حملات على مدن عين شمس، والفيوم،
والاشمونين واخميم وقرى الصعيد... وإلى سائر قرى أسفل الأرض فغلبوا على
أرضها، فاستجمع عمرو فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج⁽⁷⁹⁾.

اما برقة (انطابلس)، ((فصالح عمرو أهلها على الجزية وهي ثلاثة عشر
الف دينار))⁽⁸⁰⁾.

ويقول دينيت⁽⁸¹⁾: انه بعد استكمال تحرير مصر أصبحت هناك أربعة نظم
ضريبية هي:

أ- اتفق العرب مع الجماعات القبطية على ضريبة نقدية أساسها ديناران لكل
رجل ودينار على كل فدان، مع وجود ضريبة على نتاج الأرض،
والتزامات أخرى.

ب - كانت أرض الاسكندرية أرض خراج يرى المحررون ما يشاؤون بها.
ج- كانت انطابلس تؤدي كل عام مبلغاً محدداً من المال لا يزيد ولا ينقص.

(78) المصدر نفسه، ص 223 ؛ دينيت، الجزية والاسلام، ص 121، 124.

(79) البلاذري، فتوح، ص 218.

(80) البلاذري، فتوح، ص 225 ؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج 3، ص 227.

(81) الجزية والاسلام، ص 124-125 ؛ كاشف، مصر، ص 52-53.

د- اراضي الحكومة والضياح السابقة، فقد استأثر العرب بها ومنها اقطعت
القطائع فيما بعد.

وعلى هذا الحال استقرت الضرائب في مصر في المرحلة الأولى، ثم أجري
بعد ذلك تعديل على هذا التنظيم، فيقول البلاذري⁽⁸²⁾: ((ان اهل الجزية بمصر
صولحوا في خلافة عمر بعد الصلح الأول، مكان الحنطة والزيت والعسل والخل
على دينارين فالزم كل رجل (أربعة) دنانير فرضوا بذلك وأحبوه)).

ويذكر لنا ابن عبدالحكم⁽⁸³⁾، ان عدد دافعي الجزية في مصر كانوا (ستة
آلاف ألف)، وفي رواية أخرى كانوا (ثمانية آلاف ألف)⁽⁸⁴⁾، ويظهر من الفارق
بين رقمي الروايتين عدم دقة ابن عبد الحكم، وربما المبالغة ايضاً.

أما فيما يتعلق بجباية الخراج، فقد اتبع العرب نهج المركزية وأشرفوا بشكل
مباشر على الجباية، عن طريق تنظيم سجلات دقيقة للأراضي والسكان
والحصص الضريبية⁽⁸⁵⁾.

ويقدم لنا ابن عبدالحكم، وصفاً دقيقاً لتقدير وتوزيع الضريبة على القرى
والأرياف، وهذا التقدير يشمل فقط ضريبة الأرض، ولا يشمل ضريبة
الرأس⁽⁸⁶⁾، فيقول ابن عبدالحكم⁽⁸⁷⁾: ((وكان عمرو بن العاص لما استوسق له

(82) فتوح، ص 218.

(83) فتوح مصر واخبارها، ص 70.

(84) المصدر نفسه، ص 70.

(85) دينيت، الجزية والاسلام، ص 125-126 ؛ الدوري، مقدمة في التاريخ، الاقتصادي
العربي، ص 29.

(86) دينيت، الجزية والاسلام، ص 143.

(87) فتوح مصر واخبارها، ص 152-153 ؛ المقرئ، الخطط، ج 1، ص 77 ؛ النويري،
نهاية الارب، ج 19، ص 322-323.

الأمر أقر قبطها على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتعديل، إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم، وإن قل أهلها وخربت نقصوا، فيجتمع عرفاء كل قرية... فيتناظرون في العمارة والخراب، حتى إذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى، فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع، ثم ترجع كل قرية بقسمهم فيخرجون من الأرض احتياجات القرية العام، فإذا فرغوا نظروا إلى ما في كل قرية من الصناعات والأجاء فقسّموا عليهم بقدر احتمالهم... ثم ينظرون ما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم)).

ويستتج من هذا النص جملة أمور منها: تأثير الأثر المحلي الروماني في طريقة جباية الخراج، كما تجوز الزيادة والنقصان في الضريبة، وذلك لأن الخراج، يعتمد على حالة الزرع، والذي يعتمد بالتالي على فيضان نهر النيل⁽⁸⁸⁾، وعلى قدر ما يتوسع الفلاح في زراعة الأرض، أي أن ضريبة الخراج لم تكن ثابتة محددة من عام إلى آخر⁽⁸⁹⁾، بينما كانت الجزية ثابتة، وفضلاً عن ضريبة الجزية والخراج هناك ضرائب أخرى على الصناعات والأجاء.

(88) المقدسي، احسن التقاسيم، ص 65.

(89) دينيت، الجزية والاسلام، ص 142.

المبحث الثاني

الظروف والمستجدات التي أثرت في النقص المالي

كانت الدولة العربية الاسلامية في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان بحاجة إلى أموال كثيرة، لتسيير أمور الدولة وأدارتها وسد متطلبات دار الخلافة المتزايدة لتوسع الادارة وتنظيمها، ولتهدئة الاضطرابات وللاتفاق على حركات التحرير والفتوح وعملية البناء والاصلاح، وللمحافظة على سلامة الدولة وأمنها واستقرارها.

فضلاً عن ذلك، فقد مرت الدولة الاموية، ولاسيما بعد موت يزيد بن معاوية سنة (64هـ / 683م) بظروف سياسية وعسكرية حرجية، كما حدثت تحولات مالية واجتماعية واسعة.

وكانت هذه الظروف والمستجدات، هي في مقدمة الاسباب التي أدت إلى حصول النقص في مالية الدولة، مما استوجب الاصلاح والتنظيم.

1- زيادة النفقات المالية:

لقد كان للاضطرابات السياسية أثر كبير في حصول النقص المالي للدولة فقد حرم بيت المال المركزي من جزء كبير من خراج العراق، منذ سنة (64هـ / 683م) وحتى سنة (72هـ / 691م)، بسبب هذه الاضطرابات، وإذا ما عرفنا أن خراج العراق وما يضاف إليه زمن معاوية كان (655) ألف ألف درهم⁽⁹⁰⁾، وأن ما كان يحمل من خراج العراق إلى دمشق هو (خمسة وعشرون)

(90) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص221. وأرى أن هذا الرقم مبالغ فيه.

مليون درهم⁽⁹¹⁾، إذا ما عرفنا ذلك نكون قد أدركنا مدى الخسارة التي لحقت
ببيت المال المركزي نتيجة لهذه الاضطرابات.

فقد صالح الخليفة معاوية الحسن بن علي ؑ باعطائه ما في بيت مال
الكوفة وهو (خمسة ملايين) درهم، وجعل له خراج داربجرد⁽⁹²⁾، كما وافق
معاوية ان يحمل إلى الحسين بن علي ؑ في كل عام (ألف ألف) درهم⁽⁹³⁾.
وكذلك أصبحت بيوت أموال ولاية العراق تحت سيطرة القوى السياسية
المختلفة، فقد أخذ عبيد الله بن زياد، أثناء هروبه من العراق، أموالاً طائلة بلغت
(تسعة عشر) مليون درهم، فرّق قسماً منها وأدخر الباقي⁽⁹⁴⁾، كما أخذ المختار
الثقفي أثناء سيطرته على الكوفة ما في بيت مالها وهو (تسعة) ملايين درهم
وزعها على الموالي والعرب من أتباعه⁽⁹⁵⁾. وكذلك كان مصعب بن الزبير،
وحمة بن عبد الله بن الزبير، قد أخذوا معهما أموالاً طائلة من بيت مال
البصرة⁽⁹⁶⁾.

(91) محاسنة، محمد حسن سلامة، الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام، رسالة ماجستير،
مكتوبة بالالة الكاتبة، جامعة بغداد - 1986م، ص 204.

(92) الطبري، تاريخ، ج 4، ص 122-123.

(93) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تح، عبد المنعم عامر، دار احياء
الكتب العربية، ط 1، (القاهرة - 1960م)، ص 218.

(94) ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 134 ؛ التذكرة الحمدونية، ورقة (30ب).

(95) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج 4، ص 508 ؛ الغساني، العسجد المسبوك، مخطوطة
مكتبة الجمع العلمي العراقي تحت رقم (35)، ورقة (91ب).

(96) البلاذري، انساب، ج 5، ص 220 ؛ يعقوبي، تاريخ، ج 3، ص 11 ؛ الطبري، تاريخ،
ج 4، ص 578.

أما الخوارج فقد اسهموا في نقصان الخراج في بعض فترات الحكم الأموي للعراق⁽⁹⁷⁾، وقد عاثوا فساداً في فارس، ((ومخروا الأرض وجردوها ما بين كرمان والاحواز))⁽⁹⁸⁾، وحينما اشتد خطر الخوارج على أمن الدولة اضطر الخليفة عبد الملك ابن مروان ان يعطي للمهلب بن أبي صفرة خراج ((فسا ودار مجرد واصطخر))⁽⁹⁹⁾ مقابل قتاله لهم، وعند انتصار المهلب عليهم، أمر الحجاج لسائر الجند بـ (ألفي ألف) درهم، مع جوائز أخرى⁽¹⁰⁰⁾.

وفي بلاد الشام أنفق الخليفة عبد الملك بن مروان أكثر من (500) ألف درهم على أصحاب عمرو بن سعيد الأشدق حينما تخلص منه⁽¹⁰¹⁾، كما أنفق كثيراً على الجراجمة، واضطر إلى ادخالهم في الديوان⁽¹⁰²⁾.

أما على صعيد النفقات العسكرية الخارجية فكانت هي أيضاً طائلة، إذ أن الصفة العامة المميزة للدولة الأموية هي أنها دولة عسكرية⁽¹⁰³⁾، وتقود حركة تحرير وفتوح عظيمة في الخارج وعملية بناء في الداخل، ولكن هذه الحركة توقفت بسبب الحرب الأهلية مما أضعف موقف الدولة تجاه أعدائها وأثقل كاهلها بالنفقات. ففي الجبهة الشمالية، تحركت الجيوش البيزنطية، فاضطر

(97) الخربوطلي، د. علي حسني، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص 401؛ الجومرد، الحجاج رجل الدولة، ص 166.

(98) ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 199.

(99) المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 133؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 120.

(100) غرر السير، ورقة (20ب، 121أ).

(101) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 286.

(102) ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 304؛ كرد علي، خطط الشام، ج 1، ص 149-152.

(103) الخضري، تاريخ الامم الاسلامية، ج 1، ص 213.

الخليفة عبدالملك إلى مصالحتهم واتفق معهم على أن يدفع لهم كل جمعة (ألف) دينار⁽¹⁰⁴⁾، ولكن هذه الحرب عادت ثانية سنة (73هـ / 692م).

أما في الجناح الشرقي للدولة فقد اغتتم رتبيل ملك كابل الفرصة كما اغتتم الترك أوضاع الدولة الداخلية المضطربة فأخذوا يهاجمون حدودها⁽¹⁰⁵⁾.

وبعد تعيين الحجاج على ولاية العراق، ونجاحه في القضاء على الخوارج، وجه اهتمامه إلى الجناح الشرقي للدولة، فجهز جيشاً كبيراً قوامه (أربعون) ألف مقاتل، وجعله تحت قيادة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، وأنفق الحجاج على تجهيز هذا الجيش (ألفي ألف) درهم، سوى اعطيائهم والخيول والسلاح الكامل⁽¹⁰⁶⁾، وبعد تمرد هذا الجيش على عبدالملك والحجاج،... سيطر ابن الأشعث على سجستان وزابلستان وكرمان وفارس وجباها، ثم تمكن من السيطرة على بيت مال الحجاج في الكوفة وذخائره⁽¹⁰⁷⁾، كما فرق الحجاج في الناس، أثناء قتاله لابن الأشعث (مئة وخمسين ألف) درهم⁽¹⁰⁸⁾، وبعد هروب

(104) البلاذري، فتوح، ص 164؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 2؛ ابن الجوزي، المنتظم، مخطوطة محفوظة في المجمع العلمي العراقي برقم (1128)، ورقة (144)؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 194.

(105) البلاذري، فتوح، ص 389، 404.

(106) الطبري، تاريخ، ج 5، ص 141-142؛ المنتظم، ج 6، ورقة (90ب)؛ ابن خلدون، العبر، م 3، ص 47.

(107) غرر السير، ورقة (33أ).

(108) الطبري، تاريخ، ج 5، ص 142؛ ابن كثير، البداية وانهية، ج 9، ص 37.

ابن الاشعث إلى رتبيل اضطر الحجاج الى ترك ما كان يأخذه من أموال من رتبيل مقابل تسليم ابن الاشعث له⁽¹⁰⁹⁾.

وكان الحجاج عسكرياً من الطراز الأول وكان مولعاً بالتحريير والفتوح فيقول فيه رتبيل: ((كان الحجاج رجلاً لا ينظر فيما أنفق إذا ظفر ببغيته ولو لم يرجع إليه درهم))⁽¹¹⁰⁾، وكان يهتم بكل ما يحتاج إليه الجيش، فحين جهز جيش محمد بن القاسم الثقفي، جهزه بكل شيء ((حتى الخيوط والمسال))⁽¹¹¹⁾.

أما في الجناح الغربي للدولة العربية، فقد اضطربت أحوال أفريقية والمغرب، وسيطر عليها البربر والروم، فأرسل الخليفة عبدالملك (زهير بن قيس البلوي) سنة (69هـ / 688م) إلى أفريقية بوجوه العرب وافرغ عليهم أموال مصر⁽¹¹²⁾.

وفي سنة (73هـ / 692م) جهز عبدالملك جيشاً بلغ عدده (أربعون ألف) رجل، لم يدخل أفريقية جيش بقوته جعله تحت قيادة (حسان بن النعمان) وكتب إليه: ((إنني أطلقت يدك في أموال مصر))⁽¹¹³⁾، إلا أن حسان لم يفلح في تحرير

(109) غرر المسير، ورقة (38 أ).

(110) البلاذري، فتوح، ص392.

(111) المصدر نفسه، 424؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص537.

- المسال: هي الابر العظام. ابن منظور، لسان، مادة (سل).

(112) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص201-203؛ المالكي، رياض النفوس،

ص29-30؛ القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص57-58، الناصري، الاستقصا

لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص81-82.

(113) المالكي، رياض النفوس، ص31-36؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص22.

أفريقية... فتراجع حتى أتاه أمر الخليفة ثانيةً بقتال العدو، بعد أن سِير إليه الجنود والأموال، فحررها⁽¹¹⁴⁾.

ومن الناحية الاقتصادية اثرت هذه الحروب وتلك الثورات والتمردات في ميزانية الدولة، بسبب تكاليف الجند والسلاح، وبسبب الاضطرابات في الزراعة، الذي يصحب الاضطراب السياسي في العادة، وإن الدولة وجهت عنايتها لميدان الحرب وقللت العناية بأمور الري والزراعة⁽¹¹⁵⁾، ويؤكد ذلك البلاذري عند كلامه عن تكوين البطائح في السواد إذ يقول: ((... فلما كان زمن الحجاج غرق ذلك لأن بثوقاً انفجرت فلم يعان الحجاج سدها))⁽¹¹⁶⁾، لذلك غرقت أراض واسعة فامتدت البطائح وكبرت. كما أن اختلال الأمن أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من الفلاحين إلى المدن مما أدى إلى ضعف الإنتاج الزراعي، وبالتالي قلة ما تحصل عليه الدولة من أموال.

وهناك أيضاً النفقات العامة والعطاء ورواتب الموظفين، التي زادت بتطور الإدارة وتنظيمها، مما زاد في الحاجة إلى الأموال، ومن أمثلة هذه النفقات، البناء والتعمير، فقد أنفق عبد الملك أمولاً طائلة على بناء بيت المقدس وقبة الصخرة،

(114) ينظر: الفصل الخامس - إدارة أفريقية.

(115) شلي، أحمد، السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي، مط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة - 1964م)، ص 241.

(116) فتوح، ص 291.

البطائح: جمع بطيحة، وهي مساحات واسعة من الأراضي المغطاة بالمياه الراكدة، تقدر بـ (ثلاثين) فرسخاً في ثلاثين فرسخاً، وتقع في المناطق المنخفضة من مجرى نهري دجلة والفرات. ويعود = تاريخ تكوينها إلى العهد الساساني. البلاذري، فتوح، ص 290-291 ؛ ابن رسته، الاعلاق، ص 94-95.

حيث أمر أن تفرغ الأموال افراغاً، ولما كمل بناؤها زاد من المال المرصود لها (مائة) ألف دينار، فأمر الخليفة عبدالمملك أن تسبك ذهباً وتفرغ على القبة والأبواب⁽¹¹⁷⁾.

أما مدينة واسط فقد كلف بناؤها أكثر من (ثلاثة وأربعين) مليون درهم، احتسب الحجاج (اربعة وثلاثين) مليون درهم منها على النفقات العسكرية خوفاً من غضب الخليفة عبدالمملك⁽¹¹⁸⁾. وهناك أيضاً بناء مدن الثغور والحصون، كعسقلان، وقيسارية، وصور وعكا التي خربتها الروم⁽¹¹⁹⁾. وكذلك نفقات مشاريع الري والزراعة⁽¹²⁰⁾.

ثم هناك الأرزاق والاعطيات والرواتب التي كان يتقاضاها الجند والموظفون، والتي زادت أثر الاصلاحات والتنظيمات الادارية الواسعة للخليفة عبدالمملك، إذ توسعت المؤسسات الادارية وتضخم عدد الموظفين والجند⁽¹²¹⁾. فكانت مثلاً عمالة الحجاج (مخصصاته الاضافية) نصف مليون درهم⁽¹²²⁾، وذكر البلاذري⁽¹²³⁾: بأن صاحب الشرط تسلم عن عمله (مائة ألف) درهم في أوائل

(117) مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل، ج 1، ص 275 ؛ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 8، ص 280-281 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص 69، 355.

(118) ياقوت، معجم البلدان، م 3، ص 349 ؛ عمر ابو النصر، سيوف أمية، ص 334.

(119) البلاذري، فتوح، ص 148-149.

(120) ينظر: المبحث الثالث من هذا الفصل.

(121) ينظر: الفصل الثالث، (ديوان الجند).

(122) البلاذري، انساب، ج 5، ص 330-331 ؛ مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص 362.

(123) انساب الاشراف، ج 5، ص 177.

عصر الخليفة عبدالملك بن مروان، ويذكر الجهشيارى⁽¹²⁴⁾: ان الكتاب والعمال في العصر الأموي كانوا يأخذون (ثلاثمائة) درهم شهرياً. كما كان الحجاج يُنفق أموالاً طائلة لإطعام جنده، حيث كان يضع طعاماً كاملاً لجند الشام عنده كل يوم (لعشرة آلاف) نفس⁽¹²⁵⁾.

فضلاً عن ذلك كانت هناك المصروفات الشخصية للولاة التي كانت تصل أحياناً إلى درجة كبيرة من الاسراف والتبذير فكان عبدالعزیز بن مروان والي مصر قد أحاط نفسه بمظاهر الترف والاسراف⁽¹²⁶⁾، وكذلك كان امية بن عبدالله والي خراسان مسرفاً بدرجة كبيرة⁽¹²⁷⁾.

وكذلك يجب أن لا ننسى أن عملية الإصلاح والتنظيم نفسها كانت تحتاج لأموال ليست قليلة، فعند تعريب سليمان بن سعد الخشني لديوان الشام مثلاً جعل الخليفة عبدالملك خراج الاردن لمدة سنة وهو (180) ألف دينار معونة له في عمله⁽¹²⁸⁾.

(124) الوزراء والكتاب، ص 42، 126.

(125) المبرد، الكامل، ج 1، ص 305؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 5، ص 14-15؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، نشر، بطرس غريان نيويج، (موسكو-1967م)، ص 316.

(126) ينظر: الفصل الخامس، ادارة مصر.

(127) ينظر: الفصل الخامس، ادارة خراسان.

(128) البلاذري، فتوح، ص 197.

2. أثر التحولات المالية والاجتماعية:

يلاحظ منذ بدايات العصر الاموي ظهور تحولات مالية واجتماعية واسعة النطاق كان لها أثر كبير في تقليل موارد بيت المال.

ومن أخطر هذه التحولات، ظاهرة انتقال الأراضي الخراجية إلى عشرية، فيلاحظ بروز اتجاه عام لدى العرب المسلمين لامتلاك الأراضي واستثمارها، وقد انتقلت هذه الأراضي بطرق مختلفة، كالشراء الذي أخذ يزداد في هذه الحقبة⁽¹²⁹⁾، كما أن هناك أراضي ((خرجت من أيدي أهلها إلى قوم مسلمين بهبات وغير ذلك من أسباب الملك فصيرت عشرية وكانت خراجية))⁽¹³⁰⁾، ويستنتج من هذا النص أن هناك أراضي كثيرة تحولت إلى أرض عشرية، لامتلاك المسلمين لها بطرق مختلفة، وهذه الظاهرة لم تكن موجودة زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه⁽¹³¹⁾، ولم يكن يُسمح بها، لأن الأرض الخراجية تبقى خراجية، سواء أسلم صاحبها أو امتلكها مسلم⁽¹³²⁾. كما بدأت في هذه الحقبة ظاهرة الاجلاء، إذ أخذ عدد من الملاكين الصغار بالاجاء اراضيهم إلى الأمراء والمتنفذين العرب من أجل حمايتهم مما أدى إلى ازدياد الملكيات الكبيرة نسبيا وإلى تحول الأراضي الخراجية إلى عشرية⁽¹³³⁾، وتعكس ظاهرة الاجلاء هذه اضطراب أحوال الدولة وضعف سيطرتها واختلال الأمن، ولا بد أن الظروف السياسية المضطربة هذه

(129) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م 1، ص 183 فما بعدها.

(130) البلاذري، فتوح، ص 361.

(131) المصدر نفسه، ص 268.

(132) أبو يوسف، الخراج، ص 69؛ ابن آدم، الخراج، ص 22؛ البلاذري، فتوح، ص 433؛

الماوردي، الاحكام، ص 142؛ ابن عساكر، التاريخ الكبير، ج 1، ص 182.

(133) البلاذري، فتوح، ص 292؛ العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص 204.

والتي مرّ بها العراق منذ وفاة معاوية سنة (60هـ / 679م) إلى مجيء الحجاج إلى العراق سنة (75هـ / 694م) أدت إلى تداول ملكية هذه الأراضي في أيدي عدد من الحكام⁽¹³⁴⁾، ولا بد أن ذلك أدى بالتالي إلى انتقال قسم كبير من الأراضي الخراجية إلى عشيرة.

ويبدو أن القطائع في هذه الفترة قد كثرت أيضاً، نتيجة الصراعات السياسية، إذ استلزم الاكثار من المؤيدين والانصار أو لشراء ولاءات الطموحين السياسيين، كما حدث حينما أعطى الخليفة معاوية بن أبي سفيان، عبدالله بن الزبير أرضاً بعمالها⁽¹³⁵⁾، كما أن اتساع رقعة الدولة الأموية اتاح المجال للخليفة أن يقطع ويكافئ بمزيد وفي غير ضيق.

كما قام الخليفة معاوية بالسيطرة على أراضي الصوافي⁽¹³⁶⁾، حيث استصفى أراضي الملوك والنبلاء، فاستصفى في العراق أراضي كسرى وعائلته، في الكوفة والبصرة، وفعل الشيء نفسه في الشام والجزيرة واليمن، حيث استصفى أراضي الملوك وصيرها لنفسه خالصة، وأقطعها أهل بيته وخاصته، وكانت له صوافي أيضاً في مكة والمدينة، ويُحمل إليه منها الحنطة والتمر⁽¹³⁷⁾.

(134) المعاضدي، واسط في العصر الأموي، ط1، دار الحرية للطباعة، (بغداد - 1976م)، ص408.

(135) محمد بن طلحة، العقد الفريد للملك السعيد، ورقة (54 أ).

(136) يرى أبو يوسف أن الصوافي بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد فلامام أن يقطع منها لمن أراد، وللامام أن يضع عليها من الضريبة ما يرى، وقد وضع الخراج على قطائع كانت تسقى بانهار الخراج ووضع العشر على قطائع أخرى لما صرف عليها كحفر الأنهار وبناء البيوت. الخراج، ص58.

(137) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص207، 222.

وقد قام الخليفة معاوية بفصل هذه الصوافي عن بيت المال، وجعلها ملكاً له، وبلغت إيرادات صوافي السواد وحدها (سبعة آلاف ألف) درهم⁽¹³⁸⁾، فضلاً عن إيرادات الصوافي الأخرى، التي يبدو أنها لم تكن قليلة. ويبدو أن رغبة الخليفة معاوية في الاكثار من الجوائز والعطايا السياسية، هو الهدف من وراء السيطرة على هذه الصوافي، ويظهر ذلك عندما كتب إلى عامله على خراج العراق قائلاً له: ((ان احمل إلي من مالها ما استعين به))⁽¹³⁹⁾. ولا ريب أن استئثار معاوية بالصوافي لنفسه ألحق ببيت المال خسارة كبيرة⁽¹⁴⁰⁾. وكذلك سيطر الخليفة عبدالمك بن مروان على بعض أراضي البطيحة التي أصلحها مصعب، فاقطعها عبدالمك الناس⁽¹⁴¹⁾، ويبدو أن اقطاعات الخليفة عبدالمك هذه كانت لأسباب سياسية، حيث أقطع مالك بن مسمع، لموقفه المساند للامويين يوم الجفرة⁽¹⁴²⁾، كما أقطع الحميمة لعلي بن عبدالله بن العباس⁽¹⁴³⁾.

أما القطائع في بلاد الشام، فأصلها ما تركه انباط القرى والبطارقة وهربوا عنه، فأوقفت على المسلمين، وأقطع عثمان لمعاوية منها، وأقطع معاوية في خلافته منها لانس آخرين وبقي قسم من هذه الأراضي، فأقطع الخليفة

(138) ابو يوسف، الخراج، ص 57؛ البلاذري، فتوح، ص 272؛ قدامة، الخراج، ص 217.

(139) اليعقوبي، تاريخ، ج 2، ص 207.

(140) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص 122.

(141) البلاذري، انساب، ج 5، ص 281.

(142) المصدر نفسه، ج 4، ق 2، ص 157-158. عن يوم الجفرة ودور مالك بن مسمع،

ينظر: الطبري، تاريخ، ج 5، ص 3.

(143) الحميري، محمد بن عبدالمعمر، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح، د. احسان

عباس، ط 2، (بيروت - 1984م)، ص 199.

عبدالملك أشرف الناس حين سألوه ذلك، كما أقطع قطائع من ارض خراجية باد أهلها ولم يتركوا عقبا، وجعلها عشرية⁽¹⁴⁴⁾. وكذلك اقطع الناس القطائع في عسقلان وعين الوردية وأسكن الناس بهما⁽¹⁴⁵⁾، لأجل العمل على صمودها بوجه الاعداء، كما أقطع أقربائه قطائع في بلاد الشام، ((فكانت أو أكثرها مواتاً))⁽¹⁴⁶⁾.

وقد سمح الخليفة عبدالملك وابنيه الخليفة الوليد والخليفة سليمان، لمن سألهم بشراء الأراضي من أهل الذمة على شرط ادخال أثمانها بيت المال وتكون عونها لأهل الخراج لأداء خراج سنتهم⁽¹⁴⁷⁾.

ومن الاحداث الخطيرة التي كان لها اثر كبير في زيادة الأراضي العشرية، هي حادثة احراق سجل الأراضي (ديوان الخراج) في العراق، أثناء تمرد ابن الاشعث سنة (82هـ/ 701م) فقد أخذ كل قوم ما يليهم من اراضي الدولة، مدعين بانها عشرية⁽¹⁴⁸⁾، مما سبب خسارة لبيت المال.

وهكذا تقلصت مساحة الاراضي الخراجية ولاسيما في العراق أخصب أراضي الدولة العربية الاسلامية، حيث كانت هذه الاراضي وما يؤخذ منها (الخراج) المورد الرئيس لبيت مال العامة، مما أسهم وبشكل فاعل في تقليص الوارد المالي للدولة.

(144) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م 1، ص 595.

(145) البلاذري، فتوح، ص 148-149، 181-182.

(146) المصدر نفسه، ص 152؛ قدامة، الخراج، ص 303-304.

(147) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م 1، ص 596.

(148) أبو يوسف، الخراج، ص 57؛ البلاذري، فتوح، ص 272؛ الصولي، أدب، ص 219.

وأزدادت في هذه الفترة أيضاً هجرة الفلاحين إلى المدن والأمصار والسكن فيها، ولهذه الظاهرة أسباب متعددة، منها، التحولات الاجتماعية والتغيرات الطبيعية في أرض السواد كانهلال النظام الاقطاعي الساساني، وسيطرة العرب على الادارة الزراعية، ثم التغيرات في مجاري الانهار كنهر دجلة، مما سبب تكون البطائح في أرض السواد⁽¹⁴⁹⁾. كما أن اختلال الامن والنظام، وضعف سيطرة الدولة، وتخريب القرى والمزارع، نتيجة الاضطرابات السياسية والعسكرية في هذه الفترة، كانت بالتأكيد من الأسباب المهمة لهجرة الفلاحين من قراهم والنزوح إلى المدن حيث الأمن والاستقرار، وكانت هذه الهجرة من المشاكل الرئيسية التي واجهت الحجاج والدولة الاموية، وقد نتجت عن هذه الهجرة اضرار اقتصادية، بالزراعة خاصة، مورد الدولة الرئيس، إذ حرمت الاراضي الزراعية من بعض الأيدي العاملة، فنقص انتاجها، كما زادت في الأعباء على من بقي من الفلاحين، مما كان يدفعهم إلى الهجرة أو تحمل حياة صعبة، وقد نتج عن كل ذلك نقص في دخل الدولة العام، وإلى استعمال الدهاقين أساليب قاسية في الجباية، كانت تأخذ بنظر الاعتبار مصالحهم بالدرجة الأولى⁽¹⁵⁰⁾، كما أن قسما من هؤلاء المهاجرين الموالي قد اسلم، فضلاً عن أن عدد الذين أسلموا في هذه الفترة قد كثر لأسباب مختلفة، وهذا يعني إعفاءهم من الجزية، التي أثرت نوعاً ما على وارد بيت المال، ولكنه من الناحية الأخرى عَقَدَ مسؤولية الدهاقين في جباية الضرائب، أي ان انتشار الاسلام لم يكن في صالح هؤلاء الدهاقين،

(149) للتفصيل ينظر: العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص74-75 ؛ دينيت، الجزية والاسلام، ص73-75.

(150) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص84 ؛ كاشف، د. سيدة اسماعيل، الوليد بن عبدالمك، سلسلة أعلام العرب (17)، (القاهرة - 1962م)، ص74-75.

فوقفوا ضد انتشاره لاسباب مختلفة⁽¹⁵¹⁾، وصورا اسلام هؤلاء تهرباً من الجزية، فعندما بدأت حركة الهجرة والتحول إلى الاسلام تؤثر على الخراج، كتب عمال الخراج إلى الحجاج بانكسار الخراج⁽¹⁵²⁾.

وبذلك يتبين لنا بان هذه الظروف والمستجدات التي مرت بها الدولة الاموية كانت من الناحية الاقتصادية قد أثرت على واردات بيت المال، وسببت حاجة متزايدة للاموال، مما استوجب التعجيل في معالجتها، بأساليب تتناسب مع هذه التحولات، للاستمرار في عملية البناء والتحرير.

(151) ينظر: ص

(152) البلاذري، انساب الاشراف، ص336-337 (اهلوت) ؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص182.

المبحث الثالث

دور الحجاج بن يوسف الثقفي في معالجة النقص المالي

لقد عالج الخليفة عبدالملك بن مروان هذه الظروف والاحوال الجديدة، باتباع سياسة اصلاحية وتنظيمية واسعة النطاق، قادها بنفسه، ونفذها امراؤه في العديد من اقاليم الدولة الأموية، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي، أمير العراق والمشرق الاسلامي، وقد بذل الحجاج جهوداً اصلاحية كبيرة، موجهة بالدرجة الاولى الى الزراعة، عماد الخراج والذي هو المورد الرئيس لبيت المال، كما عالج موضوع التحولات الاجتماعية والمالية وأوجد لها الحلول العملية.

قام الحجاج بانشاء العديد من المشاريع الزراعية، ومنها حفر الانهار، حيث حفر نهر الانبار على الفرات، الذي لم يتمكن سعد بن عمرو بن حرام من حفره، لان تلاً اعترضه، فتمكن الحجاج من حفره بعد أن أنفق عليه الكثير، فنسب التل الى الحجاج، ونسب النهر الى سعد بن عمرو⁽¹⁵³⁾، وهنا يظهر بوضوح التحزب ضد الحجاج ومحاولة التقليل من شأن اعماله، وقبل اتخاذ الحجاج واسط، أراد نزول الصين من كسكر⁽¹⁵⁴⁾، فحفر نهر الصين، ثم غير رأيه، فأنشأ واسطاً فنزلها وحفر النيل والزابي، وأحيا ما على هذين النهرين من الأراضي⁽¹⁵⁵⁾، وأحدث المدينة التي تُعرف بالنيل ومصرها⁽¹⁵⁶⁾، كما أعاد

(153) البلاذري، فتوح، ص 273-274.

(154) كسكر: ناحية واسعة، قصبتها واسط القصب، والتي بين الكوفة والبصرة. ياقوت،

معجم البلدان، م 4، ص 461.

(155) البلاذري، فتوح، ص 288؛ ياقوت، معجم البلدان، م 5، ص 348.

(156) البلاذري، فتوح، ص 288؛ ياقوت، معجم البلدان، م 5، ص 348.

الحجاج حفر نهر (صراة جاماسب) على يسار النيل⁽¹⁵⁷⁾، وامتدت عناية الخليفة عبد الملك بن مروان وولاته بحفر الانهار إلى الأقاليم الاخرى، حيث قام سعيد بن عبد الملك بن مروان، بحفر نهر في الموصل فسمي نهر سعيد⁽¹⁵⁸⁾، كما اعتنى الخليفة عبد الملك بن مروان، بحفر وتجديد القنوات في بلاد الشام⁽¹⁵⁹⁾. ومن أجل توسيع رقعة الأراضي الزراعية قام الحجاج بحملة واسعة لاستصلاح أراضي البطائح، فقد ((عمد إلى ضياع كان عبدالله بن دراج مولى معاوية ابن أبي سفيان استخرجها له...، من موات مرفوض ونقوض مياه ومغايض وآجام ضرب عليها المسنيات، ثم قلع قصبها فحازها لعبد الملك بن مروان وعمرها))⁽¹⁶⁰⁾، كما استخرج حسان النبطي مولى بني ضبة للحجاج أراضي من أراضي البطائح⁽¹⁶¹⁾. ويُستتج من المصادر التاريخية الاموال الطائلة التي كان ينفقها الحجاج لاستصلاح الاراضي، فيقول البلاذري⁽¹⁶²⁾: ((انبثقت البثوق ايام الحجاج، فكتب الى الوليد بن عبد الملك يعلمه انه قدّر لسدها (ثلاثة آلاف ألف درهم))

وكان الحجاج دائم التبع لأحوال الفلاحين ومزارعهم، حيث كان يزورهم باستمرار، يتفقد احوالهم واحوال الزرع⁽¹⁶³⁾، ويتتبع كميات المطر

(157) طه، العراق في عهد الحجاج، ص 194، حاشية رقم (2).

(158) البلاذري، فتوح، ص 328 ؛ قدامة، الخراج، ص 382.

(159) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تح، دومنيك سورديل، (دمشق - 1953م)، ج 1، ق 1، ص 144.

(160) البلاذري، فتوح، ص 288.

(161) المصدر نفسه، ص 291 ؛ قدامة، الخراج، ص 169 ؛ الماوردي، الاحكام، ص 179.

(162) فتوح، ص 292 ؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 241 ؛ قدامة، الخراج، ص 169-170.

(163) الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، ص 146.

الساقطة، فيسأل الرسل والوفود عن أحوال البلاد الزراعية، والامطار الساقطة وكمياتها⁽¹⁶⁴⁾، ثم يكتب بكل ذلك إلى الخليفة عبدالملك بن مروان⁽¹⁶⁵⁾.

ومن أجل توفير وسائل الانتاج الضروري للعمل الزراعي، قرر الحجاج منع ذبح البقر⁽¹⁶⁶⁾، لأجل تكاثرها واستخدامها في عمليات الحراثة، كما أرسل محمد بن القاسم الثقفي، عامل الحجاج على السند بألوف من الجواميس⁽¹⁶⁷⁾، لاستخدامها في استصلاح البطائح، وربما في العمل الزراعي، كما ((أتى الحجاج بخلق من زط السند وأصناف ممن بها من الأمم معهم أهلهم وأولادهم وجواميسهم فأسكنهم بأسفل كسكر... فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها))⁽¹⁶⁸⁾، ولابد ان الحجاج استفاد من هؤلاء في العمل الزراعي. ويستنتج من هذه النصوص ان الدولة كانت تقوم بانجاز مشروعات زراعية ضخمة، وانها كانت بحاجة الى الايدي العاملة الزراعية، لانجاح هذه المشروعات، ومن هنا جاءت خطوة الحجاج في اخراج الفلاحين من المدن والامصار، حيث كانت ذات نتائج

(164) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص166-167 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص33-35.

(165) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص386-387.

(166) البلاذري، أنساب، ج11، ورقة (37 أ) ؛ ابن رسته ؛ الاعلاق، ص105 ؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص15 ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص234 ؛ ياقوت، معجم البلدان، م3، ص274.

فقال في ذلك الشاعر: شكونا إليه خراب السواد فحرّم جهلا لحوم البقر
والحق ان الحجاج لم يحرم لحوم البقر وإنما منع ذبحها، ويظهر في ذلك التحزب ضد الحجاج.
(167) البلاذري، فتوح، ص172.
(168) المصدر نفسه، ص368.

سلبية كبيرة على الزراعة، وعلى المدينة، لذلك فإن عمل الحجاج هذا له ما يسوغه اقتصادياً.

ومن الاعمال الرائدة للحجاج، قيامه باقراض الفلاحين (مليون درهم⁽¹⁶⁹⁾)، لمساعدتهم على تمشية امورهم الزراعية، وبذلك يُعد الحجاج أول من أوجد فكرة مصرف التسليف الزراعي في التاريخ العربي الاسلامي، وبدون فائدة.

ومن المظاهر التي تؤكد اهتمام الحجاج بالامور الزراعية، الاحتفالات الرسمية التي كان يقيمها في مدينة واسط في أوقات نضج بعض الغلات الزراعية⁽¹⁷⁰⁾.

ويتبين لنا من خلال ما كان يصرفه الحجاج من اموال طائلة على الزراعة واصلاحها، ان الدولة لم تكن في ازمة مالية، بل يمكن القول أنه نقص مالي لدولة بناء وحرب.

أما فيما يتعلق بتحول الاراضي الخراجية الى عشرية، فقد قرر الحجاج اعادة فرض الخراج عليها مهما كان مالکها مسلماً أو غير مسلم⁽¹⁷¹⁾، لان الاراضي الخراجية هي ملك للدولة، وان الضريبة عليها بمثابة الایجار، ولا تسقط هذه الضريبة باسلام صاحبها أو بيعها الى مسلم، أي لا يجوز تحويل الاراضي

(169) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص15 ؛ ابن رسته، الاعلاق، ص105 ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص234.

(170) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص129.

(171) البلاذري، فتوح، ص361 ؛ فوزي، د. فاروق عمر وآخرون، النظم الاسلامية، ص117.

الخراجية الى عشرية⁽¹⁷²⁾، ولذلك فان اجراء الحجاج هذا اصولي ومطابق لاحكام الشريعة الاسلامية. ومن الناحية العملية كان لقرار الحجاج هذا ما يسوغه أيضاً، إذ رأى أن مساحات واسعة من الاراضي الخراجية أخذت تتحول الى عشرية، مما أدى إلى انخفاض وارد بيت المال، كما سبب ارتباكاً في نظام ملكية الاراضي الزراعية، فلذلك قام الحجاج بارجاع الاراضي العشرية في الفرات، والتي كانت في الأصل خراجية، إلى الخراج⁽¹⁷³⁾، وكان الحجاج يقول: ((ما ابغض إلي ان تكثر العرب في أرض الخراج))⁽¹⁷⁴⁾، ومعنى هذا ان سياسة الحجاج لم تكن موجهة ضد فئة معينة بل كان دافعه مصلحة الدولة.

اما فيما يتعلق باسلام اهل الذمة وهجرتهم الى المدن والامصار، فيبدو انها قد استمرت وازدادت مما أثر سلباً على موارد بيت المال، في وقت كان الحجاج يقوم فيه باصلاحات زراعية واسعة، وربما بالغ عمال الخراج في ذلك حفاظاً على مصالحهم، فجاءت الحجاج كتبهم منذرة، ان الخراج قد انكسر وان اهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له أصل في قرية فليخرج إليها⁽¹⁷⁵⁾، (لتؤخذ منهم الجزية)⁽¹⁷⁶⁾. ان تشدد الحجاج في

(172) أبو يوسف، الخراج، ص 69؛ ابن آدم، الخراج، رقم (153-193)؛ أبو عبيد، الاموال، ص 111-122؛ الماوردي، الاحكام، ص 147؛ ابن القيم، أحكام، ق 1، ص 119.

(173) البلاذري، فتوح، ص 361.

(174) الطبري، تاريخ، ج 5، ص 115.

(175) البلاذري، أنساب، ص 336-337، (اهلوت)؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 182؛ ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 465.

(176) (لتؤخذ منهم الجزية) هذه العبارة أضافها ابن الاثير من عنده على رواية الطبري عند نقلها منه.

سياسته هذه دفع بعض المتضررين إلى أن ينحازوا مع تمرد ابن الاشعث ولكن دون جدوى.

ومن خلال دراسة هذه الرواية يتبين لنا بأنها، رواية منفصلة عن تمرد ابن الاشعث، ويبدو ان اخراج الحجاج لهؤلاء، كان دافعه الأول اقتصادياً، إذ أثرت هذه الهجرة كما قلنا سابقاً على الخراج وعلى مشاريع الحجاج الاصلاحية، فأصدر أمره بارجاع هؤلاء الفلاحين الى قراهم الاصلية، وهي مرحلة أولى من التهجير، ولم تشر هذه الرواية صراحة الى ان الحجاج أخذ الجزية ممن أسلم، أما ما أضافه ابن الأثير فالظاهر انه تفسير واستنتاج من الراوي لكتاب الحجاج.

ويورد الطبري رواية أخرى، مفادها ان الحجاج: ((ردهم (الفلاحين) إلى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم))⁽¹⁷⁷⁾.

اما رواية ابن عبد ربه، التي نقلها من الجاحظ في كتابه (الموالي والعرب) فيقول: بأن الحجاج أراد أن يسقط ديوانهم ويفرق جمعهم، حتى لا يتآمروا عليه، ففرقهم وفض جمعهم، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي أرسله إليها⁽¹⁷⁸⁾.

وتفسر لنا هذه الرواية عمل الحجاج، باخراج الفلاحين، تفسيراً سياسياً، بالدرجة الاولى، بسبب اشتراك هؤلاء في تمرد ابن الاشعث، ومساهمتهم في فقدان الأمن والنظام في مدن العراق. ويبدو ان هذا الاخراج كان أوسع وأشمل منه في المرحلة الاولى.

(177) تاريخ الامم والملوك، ج5، ص359.

(178) العقد الفريد، ج3، ص416-417.

وهناك رواية رابعة تفسر ما قام به الحجاج تفسيراً لغوياً أدبياً⁽¹⁷⁹⁾.

ونعود إلى رواية الطبري الثانية، والتي أشارت صراحة، وبشكل واضح لا لبس فيه إلى أن الحجاج وضع الجزية على هؤلاء المهاجرين المسلمين وأرجعهم إلى قراهم الأصلية.

ولمناقشة ذلك نقول:

1. ان مسألة جباية الضرائب كانت في غالب الاحيان بيد الدهاقين، الذين استمروا في ذلك على ما يبدو طيلة العصر الاموي⁽¹⁸⁰⁾، وأنهم هم الذين طلبوا من الحجاج ارجاع هؤلاء المهاجرين وإلا فلا خراج، أي ان الخطوة الاولى جاءت من عمال الخراج والدهاقين، وكان هؤلاء يتلاعبون بجباية الجزية ويفرضونها على المسلمين الجدد، بحجة الخوف من نقص الخراج. إلا أن ذلك لا يعني الحجاج من المسؤولية.

2. إن هذه المسألة قد بولغ فيها كثيراً، بسبب الظروف والعوامل السياسية والقومية والدينية ومصلحة الدهاقين، أي لم تكن هذه الخطوة من جانب الحجاج سياسة مرسومة عامة، بل نشأت لظروف خاصة محلية وتداخلت فيها عوامل السياسة.

3. كان الحجاج يهدف من وراء ارجاع الفلاحين إلى توفير الايدي العاملة الزراعية، حفاظاً على الخراج. وقد لا يسمح لصاحب الخراج بالهجرة فان

(179) ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص96-97 ؛ العسكري، الاوائل، ص255.

(180) الطبري، تاريخ، ج5، ص129، 315 ؛ الدوري، نظام الضرائب في خراسان في صدر الاسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، م11، لسنة 1964م، ص80.

ترك أرضه عدّ متهرباً من التزامه ويتحتم ارجاعه⁽¹⁸¹⁾، ومع ذلك لاقت هذه الخطوة معارضة شديدة.

4. لم تكن هذه السياسة موجهة ضد الموالي كما يدعي بعض المؤرخين المحدثين⁽¹⁸²⁾ بل هدفها مصلحة الدولة فقط، فقد ارجع الحجاج أهل العراق (وهم عرب) من الحجاز إلى بلدهم⁽¹⁸³⁾، كما زادت الضرائب على أهل اليمن وهم عرب⁽¹⁸⁴⁾، بل حاول أن يستولي على أموال أخيه محمد بن يوسف عامل اليمن عند وفاته لولا تدخل الخليفة الوليد الذي منعه من ذلك⁽¹⁸⁵⁾، كما فرض الخراج على الأراضي التي امتلكها العرب⁽¹⁸⁶⁾.

5. هناك بعض الاشارات التاريخية التي قد توحي لنا أن هناك من أخذ الجزية من المسلمين فيذكر أبو عبيد⁽¹⁸⁷⁾، أن رجلاً أسلم وكانت تؤخذ منه الجزية فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه برفعها عنه، وعلى الرغم من أن مثل هذه الحالات فردية، وبدون علم الخليفة، إلا أنها ربما تؤثر وجود بدايات لدى

(181) الدوري، نظام الضرائب، ص 48، نقلا عن الطبري، تاريخ، ص 1122-1123.

(182) فلوتن، السيادة العربية، ص 41؛ جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، ص 58؛ زيدان، تاريخ التمدن، ج 1، ص 21-22.

(183) الطبري، تاريخ، ج 5، ص 261.

(184) البلاذري، فتوح، ص 84.

(185) الطبري، تاريخ، ج 5، ص 135.

(186) البلاذري، فتوح، ص 361.

(187) الأموال، ص 59، رقم (122)؛ ابن القيم، أحكام، ق 1، ص 58.

الدهاقين. ويذكر لنا الطبري⁽¹⁸⁸⁾، رواية على جانب كبير من الأهمية في هذا الموضوع ضمن احدث سنة (77هـ/696م) في خراسان، وفي ولاية أمية بن عبدالله، تشير صراحة إلى أن الجزية تؤخذ من أعداد كبيرة من المسلمين، ولا بد أن ذلك كان منذ زمن ليس بقصير، وكان المسؤول عن ذلك بالدرجة الأولى هم الدهاقين والأمراء المحليين، ساعد على ذلك اضطراب أحوال العراق وخراسان منذ وفاة معاوية سنة (60هـ/679م).

6. من المعروف أن أعداد من وجبت عليهم الجزية في السواد في عصر الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه محدود (خمسمائة) ألف⁽¹⁸⁹⁾، ولا بد أن أعداداً كبيرة منهم أسلمت إلى أن أعادها الحجاج محدود سنة (82هـ/701م)، وأن متوسط الجزية هو (24) درهم، وبعملية حسابية بسيطة ندرك أن ما تحصل عليه الدولة من هؤلاء لا يشكل مورداً مهما لبيت المال، إذا علمنا أن الحجاج أنفق على حملة فتح الهند (ستة) ملايين درهم⁽¹⁹⁰⁾، كما أن الجزية بذاتها ليست ثقيلة لدولة كثيرة النفقات كالدولة الاموية، وأن ما حصل ليس سياسة عامة، وإنما حالات قليلة استغلها أعداء الحجاج الكثيرون ومن الشعوبية الفارسية خاصة، لدوره الكبير في حركات التحرير الواسعة وعمليات الاصلاح والتنظيم، التي قضت على مصالحهم، وهذا ما يفسر لنا وجود مشكلة للموالي في العراق، وعدم وجودها في مصر، على الرغم من

(188) تاريخ الامم والملوك، ج5، ص129 ؛ ينظر: موضوع الضرائب في خراسان من هذا الفصل.

(189) ابن خردادبة، المسالك والممالك، ص14 ؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص105 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص133 ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص234.

(190) البلاذري، فتوح، ص472.

أن أعدادهم كانت كبيرة⁽¹⁹¹⁾، وبذلك يتبين لنا بأن الموضوع لا يستحق كل هذه الضجة التي اثارها المستشرقون بقصد النيل من الدولة العربية الاسلامية.

7. إن فرض الجزية على المسلمين من الناحية الشرعية مخالف لقواعد الشرع الاسلامي، إلا أنه يبدو أن أعداداً ليست قليلة أسلمت تهرباً من الجزية فقد عدها وجهاء أصفهان سمة صغار وذل فأسلموا⁽¹⁹²⁾، وكذلك أسلم الأساورة أول أمرهم تعوذاً باعترافهم⁽¹⁹³⁾.

8. لقد أدت سياسة الحجاج هذه إلى استياء الموالي الذين تضرروا باصلاحاته، كما عارضها بعض العرب المسلمين الذين تعرضت اراضيهم لاعادة فرض الخراج عليها، وكان ذلك من أهم اسباب تأييدهم لابن الأشعث، فقام هؤلاء مع الموالي بحرق ديوان الخراج لطمس نوعيتها، مما يؤكد سوء نواياهم، فسيطروا على الأراضي الخراجية وعلى القطائع، مدعين بأن اراضيهم عشرية وليست خراجية⁽¹⁹⁴⁾.

أما فيما يتعلق بنتائج سياسة الحجاج لمعالجة النقص في وارد بيت المال، فعلى الرغم من أنها أدت إلى معارضة شديدة، إلا أنها على ما يبدو قد نجحت وأنعشت خزينة الدولة، ويظهر ذلك بزيادة الخراج في العراق، إلا أن روايات المؤرخين تختلف في مقداره، وذلك راجع إلى أسباب منها، تحزب الروايات ضد

(191) ذكر ابن عبدالحكم، بأن عدد من وجبت عليهم الجزية، (6) ستة ملايين، وفي رواية أخرى (8) ثمانية ملايين. فتوح مصر وأخبارها، ص70.

(192) البلاذري، فتوح، ص310

(193) المصدر نفسه، ص366.

(194) المصدر نفسه، ص272؛ الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص33.

الامويين عامة والحجاج خاصة، كما أن طول عصر الحجاج أدى إلى الاختلاف، إذ لا تذكر هذه الروايات تاريخاً محدداً لذلك، ويمكن ايراد خراج السواد في عصره كما يأتي:

1. ثمانية عشر مليون درهم⁽¹⁹⁵⁾.
2. أربعة وعشرون مليون درهم⁽¹⁹⁶⁾.
3. أربعون مليون درهم⁽¹⁹⁷⁾.
4. ثمانون مليون درهم⁽¹⁹⁸⁾.
5. مائة وثمانية عشر مليون درهم⁽¹⁹⁹⁾.

وهناك بعض المؤشرات التي تؤيد نجاح سياسة الحجاج في زيادة وارد بيت المال، فقد اقترض الحجاج الفلاحين بعد سنة (82هـ / 701م)، (مليون درهم)⁽²⁰⁰⁾، كما ذكرنا ذلك سابقاً، وجبى عامل الحجاج خراج الفلوجتين وقد بلغ (ثمانية عشر) مليون درهم⁽²⁰¹⁾، كما أن الحجاج عند وفاته ترك في بيت المال

(195) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص14 ؛ ابن رسته، الاعلاق، ص105 ؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص133.

(196) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص14 ؛ الصولي، أدب، ص220.

(197) البلاذري، فتوح، ص270 ؛ الصولي، أدب، ص220.

(198) الصولي، أدب، ص220.

(199) الماوردي، الأحكام، ص175.

(200) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص15 ؛ ابن رسته، الاعلاق، ص105 ؛ ابن

حوقل، صورة الارض، ج1، ص234.

(201) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص41.

أكثر من (مائة مليون) درهم⁽²⁰²⁾. وبذلك نستطيع القول بأن سياسة الحجاج
لمعالجة النقص المالي قد نجحت.

(202) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 274.

المبحث الرابع

تنظيمات الخليفة عبد الملك بن مروان المالية

1. بلاد الشام والجزيرة الفراتية:

لم يعد تنظيم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكل أسسه وتفصيلاته، يتماشى مع أوضاع الدولة، وقد مضى عليه أكثر من نصف قرن، لذلك قام الخليفة عبد الملك بن مروان بعملية تنظيم للضرائب في أنحاء الدولة، محاولاً توحيد نظمها، كما وحد الدولة سياسياً، وبذل جهوداً كبيرة في هذا المجال، مراعيًا أحوال كل بلد وظروفه، لذلك سنبحث إصلاحات الخليفة عبد الملك بن مروان حسب الأقاليم.

لقد حررت مدن الجزيرة الفراتية صلحاً وريفاً عنوة⁽²⁰³⁾، كما ذكرنا سابقاً، فلذلك عدت أرضها أرض خراج⁽²⁰⁴⁾، وعلى هذا الأساس يحق للامام (الخليفة) أن يعدل نظام الضرائب المفروض عليها⁽²⁰⁵⁾، فقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الضرائب عند تحريرها، ثم غيرها بعد فترة.

وكان التنظيم الثالث للضرائب في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، زمن الخليفة عبد الملك بن مروان، إذ أرسل الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري⁽²⁰⁶⁾، إلى

(203) البلاذري، فتوح، ص 179.

(204) المصدر نفسه، ص 177.

(205) الماوردي، الاحكام، ص 137-138.

(206) الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري: تابعي ثقة ولي دمشق مرتين، (ت 105هـ). ابن

حجر، تهذيب التهذيب، ج 4، ص 446.

الجزيرة فأحصى الرجال من أهل الذمة، والأموال، ومسح الأرض، وعدّ الناس كلهم عمالاً يعملون بأيديهم، وحسب معدل ما يكسبه العامل لمدة سنة، وأسقط من ذلك نفقاته للطعام والكسوة، وإيام الأعياد في السنة كلها، فوجد أن الذي يحصل بعد ذلك في السنة لكل رجل (أربعة) دنانير، فألزمهم ذلك جميعاً، أي جعلهم طبقة واحدة⁽²⁰⁷⁾، وهذه هي الجزية، إذ جعلها نقدية.

أما تنظيم الضريبة الزراعية (الخراج)، فقد أعاد النظر فيها، حيث أضاف لها ضريبة نقدية، فجعل الضريبة الزراعية موحدة وتحسب على أساس القيمة لمتوسط انتاج الأرض، آخذاً بنظر الاعتبار قرب وبعُد الأراضي الزراعية عن الأسواق والمدن، فجعل على كل (مائة) جريب زرع مما قرب ديناراً، وعلى كل (الف) أصل كرم مما قرب ديناراً، وعلى كل (ألفي) أصل مما بَعُدَ ديناراً، وعلى الزيتون، وعلى كل (مئة) شجرة مما قرب ديناراً، وعلى كل (مئتين) مما بَعُدَ ديناراً⁽²⁰⁸⁾، ووضع على كل (مئة) جريب من الحنطة ديناراً⁽²⁰⁹⁾، وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم واليومين وأكثر من ذلك، ومما دون اليوم فهو في القرب⁽²¹⁰⁾.

(207) أبو يوسف، الخراج، ص 41. ومن الجدير بالذكر أن أبو يوسف انفرد في ذكر اصلاح الخليفة عبدالملك للضرائب في الجزيرة، فلم يرد ذلك في مصدر فقهي أو تاريخي. وهذا لا يقلل من قيمة النص، فأبو يوسف (ثقة).

(208) أبو يوسف، الخراج، ص 41.

(209) الدوري، نظام الضرائب في صدر الاسلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، لسنة 1974م، ج 2، م 49، ص 54.

(210) أبو يوسف، الخراج، ص 41.

ويؤكد ابو يوسف أن هذه التنظيمات نفسها طبقت في بلاد الشام والموصل فيقول: ((وحملت الشام على مثل ذلك وحملت الموصل على مثل ذلك))⁽²¹¹⁾.

وهذا يعني ان النظم الضريبية لهذه البلاد أصبحت واحدة، وهذا بذاته انجاز مالي وإداري كبير.

وقد بلغ خراج بلاد الشام زمن الخليفة عبدالملك بن مروان كما يأتي⁽²¹²⁾:

1. الأردن (180,000) دينار.

2. فلسطين (350,000) دينار.

3. دمشق (400,000) دينار.

4. حمص وقنسرين والعواصم (800,000) دينار

المجموع = (1,730,000) دينار.

وهذا هو خراج بلاد الشام بعد تطبيق تنظيمات الخليفة عبدالملك بن مروان للضرائب، وهو اقل بقليل من خراج بلاد الشام زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان إذ بلغ (1,800,000) دينار⁽²¹³⁾.

لقد جعل الخليفة عبدالملك بن مروان الضرائب على الجزيرة الفراتية نقدية، وساوى بين سكان المدن وسكان الريف، أي جعلهم طبقة واحدة، كما

(211) المصدر نفسه، ص41.

(212) البلاذري، فتوح، ص197.

(213) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص222.

سبق ان اتفق عياض بن غنم مع أهلها عند تحريرها نزولاً عند رغبتهم، حيث أرادوا أن يدفعوا شيئاً مسمى⁽²¹⁴⁾.

وكانت هناك جملة اسباب دفعت الخليفة عبدالمملك بن مروان لاصلاح الضرائب في الجزيرة هي:

1. يبدو أن سكان الجزيرة لم يكونوا راضين عن مسألة تقسيم الضرائب، بشكل نقود على سكان المدن، ومواد عينية على أهل الريف، ويستشف ذلك من النقاش الذي دار بين مسؤولي الخراج من العرب المسلمين، وبين بعض سكان الجزيرة⁽²¹⁵⁾ وهو التنظيم الثاني للضرائب في الجزيرة، لذلك حاول الخليفة عبدالمملك ابن مروان ازالة هذا التذمر، فانقص مقدار الضريبة عن المزارع البعيدة، وجعلها تدفع نصف ما تدفعه المزارع القريبة، ويعد هذا إجراء عادلاً منصفاً.

2. ربما كان للاعتبارات السياسية والاقتصادية اثر في اتخاذه لهذا الاجراء، فقد كانت الجزيرة محادة لاعداء اقوياء كالخزر والبيزنطيين، وكان الجيش بحاجة إلى المواد الغذائية، ولما كان السكان يتذمرون من دفعهم المواد الغذائية بوصفها ضريبة، فيرجح أن الخليفة عبدالمملك قام باجرائه السالف لتخفيف عبء المواد العينية عنهم⁽²¹⁶⁾، ولازالة تذمرهم، لكي تقف الجزيرة على

(214) أبو يوسف، الخراج، ص40.

(215) أبو يوسف، الخراج، ص40-41. إذ يقول أبو يوسف أن أهل الجزيرة قالوا: ((حقنا في أيدينا حملنا عليه من كان قبلكم وهو ثابت في دواوينكم، وقد جهلتم وجهلنا كيف كان أول الأمر. فكيف تستجيزون أن تحدثوا علينا ما لم يكن، ما ليس لكم به ثبوت، وتنقضون هذا الأمر الثابت في أيديكم الذي لم نزل عليه)) ص41.

(216) الكبيسي، عصر هشام بن عبدالمملك، ص318-319.

أهبة الاستعداد دفاعاً عن حدود الدولة، ولهذا شجعوا استيطان العرب،
واقطعواهم الأراضي مثل عين الورد⁽²¹⁷⁾.

3. ربما كانت حاجة الدولة الى الاموال، وهي تعاني نقصاً فيه، ورغبة الخليفة
عبدالمك في انجاح اصلاحه النقدي بفرض التعامل بنقوده الجديدة اثر في
ذلك.

ويبدو ان اصلاحات الخليفة عبدالمك هذه كانت ناجحة ومقبولة من
سكان الجزيرة، مما يدل على ذلك أننا لم نسمع عن شكاوى أو تدمير منها في
مصادرنا الفقهية والتاريخية.

وربما كان لرخاء الجزيرة وغناها دوراً كبيراً في هذا الإصلاح، إذ يذكر ابو
يوسف في حديثه عن صلح عياض بن غنم لأهل الجزيرة، بأنهم رفضوا قبول
الصلح على قدر الطاقة ((وعلموا أن في أيديهم أموالاً وفضولاً تذهب أن
أخذوا بالطاقة، وأبوا الا شيئاً مسمى))⁽²¹⁸⁾. وهذا يدل بوضوح على غنى
الجزيرة وسعة حال أهلها.

1- قبرص:

صالح معاوية بن أبي سفيان أهل قبرص سنة (28 هـ / 648 م) أو سنة
(29 هـ / 649 م) أثناء ولايته على بلاد الشام، على عصر الخليفة عثمان بن

(217) البلاذري، فتوح، ص182، 181.

عين الورد: هي راس عين المدينة المشهورة بالجزيرة الفراتية، وبها كانت الوقعة بين التوابين
من أهل الكوفة، وبين أهل الشام سنة (65 هـ / 684 م). ياقوت، المشترك وضعاً والمفترق
صعقاً، باعتناء وستنفلد (1846 م)، ص320.

(218) أبو يوسف، الخراج، ص40.

عفان⁽²¹⁹⁾، صالحهم على مبلغ (سبعة آلاف ومئتي دينار) يؤدونها كل عام⁽²¹⁹⁾، لكنهم نقضوا الصلح سنة (32 هـ / 652م) بمساعدتهم الروم، ففتح معاوية قبرص، عنوة ثم أقرهم على صلحهم الأول⁽²²⁰⁾.

ولما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان، زاد عليهم (ألف دينار)، فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطها عنهم، ثم لما ولي هشام بن عبد الملك ردها⁽²²¹⁾.

2. مصر:

حاول الخليفة معاوية بن أبي سفيان زيادة الجزية على القبط في مصر، فكتب إلى وردان، وكان على خراج مصر،: "أن زد على كل امرئ من القبط قيراطاً"⁽²²²⁾، فكتب إليه (وردان) كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزداد عليهم⁽²²³⁾.

ويفسر لنا أبو عبيد هذا الموضوع ويوضحه بقوله، ان كتاب معاوية الى وردان يعني ان الخليفة كان يرى ان مصر حررت عنوة، وأن وردان يرى أن مصر

(219) البلاذري، فتوح، ص158.

(220) المصدر نفسه، ص158.

(221) المصدر نفسه، ص159.

(222) ويزن هذا القيراط (0.2125) من الغرام، الرئيس، الخراج، ص339.

(223) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص86؛ البلاذري، فتوح، ص219؛ المقرئ، خطط، ج1، ص79. 'أختلف الفقهاء في تقدير الجباية أو زيادتها'، للتفصيل، ينظر: الطبري، اختلاف الفقهاء، ص209 - 211؛ الماوردي، الأحكام، ص139؛ ابن القيم، أحكام، ق1، ص27-29.

حررت صلحا⁽²²⁴⁾، وبالرغم من ذلك فإن الخليفة معاوية تراجع عن محاولته هذه.

وذهب بعضهم إلى جواز زيادة الجزية على أهل الذمة في مصر، معتبرين أن مصر حررت عنوة، مستندين على حديث عمرو بن العاص مع صاحب أخنا، عندما طلب الأخير من عمرو بن العاص أن يخبره ما عليه من الجزية، فقال له عمرو بن العاص: لو أعطيتني - أشار إلى الكنيسة - من الأرض إلى السقف، ما أخبرتك ما عليك: ((أنما أنتم خزانة لنا أن كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم))⁽²²⁵⁾.

وفي ولاية عبد العزيز بن مروان (65 - 86 هـ / 684 - 705 م)، لأخيه عبد الملك بن مروان، حدث تطور اقتصادي مهم، وهو انخفاض القدرة الشرائية للدينار وارتفاع الأسعار⁽²²⁶⁾ وربما كان لهذا العامل أثر في التعجيل بتنظيم الضرائب في مصر. وقد حاول الخليفة عبد الملك بن مروان، أن يبقي الجزية على بعض من أسلم من أهل الذمة، فكتب بذلك لأخيه عبد العزيز، فكلم القاضي

(224) الأموال، ص 190؛ ((وكان عمر بن الخطاب ﷺ يخفف عن أهل العنوة إذا احتاجوا وأن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم)) . أبو عبيد، الأموال، رقم (391).

(225) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 154؛ المقرئ، خطط، ج 1، ص 77.

(226) في سنة (78 هـ) كان سعر الحنطة، (ديناراً) لكل (عشرين) أردباً، وفي سنة (87 - 88 هـ) ديناراً لكل (اثني عشر) أردباً. العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص 153 - 154؛ ترتون، أهل الذمة، ص 214؛ أبو النصر، الحضارة الأموية، ص 257.

ابن حجية⁽²²⁷⁾، الوالي عبد العزيز قائلاً له: ((فوالله أن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف تضعها على من أسلم منهم فتركهم عند ذلك))⁽²²⁸⁾.

ويستتج من هذا النص جملة أمور منها: أنه صار هناك اتجاه نحو الرهينة تخلصاً من الجزية، وأن أهل الذمة صاروا يتحملون جزية هؤلاء المترهين، فارتفعت أصوات كثير من أهل الذمة، فأن الرهبان يأكلون ويشربون دون أن يدفعوا جزية رؤوسهم، فلذلك كان الرأي العام في مصر لا ينكر فرض الجزية على الرهبان في الأديرة⁽²²⁹⁾، كما يلاحظ في هذا أيضاً، أن كتاب الخليفة عبد الملك لأخيه عبد العزيز لم يكن أمراً، بدليل أن ابن حجية القاضي أقنع الوالي عبد العزيز بخطأ هذا العمل، وتراجع عبد العزيز، ولم يطلب ذلك الخليفة ثانية.

وبعد ذلك قام الوالي عبد العزيز بن مروان، بأجراء إحصاء دقيق للسكان، ووضع على كل راهب ديناراً في السنة، وهي أول جزية فرضت على الرهبان⁽²³⁰⁾، إذ كان الرهبان معفوين من أدائها، فأصبح مسلك الرهينة من

(227) ابن حجية: وهو عبد الرحمن بن حجية النحولاني، جمع له القضاء والقصاص وبيت المال، ويروى أن كان يؤخذ (ألف) دينار سنوياً، فلم يزل على القضاء حتى سنة (83 هـ) ويقال سنة (85 هـ).

ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 235؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص 314 - 317.

(228) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 156؛ المقرئ، خطط، ج 1، ص 77 - 78.

(229) محمد، فجر السكة، ص 71 - 72.

(230) المقرئ، خطط، ج 2، ص 492.

الأماكن المفضلة لمن يريد التهرب من أداء (الجزية) لذلك تلبس بعضهم بثوب الرهبنة⁽²³¹⁾.

أما موقف الفقهاء من فرض الجزية على الرهبان، فيقول أبو يوسف، بأن الرهبان إذا كان لهم يسار اخذت الجزية منهم، وإن كانوا مساكين يتصدق عليهم أهل اليسار لم تؤخذ منهم⁽²³²⁾، وكذلك أهل الصوامع تؤخذ منهم إن كان لهم غنى ويسار، وقال بذلك أبو حنيفة وأصحابه⁽²³³⁾ وتؤخذ أيضاً من الذين يتهربون بعد ضرب الجزية عليهم، لأنه يمكن أن يكون ترهبه لتسقط الجزية عنه⁽²³⁴⁾.

وفي الحقيقة كان بعض الرهبان يملك ثروات طائلة⁽²³⁵⁾، كما أن بعض الأديرة وصلت إلى الثراء البالغ⁽²³⁶⁾، في الوقت الذي زادت فيه حاجة الدولة إلى الأموال، ويظهر أن فرض الجزية على الرهبان يتفق تاريخياً مع الإصلاح والتنظيم المالي العام في الدولة العربية الإسلامية الذي أجراه الخليفة عبد الملك

(231) زيدان، التمدن، ج2، ص17؛ دنيث، الجزية، ص131.

(232) الخراج، ص122؛ النعيم، د. عبد العزيز، نظام الضرائب، ص354.

(233) الطبري، اختلاف الفقهاء، 207؛ النعيم، د. عبد العزيز، نظام الضرائب، ص354.

(234) ابن القيم، أحكام، ق1، ص50.

(235) كاشف، د. سيدة إسماعيل، مصر في فجر الإسلام، ص223؛ الرئيس، الخراج، ص233.

(236) ترتون، أهل الذمة، ص216. ((ويذكر ترتون أن دير مريم الصحراوي يملك (ثمانى) إقطاعات سنة (98 هـ)، ولدير بربروس (عشر) إقطاعات))، ص216.

بن مروان⁽²³⁷⁾، كما يبدو ان للجزية في مصر أهمية كبيرة بالنسبة لبيت المال⁽²³⁸⁾، نظراً لكثرة أعداد أهل الذمة.

وبذلك فإن ما فعله الوالي عبد العزيز بن مروان، بفرض الجزية على الرهبان، له ما يبرره، من الناحية الشرعية، وكذلك من الناحية المالية والاقتصادية، كما أن هناك بعض الرهبان من ساعد الولاة في فرض الجزية على الرهبان أنفسهم، كما هو حال (بنيامين الشماس)، الذي كان مصاحباً للأصبغ بن عبد العزيز⁽²³⁹⁾. وقد قطع عمل عبد العزيز هذا الطريق على المترهين من اداء الجزية، بالترهب، لذلك فإن حركة التهرب من اداء الجزية، وجدت لها مساراً آخر، وهو الهروب والهجرة، إلى القرى والمدن البعيدة، وكانت هذه الحركة تثير الفوضى، وتؤثر على واردات الدولة، واشتدت هذه الحركة، زمن ولاية عبد الله بن عبد الملك (86-90هـ / 705-708م) والذي زاد الطين بله أن الظروف الاقتصادية للبلد كانت ظروف غلاء وعسر⁽²⁴⁰⁾.

ولم تقتصر الضرائب في مصر في هذه الفترة، على ضريبي الجزية والخراج، فكانت هناك ضرائب أخرى، منها، الضرائب على الصناعات والأجراء، والتي

(237) دنيت، الجزية، ص 133.

(238) يظهر ذلك بوضوح، عندما أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، برفع الجزية عن من أسلم، فكتب إليه حيان بن شريح، واليه هناك: ((أما بعد فإن الإسلام قد اضر بالجزية، حتى سلفت من الحارث بن ثابتة، (عشرين) ألف دينار أتممت بها عطاء أهل الديوان المقريزي، خطط، ج 1، ص 78.

(239) كاشف، سيدة، مصر في فجر الإسلام، ص 223.

(240) المقريزي، إغاثة الأمة، ص 11 ؛ دنيت، الجزية، ص 131.

كانت تحدد بقدر احتمالهم⁽²⁴¹⁾، كما فرض العرب المسلمون، على التجارة الداخلية في مصر ضرائب باسم المكوس، وأخرى على التجارة الخارجية، وهناك بعض الالتزامات، كإيواء الجنود وضيافتهم، وتقديم العمال والموظفين للأشغال العامة⁽²⁴²⁾.

وبذلك يتبين لنا أن الضريبتين الرئيسيتين في مصر، هما الجزية والخراج، وكانت الجزية تفرض على أهل الذمة، وفرضت لفترة محدودة على الرهبان لاتخاذهم الرهينة وسيلة تخلص من الجزية.

3- خراسان والمشرق الإسلامي:

فتحت خراسان في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (30هـ/650م)⁽²⁴³⁾. وتم فتح قسم من مدنها صلحاً، والقسم الآخر عنوة⁽²⁴⁴⁾، ويترتب على طبيعة الفتح طبيعة ومقدار الضرائب (الجزية والخراج)، ويبدو أن لكل مدينة مفتوحة شروط خاصة بها تختلف عن المدن الأخرى، مما عقد النظام المالي في خراسان. فقد فرض العرب، على بعض مدن المشرق الإسلامي، المفتوحة صلحاً، مبلغاً محدداً من المال (وظيفة) مثل، إيورد وطوس وبلخ وبخارى وسمرقند وخوارزم وإذريجان وهراة وجرجان وطبرستان ونيسابور

(241) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 152 - 153؛ المقرئزي، خطط، ج 1، ص 77.

(242) كاشف، الوليد بن عبد الملك، ص 98 - 100.

(243) خليفة تاريخ، ج 1، ص 139؛ البلاذري، فتوح، ص 394.

(244) البلاذري، فتوح، ص 394 فما بعد؛ الطبري، تاريخ، ج 3، ص 221 فما بعد؛

العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص 112 - 114؛ إدارة خراسان، مجلة كلية الآداب،

العدد (15) لسنة (1972 م)، ص 313.

ونساً⁽²⁴⁵⁾، وهناك بعض المدن التي فتحت عنوة مثل: سابور وسمنجان وحصني طاغون وباغون والشيرجان وييمند وجيرفت وقوهستان وسرخس⁽²⁴⁶⁾، وغيرها من مدن الشرق الإسلامي، ولا بد أن ما فرض على هذه المدن كان يختلف عما فرض على المدن الأخرى التي فتحت صلحاً، لأن للمسلمين الحق في فرض ما يشاؤون عليها. وبذلك تين لنا ما قاله فلهاوزن ومن تبعه، من أن خراسان فتحت كلها صلحاً غير دقيق⁽²⁴⁷⁾. كما فرضت (الجزية والخراج) على بعض مدن المشرق مثل: همذان وارجان والصامغان ودرا باذ والري وقومس⁽²⁴⁸⁾، في حين فرضت على مدن أخرى، الجزاء (الجزية) مثل، موقان⁽²⁴⁹⁾، التي حددت جزيتها بدينار واحد على كل حالم، كما فرضت الجزية على مدن أخرى بدون تحديد لمقدار الجزية بل على الطاقة، مثل أهل ديبيل ماه بهراذان، وماه دينار، واصبهان، واصلح الري، واصلح قومس، وجرجان، وإذريجان⁽²⁵⁰⁾، ولكن الغالب في طريقة وضع الضرائب، هي الاتفاق على مبلغ محدد من المال (وظيفة)، إلا أن هذه الاتفاقات لم توضح طبيعة هذه الأموال، هل هي جزية أم

(245) البلاذري، فتوح، ص 321 فما بعد.

(246) المصدر نفسه، ص 381 فما بعد.

(247) تاريخ الدولة العربية، ص 394 – 395 ؛ دنيث، الجزية، ص 185.

(248) البلاذري، فتوح، ص 306 – 329. يقول البلاذري في أمر همذان: ((غدر أهل همذان ونقضوا... فقاتلهم (العلاء بن وهب) فنزلوا على حكمه فصالحهم على أن يؤدوا خراج أرضهم وجزية الرؤوس))، ويقول البلاذري: ((صالح أهل الصامغان ودرا باذ عتبة على الجزية والخراج))، ص 329. ومن الجدير بالذكر أن بعض المدن تفتح أكثر من مرة مثل: (الري)، (همذان) وغيرهما، فلا بد أن شروط صلحها تختلف بعد ذلك.

(249) الطبري، تاريخ، ج 3، ص 237 ؛ الحيدر آبادي، الوثائق السياسية، ص 339.

(250) الطبري، تاريخ، ج 3، ص 225 – 233 ؛ الحيدر آبادي، الوثائق السياسية ص 322 – 327.

خراج أو كلاهما معاً، وهل هي ثابتة أو متغيرة؟، يذكر البلاذري ان: ((ماهويه مرزبان مرو، قدم على علي ابن أبي طالب ؑ في خلافته وهو في الكوفة فكتب له إلى الدهاقين والدهشلايين أن يؤدوا إليه الجزية، فانتفضت عليهم خراسان... ولم تزل خراسان ملتثة حتى استشهد علي ؑ، ولم يعرض عمال معاوية لأهل النكت وجبوا أهل الصلح))⁽²⁵¹⁾.

وكان أهل باذغيس وهراة وبوشنج وبلخ على نكتهم، ففتحت كابل عنوة ثانية في عصر معاوية وفتح قسم من مدن سجستان عنوة أيضاً⁽²⁵²⁾، أي أن العرب المسلمين كانوا يفرقون بين أرض العنوة وأرض الصلح، فيقول الذهبي⁽²⁵³⁾: ((فأفتح أبو موسى الأشعري الأحواز صلحاً وعنوة، فوظف عمر بن الخطاب عليها (عشرة آلاف ألف درهم وأربعمائة درهم) وجهد زياد في أمرته أن يخلص العنوة من الصلح فما قدر)).

وبذلك يتبين لنا أن هناك بدايات واضحة للتفريق بين أرض العنوة وأرض الصلح، وبين الجزية بوصفها ضريبة على الرأس، والخراج كضريبة على الأرض، وفضلاً عن هذا فهناك العديد من الروايات التاريخية التي تدحض قول فلهاوزن⁽²⁵⁴⁾: بأن اصطلاحى خراج وجزية، المستعملين بمعنى ضريبة الأرض

(251) البلاذري، فتح، ص 399.

(252) المصدر نفسه، ص 388.

(253) تاريخ الإسلام، ج 2، ص 21.

(254) روي أنه: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ؑ فقال: ((أني أسلمت فأرفع عن أرضي الخراج، قال: لا أن أرضك أخذت عنوة)). ابن آدم، الخراج، ص 53 - 54 ؛ رقم (149)، ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 155 ؛ البلاذري، فتوح، ص 268، وهذا يعني أن الخليفة عمر كان يفرق بين أرض العنوة والصلح، وروى أبو يوسف من نص خطبة عمر في الصحابة: وقد رأيت أن أحبس الأرضيين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية، ص 25، 28، 35 =

وضريبة الرأس، كانا لما يزيد على قرن من الزمان لفظين مترادفين، وهما بمعنى (أتاوة) ولم يميز بينهما بوصفهما ضريبة على الأرض وعلى الرأس إلا منذ سنة (121هـ/ 738 م).

ومن الجدير بالذكر أن الأوضاع السياسية والعسكرية في خراسان وحتى سنة (78هـ/ 697م) - حين ضم الخليفة عبد الملك بن مروان إدارة خراسان إلى أمير العراق - كانت مضطربة وغير مستقرة، ففي الداخل يسودها صراع بين العرب والموالي من الفرس خاصة، والذين عبروا عن روح عنصرية ومقاومة

= ويذكر أن الدكتور عبد العزيز الدوري صحح اراءه عن الضرائب في خراسان، إذ كان يرى بعدم فرض العرب للجزية والخراج في خراسان... بل ضريبة واحدة وهي (الجزية المشتركة) مجلة المجمع العلمي العراقي، م11، لسنة (1966)، ص76، وصار يقول الان: أن التراث المحلي يفسر استعمال (جزية) بمعنى عام في مصر (وخراج) بمعنى شامل في المناطق الشرقية، ولكن هذا لم يغير الحقيقة وهي ان ضريبة الأرض كانت متميزة عن ضريبة الرأس منذ البادية، ويقول أيضاً ((أن العرب فرضوا ضريبتين رئيسيتين في خراسان بعد الفتح ضريبة على الرأس وأخرى على الأرض))، ويقول أيضاً ((أن هنالك تمييزاً بين ضريبة الأرض وضريبة الرأس مكن الخليفة عمر بن عبد العزيز من تطبيق إصلاحاته في خراسان دون خسارة لبيت المال)) . نظام الضرائب في صدر الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، لسنة (1974م)، ج2، ص47 - 48، وص56 - 57 ؛ ويقول الدكتور ناجي معروف: ((ويظهر أن بعض الباحثين قديماً وحديثاً يخلطون أحياناً بين الجزية والخراج، ولا يفرقون بينهما أو يغلبون أحد اللفظين على الآخر... ومع ذلك كله فإن بحوث العلماء والفقهاء وآراءهم وأقوالهم كلها تدل بوضوح تام على أنهم كانوا يريدون بالجزية: ما وضع على رؤوس اهل الذمة من ضرائب... ويقصدون بالخراج ما كان يؤخذ من ضرائب على الأرض))، الضمان الاجتماعي، مجلة الأقلام، ص7.

للعرب المحررين⁽²⁵⁵⁾، كما كان يسودها أيضاً صراع بين العرب أنفسهم من قيسيين ويمانيين⁽²⁵⁶⁾، وفي الخارج كانت ظروف خراسان هي ظروف مواجهة عسكرية للأعداء الخارجيين وخاصة من الترك. ومن ناحية أخرى حاول المسلمون جاهدين توسيع رقعة الدولة، وحماية حدودها وأمنها واستقرارها، ونشر الدين الإسلامي فتساحوا مع السكان ولم يهتموا كثيراً بالنواحي المالية، وكذلك بعد خراسان عن مركز الدولة الأموية، كل هذه الظروف شكلت صعوبات لدراسة الضرائب في خراسان، وخاصة الحقب الأولى، وذلك لقلة المعلومات واضطرابها، مما لا يساعدنا على رسم صورة دقيقة ومتكاملة للنظم الضريبية في خراسان.

ويبدو أن محاولات التنظيم المالي في الدولة التي أجراها الخليفة معاوية بن أبي سفيان، قد أدخلت إلى خراسان أيضاً، إذ قام عامله هناك بمضاعفة الخراج على أهل مرو⁽²⁵⁷⁾.

وفي عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، وفي إمارة أمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد (74 - 78هـ / 693 - 697م)، يورد لنا الطبري نصاً ضمن أحداث سنة (77هـ / 696م) يلقي ضوءاً مهماً عن تطورات الضرائب في خراسان، فيتحدث بمناسبة عبور أمية بن عبد الله إلى ما وراء النهر مجاهداً، إذ تأمر عليه عدد من القادة منهم عتاب اللقوة، وبكير بن وشاح، والأحنف بن عبد الله العنبري، قال: بكير أثناء حديثه مع الأحنف بن عبد الله وعتاب، ((أنني

(255) الريس، الخراج، ص188.

(256) للتفصيل ينظر: دكسن، الخلافة الأموية، ص163 - 171.

(257) المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، بأعتناء كلمان هوار، (باريس - 1916

م)، ج6، ص4.

أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي، فقال عتاب، أتخاف عدم الرجال أنا آتيك من أهل مرو بما شئت أن هلك هؤلاء الذين معك، قال يهلك المسلمون، قال: أنما يكفيك أن ينادي مناع من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفاً من المصلين اسمع لك من هؤلاء واطوع))⁽²⁵⁸⁾، وجاءت كلمة خراج في هذا النص بالمعنى العام⁽²⁵⁹⁾، وهو (الجزية)، كما يدل هذا النص دلالة واضحة على أن الجزية فرضت على المسلمين الجدد، وبإعداد كبيرة، وربما منذ فترة ليست قصيرة، كما يورد لنا الطبري⁽²⁶⁰⁾، نصاً مهماً آخر إذ يقول: ((... وأخذ أمية الناس بالخراج وأشتد عليهم به، فجلس بكير بن وشاح يوماً في المسجد وعنده ناس من بني تميم فذكروا شدة أمية على الناس فذموه، وقالوا: ((سلط علينا الدهاقين في الجباية))، وفي هذا النص فإن كلمة خراج، جاءت بالمعنى العام أيضاً، وهي تعني الضرائب عدا الجزية ويستتج من هذا النص أيضاً استمرار مسؤولية الدهاقين في جباية الضرائب من أهل الذمة، بل تعدتها إلى العرب المسلمين، فإن الشكوى تدل على فروض جديدة على العرب، لا تعدو

(258) الطبري، تاريخ، ج5، ص129.

(259) أن للجزية معنى عاماً ومعنى خاصاً، فيقول الماوردي، في معنى الجزية العام: ((وفي الجزية تأويلان، أحدهما، أنها من الأسماء الجملة التي لا نعرف منها ما أريد بها إلا ان يرد بيان، والثاني: انها من الأسماء العامة التي يجب أخراجها على عمومها إلا ما قد خصه الدليل)). الأحكام السلطانية، ص143. فمثلاً يقول أبو يوسف: ((... خراج رؤوسهم)). الخراج، ص122. فكلمة خراج هنا، جاءت بالمعنى العام وهي تعني الجزية.

(260) تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص132.

أن تكون أراضي خراجية تملكوها⁽²⁶¹⁾، وهذا يعني أن هناك أراضي خراجية وأخرى عشرية نتيجة طبيعة فتحها، وكذلك يدل هذا النص على أن إصلاحات الخليفة عبد الملك بن مروان الشاملة على الضرائب، قد أدخلت إلى خراسان وحاول فرز أراضي الخراج عن أراضي العشر، والتفرقة بين الجزية بوصفها ضريبة على الرأس والخراج بوصفه ضريبة على الأرض.

ويبدو أن محاولة الخليفة عبد الملك بن مروان وواليه الحجاج بن يوسف، لإصلاح الضرائب في خراسان، هي أول محاولة جدية في هذا الأقاليم، إذ أن أقاليم الدولة الأخرى، كالعراق وبلاد الشام والجزيرة ومصر، كانت قد نظمت في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في وقت لم تفتح خراسان فيه بعد، ثم نظمت هذه الولايات للمرة الثالثة في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان.

ومن الجدير بالذكر أن جباية المبالغ المطلوبة (الوظيفة) من المدن والقرى، كانت بيد الدهاقين وهم المسؤولون عن جمعها وتسليمها إلى عامل الخراج أو الأمير وقد استعانت الدولة بهؤلاء الدهاقين لأنهم أبصر بالجباية وأعرف بالمنطقة وأهلها، وربما تجاوزت مسؤولية الدهاقين في الجباية إلى الأراضي كما ذكرنا سابقاً، وقد وقف هؤلاء الدهاقين والأمراء المحليون حجر عثرة في سبيل انتشار الإسلام، ليس لنقص الكمية المطلوبة من المال (الوظيفة) فحسب، وإنما حفاظاً على مراكزهم السياسية، ولأسباب دينية وعنصرية بحتة⁽²⁶²⁾، وكان سلطان هؤلاء يقوضه انتشار الإسلام بلا شك، لذلك كانوا، يأخذون الجزية من

(261) الدوري، نظام الضرائب في صدر الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق، ج2، م49، لسنة (1974 م)، ص56.

(262) دينيت، الجزية، ص191 ؛ الدوري، نظام الضرائب، ص85، عمر، فاروق وآخرون، النظم الإسلامية، ص117.

المسلمين الجدد، ويعفون منها أبناء جلدتهم فهم إذاً المسؤولين بالدرجة الأولى عما حصل من أخطاء في فرض الجزية في خراسان على المسلمين الجدد، لذلك كثيراً ما نسمع الشكاوى من تصرف الدهاقين، الذين أستمروا على الجباية في غالب الأحيان طيلة الحقبة الأموية. وأستمر هذا التلاعب بالجباية بفرض الجباية على المسلمين الجدد وإعفاء أهل دينهم منها، في الفترات اللاحقة وبشكل متزايد⁽²⁶³⁾.

(263) ينظر الطبري، تاريخ، ج5، ص314 397 - 399 ؛ ص492 - 493.

الفصل الثالث

التنظيمات الادارية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

- 1- تأسيس الديوان (الجند).
- 2- ديوان الخراج.
- 3- ديوان الرسائل والكتابة.
- 4- ديوان الخاتم.
- 5- ديوان البريد.
- 6- ديوان النظر في المظالم.
- 7- ديوان الطراز.
- 8- الحجابة.

قال الجاحظ:

«كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها رأيا
وحزما»

ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص20.

الفصل الثالث

التنظيمات الادارية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

1- تأسيس الديوان (الجند):

كانت المؤسسات الإدارية في العصر الأموي، إحدى أهم المظاهر الحضارية، وظهرت معظم هذه المؤسسات نتيجة حاجة ماسة للتنظيم الإداري، حيث بدأت بسيطة ثم نمت وتطورت حسب تطور الظروف والأحوال، ويعد عصر الخليفة عبد الملك بن مروان من أخصب فترات التاريخ الأموي تطوراً وتنظيماً وإيجاداً لنظم إدارية جديدة، إذ أن أغلب هذه النظم كانت قد نمت وتوسعت على عصره، لذلك عُدَّ الخليفة عبد الملك بن مروان المؤسس الحقيقي للنظام الإداري للدولة الأموية⁽¹⁾.

عند تأسيس الدولة العربية الإسلامية، في عصر الرسول محمد ﷺ لم تكن هناك حاجة ماسة لتنظيمات إدارية واسعة ومنها الدواوين، إذ أن الأموال التي كانت ترد إلى حاضرة الدولة قليلة لا تزيد عن حاجة الدولة والناس، فكان الرسول محمد ﷺ يوزع ما يرد إليه منها وينفقه على وجوهه ولا يؤخره، فلم يكن له بيت مال⁽²⁾، وإنما كان له كتاب يكتبون المغام وما يتعلق بأمور القبائل⁽³⁾ حيث أمر ﷺ كتابه يوماً بتدوين أسماء المسلمين قائلاً لهم: ((أكتبوا لي من تلفظ

(1) حسن، إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص 141 ؛ عمر أبو النصر، الحضارة الأموية، ص 294.

(2) العسكري، الأوائل، ص 123.

(3) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص 12.

بالإسلام من الناس، فكتب له ألف وخمسمائة رجل⁽⁴⁾. وسار الخليفة أبو بكر ﷺ على سياسة الرسول محمد ﷺ المالية نفسها، إذ ساوى بين الناس في العطاء، قائلاً: ((هذا معاش فالأسوة فيه خيراً من الأثرة))⁽⁵⁾. وعندما تولى الخلافة عمر بن الخطاب ؓ (13-23هـ)، (634-643 م) كانت الظروف قد تطورت واستجدت أمور كثيرة، وظهرت حاجة ماسة للتنظيم الإداري، فقد كثرت موارد الدولة، وتوسعت أراضيها، وضمت شعوباً ذات نظم مختلفة، كما ازدادت أعداد المقاتلة بشكل كبير، ورغب الخليفة عمر ﷺ في جعل العرب أمة مجاهدة، إذ أصبح من الصعوبة ضبطهم من دون تدوين، لذلك رأى عمر بن الخطاب ؓ أن يجعل للمقاتلة إعطيات ثابتة تكفيهم العمل والانصراف للجهاد وهذه في الواقع هي ام الأسباب التي كانت وراء تأسيس الديوان، فكان الخليفة عمر بن الخطاب ؓ أول من وضعه في الإسلام⁽⁶⁾.

ويتفق الفقهاء والمؤرخون على أن السبب المباشر لأقدام عمر ﷺ على تدوين الديوان هو قدوم أبي هريرة بـ (خمسمائة ألف) درهم من البحرين أثناء ولايته عليها... فخطب الخليفة عمر قائلاً: ((أيها الناس أنه قد جاء مال كثير فأن شئتم أن نكيل لكم كلنا، وأن شئتم أن نعد لكم عددنا، وأن شئتم أن نزن

(4) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص196،

(5) أبو يوسف، الخراج، ص42؛ العسكري، الأوائل، ص123.

(6) أبو يوسف، الخراج، ص45، ابن سعد، الطبقات، م3، ص282؛ البلاذري، فتوح، ص439؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص277؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص16؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، 423؛ مآثر الأنافة، ج3، ص335.

لكم وزنا لكم، وأشار احد الحاضرين فقال: يا أمير المؤمنين دون للناس دواوين يعطون عليها ((⁽⁷⁾.

وقد استشار الخليفة عمر بن الخطاب ؓ في هذا الموضوع الصحابة وكبار المسلمين، فقال له علي ؓ: ((تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من المال ولا تمسك منه شيئاً. وقال له عثمان ؓ: أرى مالا كثيراً يسع الناس وأن لم يحصوا حتى يعرفوا من أخذ ومن لم يأخذ خشيت أن يتتشر الأمر))⁽⁸⁾، وقال له الوليد بن هشام ابن المغيرة⁽⁹⁾: ((وقد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا فدون ديواناً وجند جنداً فأخذ بقوله))⁽¹⁰⁾.

وهناك رواية مرتبكة حاولت إرجاع فكرة تأسيس الديوان إلى الفرس، إذ تقول: بأن الذي أشار على الخليفة عمر بن الخطاب ؓ بذلك هو الهرمزان، وذلك حينما بعث عمر بعثاً فقال الهرمزان: ((هذا بعث قد أعطيت أهله

(7) أبو يوسف، الخراج، ص 45، ابن سعد، الطبقات، م 3، ص 300؛ البلاذري، فتوح، ص 439 – 440؛ الطبري، تاريخ، ج 3، ص 277؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 16 – 17؛ الماوردي، الأحكام، ص 199. ويذكر اليعقوبي، أن مبلغ المال الذي جاء به أبو هريرة من البحرين هو (700) سبعمائة ألف، تاريخ، ج 2، ص 143.

(8) الطبري، تاريخ، ج 3، ص 278؛ الماوردي، الأحكام، 199 – 200.

(9) يرد أسم خالد بن الوليد في روايات أخرى بدل الوليد بن هشام بن المغيرة. ينظر: الماوردي، الأحكام، ص 200؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 244.

(10) ابن سعد، الطبقات، م 3، ص 295؛ البلاذري، فتوح، ص 435؛ الطبري، تاريخ، ج 3، ص 278؛ الماوردي، الأحكام، ص 199 – 200.

الأموال، فإن تخلف منهم رجل وأخل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديواناً⁽¹¹⁾.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرواية لم ترد عند أبي يوسف⁽¹²⁾، وابن سعد⁽¹³⁾، والبلاذري⁽¹⁴⁾، والطبري⁽¹⁵⁾، وهم ثقة، بل ذكروا رواية استشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمسلمين، كما أن المصادر التي أوردت هذه الرواية ذكرت الاسم بالفاظ مختلفة⁽¹⁶⁾، وهذا ما يجعلنا نشك في صحة هذه الرواية إذ يبدو أنها من دسائس الشعوبية، وأعداء العرب، الذين ينكرون دورهم الحضاري، فينسبون إنجازاتهم الحضارية إلى الأمم الأخرى، وذلك لإلغاء دورهم في هذا الجانب.

أما عن تاريخ تدوين الديوان، فتختلف المصادر في تحديد سنة بدء التدوين، فيذكر الطبري⁽¹⁷⁾، في إحدى رواياته، أن التدوين كان سنة (15هـ/636م)، بينما تجعل روايات أخرى من سنة (20هـ/641م)، سنة

(11) الماوردي، الأحكام، ص 199؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 244.

(12) الخراج، ص 42 - فما بعد.

(13) الطبقات الكبرى، م 3، ص 282، و ص 295 - فما بعد.

(14) فتوح، ص 435 - فما بعد.

(15) تاريخ، ج 3، ص 278.

(16) يذكر الجهشيارى أن اسمه ((الفيرزان)) الوزراء والكتاب، ص 17. بينما يذكر ابن

الطقطقي، أن اسمه (المرزيان)، الفخري، ص 83.

(17) التاريخ، ج 3، ص 108؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص 83.

لتدوين الديوان⁽¹⁸⁾. ويبدو أن سنة (20هـ) هي الأرجح، إذ يقول الشعبي: ((لما افتتح عمر العراق والشام، وجبى الخراج، جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال أني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله))⁽¹⁹⁾. ولم يكن ذلك ممكناً إلا بعد سنة (15هـ)، إذ لم يكن العراق قد استكمل تحريره بعد. ثم ان عمر ﷺ قسم الغنائم على المقاتلين المسلمين بعد تحرير بيت المقدس، كما قسمها في الجابية أيضاً سنة (16هـ/637م)⁽²⁰⁾، فضلاً عن أن الخليفة عمر ﷺ أستعمل أبا هريرة على البحرين واليمامة سنة (20هـ/641م)⁽²¹⁾.

ومهما يكن فإن كل التطورات تؤكد الحاجة إلى التنظيم الإداري، وأن وضع الديوان أصبح ضرورة ماسة، لذلك دعا عمر ﷺ، عقيل بن أبي طالب، ومخرمة ابن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من نساب قريش، وقال: أكتبوا الناس على منازلهم، ورفض الخليفة عمر ﷺ أن يبدأ بنفسه، فبدأ ببني هاشم وبني عبد المطلب ففرض لهم، ثم الأقرب فالأقرب لرسول الله ﷺ، فكان القوم إذ استووا في القرابة قدم أهل السابقة⁽²²⁾، ((فلما استقر ترتيب الناس في الدواوين على قدر النسب المتصل برسول الله ﷺ، فضل بينهم في العطاء على قدر السابقة في

(18) ابن سعد، الطبقات، م3، ص296؛ البلاذري، فتوح، ص436، 443؛ يعقوبي، تاريخ، ج2، ص143؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص202؛ الماوردي، الأحكام، ص200؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244؛ المقرئ، الخطط، ج1، ص92.

(19) البلاذري، فتوح، ص435.

(20) ابن سعد، الطبقات، م3، ص283.

(21) الطبري، تاريخ، ج3، ص202.

(22) أبو يوسف، الخراج، ص44؛ ابن سعد، الطبقات، م3، ص295 - 296؛ البلاذري، فتوح، ص436 - 437؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص278؛ الماوردي، الأحكام، ص200.

الإسلام والقريبى من رسول الله ﷺ⁽²³⁾، أي ان عمر ﷺ لم يتبع رأي أبي بكر ﷺ في مساواته للناس في العطاء قائلاً: ((لا اجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه))⁽²⁴⁾، وساوى الخليفة عمر ﷺ الموالي والعرب في العطاء⁽²⁵⁾، كما فرض للمنفوس⁽²⁶⁾ واللقيط⁽²⁷⁾، والعبد أيضاً⁽²⁸⁾. ولم يعط عمر ﷺ لأهل مكة عطاء ولم يضرب عليهم بعثاً⁽²⁹⁾، ولم يفرض عمر ﷺ أفل من (ثلثمائة) درهم⁽³⁰⁾، كما أرزق الناس جريين من الطعام كل شهر⁽³¹⁾.

ومن الجدير بالذكر أن لفظ (ديوان) قد تطور خلال الحقب التاريخية، فكان يعني أول الأمر، السجل أو الدفتر أو ((مجمع الصحف والكتاب يكتب

(23) الماوردي، الأحكام، ص 200.

(24) أبو يوسف، الخراج، ص 43؛ ابن سعد، الطبقات م 3، ص 296؛ البلاذري، فتوح، ص 437؛ الماوردي، الأحكام، ص 201.

(25) أبو يوسف، الخراج، ص 44؛ البلاذري، فتوح، ص 442 – 444.

(26) أبو يوسف، الخراج، ص 46؛ ابن سعد، الطبقات، م 3، ص 298؛ البلاذري، فتوح، ص 445.

(27) ابن سعد، الطبقات، م 3، ص 298.

(28) ابن سعد، الطبقات، م 3، ص 305؛ البلاذري، فتوح، ص 446 – 447، الماوردي، الأحكام، ص 202.

(29) البلاذري، فتوح، ص 444.

(30) المصدر السابق، ص 438؛ الماوردي، الأحكام، ص 201.

(31) ابن سعد، الطبقات، م 3، ص 305؛ البلاذري، فتوح، ص 446 – 447؛ الماوردي، الأحكام، ص 202. وللتفصيل، عن مقادير العطاء ينظر: ابن سعد، الطبقات، م 3، ص 296 فما بعد.

فيه أهل الجيش وأهل العطاء))⁽³²⁾ ثم أطلق بعد ذلك على سجلات الحسابات العامة للدولة⁽³³⁾، وينطبق هذا المعنى على عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، أثناء تعريب دواوين الخراج، وأخيراً صار يطلق على موضع حفظ السجلات⁽³⁴⁾ أو على مكان جلوس الكتاب⁽³⁵⁾.

وهكذا استقر ديوان الجند (العطاء) في عصر الخليفة عمر بن الخطاب ؓ. إلا أن العطاء بدأ يرتبط بالأوضاع العسكرية والسياسية والاقتصادية بشكل واضح في العصر الأموي، فمثلاً عند إرسال يزيد بن معاوية (60-64هـ/679-683م) جيشاً إلى الحجاز لمقاتلته عبد الله بن الزبير ((أمر أن يعطوا أعطيتهم كاملة ويعان كل امرئ منهم بمائة دينار))⁽³⁶⁾ لأجل زيادة حماسة جنده في القتال.

كما أن مصعب بن الزبير كان يعطي أهل العراق عطاءين في السنة فأحبه الناس⁽³⁷⁾، ثم أن رفض عبد الله بن الزبير أعطاء وجوه أهل العراق عندما وفدوا

(32) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دون) ؛ الكتاني، التراتيب الإدارية، ج 1، ص 225.

(33) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (ديوان)، م 9، ص 378.

(34) يقول الماوردي: ((والديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال))، ص 199.

(35) يقول القلقشندي: (أما الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب) صبح الاعشا، ج 6، ص 89.

(36) البلاذري، انساب، ج 4، ق 2، ص 33.

(37) المصدر نفسه، ج 5، ص 280،

عليه، كان من الأسباب المهمة، لتحويلهم عنه، ومكاتبة الخليفة عبد الملك بن مروان⁽³⁸⁾.

وقد أدرك الخليفة عبد الملك بن مروان أهمية العطاء، إذ استفاد من سياسة الخليفة معاوية بن أبي سفيان، في استرضاء الناس والتوسع في العطاء⁽³⁹⁾. إذ أن طبيعة المرحلة التاريخية، وظروف الدولة الصعبة، وحاجتها إلى الأموال، كانت تستدعي من الخليفة اتباع سياسة مالية جديدة، وهذا ما يفسر لنا، قيام الخليفة عبد الملك بقطع ما كان يفرضه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان للمولود ((إلا عن شاء))⁽⁴⁰⁾ ومن ناحية أخرى فإنه زاد عطاء الموالي من (خمسة عشر) في عصر معاوية بن أبي سفيان إلى (عشرين) درهماً⁽⁴¹⁾.

وكذلك بدأ العطاء يرتبط بشكل واضح بالنواحي العسكرية والسياسية، ففي سنة (69هـ / 688م)، خرج الخليفة عبد الملك لقتال مصعب بن الزبير، فتخلف بعض من أهل الشام عن الخروج معه، فأخذ خمس أموالهم من عطاء سنة (70هـ / 689م)⁽⁴²⁾، على الرغم من حبه العميق لهم⁽⁴³⁾.

كما كان الخليفة عبد الملك يضطر أحياناً وتحت ضغط الظروف إلى زيادة العطاء أو إدخال أناس آخرين في الديوان، كما فعل حين تمرد الجراجمة في لبنان، إذ أعلن قائده (سحيم بن المهاجر) على لسان الخليفة ((من أتانا من العيد فهر

(38) ابن قتيبة، الإمامة، ج2، ص20.

(39) عمر أبو النصر، الحضارة الأموية، ص248.

(40) البلاذري، فتوح، ص445.

(41) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص400.

(42) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص262.

(43) الطرطوشي، سراج الملوك، مطبعة بولاق (القاهرة - 1289 هـ)، ص118.

حر ويثبت في الديوان فانفض اليه خلق كثير))⁽⁴⁴⁾. كما استخدم سلاح زيادة العطاء أيضاً ضد عبد الله بن الزبير، حينما نادى الحجاج جنده قائلاً: ((يا أهل الشام قاتلوا على اعطيات عبد الملك))⁽⁴⁵⁾.

وقد حدث تطور مهم لديوان الجند في عصر الخليفة عبد الملك في العراق خاصة، وذلك حينما بدأ الجند يتقاعسون في الخروج لقتال الخوارج، فعين الخليفة عبد الملك، الحجاج أميراً على العراق، وأمره أن يعيد تنظيم ديوان الجند وتنظيم العطاء فيه على أساس المقدرة والكفاءة فأعاد الحجاج تنظيم ذلك على أسس دقيقة⁽⁴⁶⁾، ثم أمر بإعطاء الناس عطائهم والتوجه لجبهات القتال، وتوعد المتخلفين منهم بالموت⁽⁴⁷⁾، كما لم يقبل إعفاء جندي من الخروج للقتال مقابل تركه عطاءه⁽⁴⁸⁾.

وقد استخدم الخليفة عبد الملك العطاء وسيلة للقضاء على الفتنة، فقد كتب يوماً إلى الحجاج، ان يصف له الفتنة، فوصفها له... فكتب اليه عبد الملك: ((فإن اردت أن يستقيم لك من قبلك فخذهم بالجماعة واعطهم عطاء الفرقة))⁽⁴⁹⁾. وكان الحجاج يصرف العطاء بأكمله لجنده في أوقات الأزمات

(44) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص304.

(45) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص417؛ زيدان، التمدن الإسلامي، ج1، ص72.

(46) طه، العراق في عهد الحجاج، ص126 – 127.

(47) الطبري، تاريخ، ج5، ص42.

(48) المصدر نفسه، ج5، ص46.

(49) المسعودي، مروج، ج3، ص126.

السياسية أو الاستعداد للقتال، كما فعل حينما أعطى الناس أعطياتهم كاملة عند تجهيز جيش الطواويس لقتال رتييل⁽⁵⁰⁾.

ومن ناحية أخرى، فإن الخليفة عبد الملك بن مروان، كان يكرم من أسدى خدمة عسكرية للدولة أو أظهر بطولة وشجاعة في جبهات القتال، فقد كرم موسى ابن نصير حينما حرر أفريقية سنة (83هـ / 703م)⁽⁵¹⁾.

كما كرم الحجاج الملهب بن أبي صفرة وأصحابه لجهودهم في القضاء على الخوارج الأزارقة، إذ ((احسن عطاياهم وزاد في أعطياتهم ثم قال هؤلاء أصحاب الفعال وأحق بالأموال هؤلاء حماة الثغور وغيظ الأعداء))⁽⁵²⁾.

أما إدارة هذا الديوان، فكان أشهر من تولاه للخليفة عبد الملك بن مروان، هو (سرجون بن منصور) الذي تولى ديواني الجند والخراج في دمشق⁽⁵³⁾، ثم عزله الخليفة وعين بدله ((سليمان بن سعيد الخشني))⁽⁵⁴⁾. وكانت غالبية الجند الأموي في عصر الخليفة عبد الملك هم من العرب، لأن الدولة الأموية كانت عربية لحماً ودماً.

ويبدو أن أعداد الجند المسجلين في الديوان لم يكن قليلاً سواء أكان في العراق أو في باقي الأقاليم الأخرى. ففي سنة (74هـ / 693م) كان في العراق

(50) الطبري، تاريخ، ج5، ص140 – 141.

(51) ينظر الفصل الخامس، إدارة أفريقية.

(52) الطبري، تاريخ، ج5، ص134 – 135.

(53) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302 ؛ المسعودي، التنبيه، ص273 ؛ الجهشيارى، الوزراء، ص40.

(54) الجهشيارى، الوزراء، ص40 ؛ الصولي، أدب، 192.

وحدة (ستون) ألفاً من أصحاب العطاء بلغت رواتبهم وأسرهم (ستين مليون) درهم سنوياً⁽⁵⁵⁾، في حين كان عدد من يستلم العطاء في دمشق وحدها سنة (83هـ/700م) نحواً من (خمسة وأربعين) ألفاً⁽⁵⁶⁾، وعددهم في حمص كان (عشرين) ألفاً⁽⁵⁷⁾.

وكان عطاء جند العراق في عهد الحجاج في الغالب هو (ثلاثمائة) درهم سنوياً⁽⁵⁸⁾.

2. ديوان الخراج:

يعد ديوان الخراج أهم دواوين الدولة، وذلك لأنه يتولى تنظيم الخراج وجبايته، وتسجيله، ووضع تقديرات له كما تعول الدولة في وارداتها ومصروفاتها على هذا الديوان وما يجبيه، أي أن مهمة هذا الديوان كانت مالية إدارية، لهذا وجد ديوان للخراج في كل ولاية من ولايات الدولة كما تتوقف أهمية هذا الديوان على مكانة الولاية الاقتصادية، وغزارة مواردها.

وعندما حرر المسلمون الأراضي العربية، أبقوا دواوين الخراج على ما هي عليه من حيث موظفيها ولغاتها المحلية، حتى تم تعريبها على يد الخليفة عبد الملك ابن مروان⁽⁵⁹⁾، وكان الفائض من أموال دواوين الخراج المحلية يرسل إلى

(55) حسيني، الإدارة العربية، ص 249.

(56) جلوب، إمبراطورية العرب، ترجمة خيرى العمري، ط 1، دار الكتاب العربي، (بيروت - 1966)، ص 220.

(57) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 8، ص 245.

(58) البلاذري. انساب، ص 273. (طبعة أهلوت).

(59) ينظر الفصل الرابع ((تعريب الدواوين)).

العاصمة دمشق (ديوان الخراج المركزي) بعد دفع أعطيات الجند ونفقات الخدمات العامة، وما تتطلبه مصاريف الطوارئ الأخرى.

وقد حصل تطور مهم على ديوان الخراج في العصر الأموي، إذ فصلت الجباية عن إدارة الولاية، فأصبح عامل الخراج مستقلاً في أموره عن أمير الولاية الذي تركزت مهامه في الأمور الإدارية والسياسية، حيث منح هؤلاء سلطات واسعة لتسهيل إدارتها.

وكما ذكرنا قبل قليل أن سرجون بن منصور كان قد تولى إدارة ديوان الخراج والجند على عصر الخليفة عبد الملك⁽⁶⁰⁾، ثم عزله وعين بدله ((سليمان بن سعد الخشني))⁽⁶¹⁾. ولا بد أنه كان يساعد صاحب الخراج عدد غير قليل من الكتاب والموظفين، إذ كان بديوان خراج مصر حوالي (أربعة وأربعين) موظفاً⁽⁶²⁾، ويبدو أن متولي ديوان الخراج كان يحصل على أموال طائلة من عمله، مثل (اثنياس) متولي الخراج في مصر على عصر عبد الملك، إذ كان واسع السلطات عظيم النفوذ⁽⁶³⁾.

(60) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 302 ؛ المسعودي التنبيه، ص 273 ؛ الجهشيارى، الوزراء، ص 40.

(61) المسعودي، التنبيه، ص 273 ؛ الجهشيارى، الوزراء، ص 40.

(62) ترتون، أهل الذمة، ص 21.

(63) المصدر نفسه، ص 21 - 22.

وكان أشهر من تولى ديوان خراج العراق هو (زاذان فروخ)⁽⁶⁴⁾. ثم (صالح بن عبد الرحمن)⁽⁶⁵⁾.

3- ديوان الرسائل والكتابة:

أخذ الرسول محمد ﷺ كتاباً يكتبون الوحي وآخرين يكتبون الأحوال الدنيوية⁽⁶⁶⁾، كما أستخدم الخلفاء الراشدون عدداً من الصحابة والخاصة كتاباً يكتبون أمور الدولة المختلفة، ومن أشهرهم زيد بن ثابت كاتب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ⁽⁶⁷⁾، ومروان بن الحكم الذي كتب للخليفة عثمان بن عفان ﷺ⁽⁶⁸⁾.

وفي العصر الأموي، أسس ديوان منظم للرسائل⁽⁶⁹⁾، إذ توسعت رقعة الدولة العربية، فكثرت أعمال الخلفاء، مما كان له أكبر الأثر في شيوع المكاتبات

(64) زاذان فروخ: تولى ديوان الخراج في العراق على عهد زياد بن أبي سفيان وابنه عبيد الله بن زياد، وطرد من منصبه زمن مصعب بن الزبير، ثم عينه الحجاج ثانية على الخراج، وبقي في منصبه هذا حتى قتل سنة (82 هـ) في فتنة ابن الأشعث. البلاذري، فتوح، ص 298؛ الجهشيارى، الوزراء، ص 26، 38.

(65) صالح بن عبد الرحمن: كان أبوه من سبي سجستان، مولى بني تميم، وهو أول من عرب دواوين العراق، كان يجيد اللغة العربية والفارسية، ولاه الحجاج الديوان بعد زاذان فروخ، واستمر في عمله هذا حتى قتل في ولاية ابن هبيرة على العراق سنة (103 هـ). البلاذري، فتوح، ص 298؛ الجهشيارى، الوزراء، ص 38؛ الصولي، أدب، ص 192؛ المبرد، الكامل، ج 2، ص 196؛ وج 3، ص 215،

(66) الجهشيارى، الوزراء، ص 12.

(67) المصدر نفسه، ص 16.

(68) المصدر نفسه، ص 21.

(69) حسيني، الإدارة العربية، ص 168.

الرسمية التي تناولت كثيراً من الأمور الإدارية وسياسة الدولة وتنظيم أمورها المختلفة.

ويبدو ان هذا الديون قد اتخذ شكله المميز في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، فأصبح ديواناً متكاملًا، يعرف بـ (ديوان الرسائل)، وما يؤكد هذا أن الجهشيارى لا يسميه ديواناً إلا عند حديثه عن الخليفة عبد الملك بن مروان⁽⁷⁰⁾.

إن مهمة هذا الديوان هي تحرير رسائل الخليفة وأوامره الداخلية والخارجية، فضلاً عن تنسيق العمل بين دواوين الدولة المختلفة. وكانت ترد إلى صاحب هذا الديون رسائل الولايات فيقوم بأجراء ما يجب بصدددها. ثم توسع هذا الديوان وتعددت اختصاصاته وكثر عدد من يعملون فيه، إذ وجد فيه كتاب اساسيون يقومون بالكتابة والإنشاء وآخرون يساعدونهم يقومون بالتلخيص والتبويض، وأصبح لهذا الديوان ملفات توضع فيها أصول المراسلات ونسخها، وتنظم في سجلات خاصة تسمى أضاير وتوضع عليها بطاقات تدل على محتوياتها ليسهل استخراجها واستخدامها⁽⁷¹⁾.

وكان يجب على من يعمل في هذا الديوان أن يتقن اللغة العربية، ويفضل من يعرف لغة أجنبية، كما ((يجب أن يعرف الوصول والفصول والترغيب والترهيب والجوابات))⁽⁷²⁾، وكان كاتب الرسائل يمثل ((يد الخليفة ومستودع أسرار))⁽⁷³⁾، لذلك لا يختار لهذا العمل إلا ((من أهل نسبه ومن عظماء

(70) الجهشيارى، الوزراء، ص 35.

(71) ماجد، الحضارة الإسلامية، ص 35 – 36.

(72) البيهقي، المحاسن والمساوي، ص 418.

(73) زيدان، التمدن الإسلامي، ج 1، ص 212.

قبيلة))⁽⁷⁴⁾، وقد استمر ذلك طيلة العصر الأموي، وكان صاحب هذا الديوان لا يقل أهمية عن الوزير في العصر العباسي⁽⁷⁵⁾.

وقد تطور هذا الديوان كثيراً على عصر الخليفة عبد الملك وازدادت أهميته بشكل واضح، ولا سيما أثناء ولاية الحجاج للعراق، نظراً للمستجدات السياسية ووجود المتمردين والخارجين على الدولة مما استوجب متابعة أخبارهم، فكان الخليفة عبد الملك يكتب للحجاج بشأنهم، مما كان باعثاً مهماً لازدهار ديوان الرسائل والكتابة، فكانت هذه الرسائل تصدر من الديوان بشكل مستمر إلى من يهمه الأمر لمعالجة أوضاع تلك الاضطرابات⁽⁷⁶⁾ إذ ان الخليفة عبد الملك كان غالباً ما يلجأ إلى المكاتبات السياسية في محاولة منه أن يفت في عضد قادة التمردات والاضطرابات فراسل أصحاب مصعب بن الزبير، وابن الأشتر⁽⁷⁷⁾، كما كان يرسل التوجيهات الإدارية والعسكرية إلى ولاته وقادته، وكان من الطبيعي أن تزداد مراسلات الحجاج إلى ولاته وقادته ومراسلاتهم اليه، كالمهلب بن أبي صفرة مثلاً⁽⁷⁸⁾. ويلاحظ كثرة التوقييع⁽⁷⁹⁾، في مراسلات الخليفة عبد

(74) ابن خلدون، المقدمة، ص 246.

(75) طلس، محمد أسعد، تاريخ الأمة العربية، (عصر الاتساق)، ط 1، دار الأندلس، (بيروت - 1958 م)، ص 66.

(76) ينظر: احمد زكي صفوت، جبهة رسائل العرب، ط 1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر، 1937 م)، ج 2، ص 143 - فما بعد.

(77) الطبري، تاريخ، ج 4، ص 573، ج 5، ص 6؛ الأصبهاني، الأغاني، ج 19، ص 123، 124.

(78) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 277 - 280؛ النويري، نهاية الأرب، ج 7، ص 246 - 247.

(79) التوقيع: هو الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمد الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم وهو أمر جليل ومنصب خطير. القلقشندي، صبح الأعشا، ج 1، ص 114 - 115.

الملك مع الحجاج بن يوسف الثقفي، والتي تؤكد أهمية ديوان الرسائل وتطوره وتوضح في جانب منها طبيعة سياسة الخليفة عبد الملك الإدارية. فوقع مثلاً في كتاب أتاها من الحجاج: ((جنبني دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الطلب))⁽⁸⁰⁾، كما وقع في كتاب للحجاج: ((أرفق بهم فإنه لا يكون مع الرفق ما تكره ومع الخرق ما تحب))⁽⁸¹⁾.

ونظراً لأهمية كتاب الرسائل فإن الخليفة عبد الملك بن مروان، وكذلك الحجاج لم يستخدموا في هذا الديوان إلا من هو موضع ثقة وأمانة وإخلاص، كما اختير الكتاب الحاذقون الذين يجمعون بين الخبرة الإدارية وفن كتابة الرسائل وإجادة أسلوب المخاطبة. ومن أشهر من استخدمهم الخليفة عبد الملك (قبيصة بن ذؤيب ابن حلحلة بن عمرو) ويكنى (أبا إسحاق) وبلغ من علو مكانته أنه كان يطلع على الكتب الواردة إلى الخليفة قبل أن يعرضها على الخليفة نفسه⁽⁸²⁾، وكذلك كتب له على ديوان الرسائل، (أبو الزعزعة) مولاه⁽⁸³⁾، ومن كتبه المشهورين (روح بن زنباع الجذامي) ويكنى (أبا زرعة)، وكان روح هذا على جانب كبير من العلم والأمانة إذ كان يقول فيه عبد الملك: ((ما أعطي أحد ما أعطي أبو زرعة، أعطي فقه الحجاز، ودهاء أهل العراق، وطاعة أهل

(80) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص207.

(81) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، خاص الخاص، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت - 1966 م)، بلا. ط، ص87.

(82) البلاذري، انساب، ج5، ص356؛ الجهشيارى، الوزراء، ص34؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص168.

(83) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص25؛ الجهشيارى، الوزراء، ص35.

الشام))⁽⁸⁴⁾، وكان من كتابه أيضاً (ربيعة الجرشي) الذي استشاره عبد الملك بشأن تولية ابنه الوليد العهد⁽⁸⁵⁾، مما يدل على مكانة كاتب الرسائل العالية في عصر الخليفة عبد الملك. وبعد وفاة قيصبة بن ذؤيب، وليّ عبد الملك مكانه (عمرو بن الحارث الفهمي) مولى بني عامر بن لؤي⁽⁸⁶⁾.

أما أشهر من تولى ديوان الرسائل والكتابة للحجاج، فهو (يزيد بن أبي مسلم) وكان أثيراً لديه وموضع ثقته لدرجة أنه أوصى بتوليته مكانه عند وفاته، وكان يزيد هذا يأخذ (ثلثمئة) درهم شهرياً⁽⁸⁷⁾. وكان يكتب (ليزيد بن الملهب) والي خراسان، (يحيى بن يعمر العدواني) الذي اشتهر بالفصاحة⁽⁸⁸⁾. وما يلاحظ على مراسلات الحجاج مع عماله انها كانت منتظمة.

ونتيجة الاهتمام بالدواوين وإدارتها ' فقد كثر في هذه الحقبة أعداد الكتاب من العرب ومواليهم، كما يلاحظ أيضاً أنه صار هناك تخصص في الكتاب إذ ظهر خمسة أنواع من هؤلاء نتيجة لتعدد مصالح الدولة، وهم: كاتب

(84) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص77؛ التاج، ص60؛ المبرد، الكامل، ج3، ص169؛ الجهشيارى، الوزراء، ص35؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص159؛ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح، علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر (القاهرة - د. ت)، ق2 ص503.

(85) الجهشيارى، الوزراء، ص37؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، ص299.

(86) الجهشيارى، الوزراء، ص38.

(87) الجهشيارى، الوزراء، ص42؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص61-62؛ ابن الأبار، اعتاب الكتاب، ص57.

(88) الجهشيارى، الوزراء، ص41؛ غرر السير، ورقة (137)، مجهول، تاريخ الخلفاء، ص317.

الرسائل، وكاتب خراج، وكاتب جند، وكاتب شرطة، وكاتب قاض⁽⁸⁹⁾. ومما يلاحظ على كتاب الرسائل والخاتم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان أن أغلبهم من العرب أو مواليهم، لأنهم يجيدون الكتابة باللغة العربية، كما أنهم موضع ثقة الخليفة، فضلاً عن أن سياسة عبد الملك استهدفت صبغ الدولة بالصبغة العربية ولا يوجد من هؤلاء الكتاب من هو من أهل الذمة، كما تولى بعضهم أكثر من وظيفة.

4. ديوان الخاتم:

أن الختم على الرسائل والصكوك معروف قبل الإسلام وبعده⁽⁹⁰⁾، ولما تأسست الدولة العربية الإسلامية، وأراد الرسول محمد ﷺ أن يكتب إلى امبراطور الروم بعد أنصرافه من الحديبية سنة (6 / 627 م)، قيل له أنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فأتخذ خاتماً من فضة، ومنع أن ينقش مثله، ونقش عليه (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر، فختم به حتى توفي ﷺ، فختم به أبو بكر وعمر وعثمان لمدة (ست) سنوات فضاع فأتخذ خاتماً من ورق ونقش عليه ((محمد رسول الله))⁽⁹¹⁾. وكان الخاتم أو الختم في عصر رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين يعني التوقيع بالختم ليس إلا.

(89) البيهقي، المحاسن والمساوي، ص 418.

(90) ابن خلدون، المقدمة، ص 264 ؛ ابن الأزرقي، بدائع السلك، ج 2، ص 231.

(91) البلاذري، فتوح، ص 448 ؛ الصولي، أدب، ص 139 ؛ قدامة، الخراج، ص 55 – 56 ؛ العسكري، الأوائل، ص 80، ابن خلدون، المقدمة، ص 264 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 1، ص 422 ؛ ابن الأزرقي، بدائع السلك، ج 2، ص 231.

وفي العصر الأموي تم إنشاء هذا الديوان وأول من اتخذته الخليفة معاوية بن أبي سفيان⁽⁹²⁾. وتجمع المصادر التاريخية على أن سبب إنشائه، هو حادثة تزوير كتاب الخليفة معاوية الذي كتبه إلى عامله على العراق (زياد بن أبي سفيان) يأمره فيه أعطاء عمرو بن الزبير (مئة ألف) درهم، ففرض عمرو الكتاب وصير (المئة)، (مئتي ألف درهم)، فاكشف معاوية حالة التزوير هذه فأحدث عندئذ ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم⁽⁹³⁾، وأصبح ديوان الخاتم ((عبارة عن الكتاب القائمين على انفاذ كتب السلطان والختم عليها أما بالعلامة أو بالحزم))⁽⁹⁴⁾، وصار ديواناً معتبراً من أكابر الدواوين⁽⁹⁵⁾، وولاه معاوية إلى عبد الله بن اوس الغساني⁽⁹⁶⁾، وكان نقش خاتمه ((لكل عمل ثواب))⁽⁹⁷⁾.

(92) الجهشيارى، الوزراء، ص 24 ؛ العسكري، الأوائل، ص 80 ؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص 16 ؛ التذكرة الحمدونية، ج 12، ورقة (25 ب)، السيوطي، الوسائل، ص 98؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 265 ؛ ابن طباطبا: الفخري ص 107 ؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج 1، ص 414، مآثر الأنافة، ج 3، ص 342.

(93) ينظر مصادر هامش رقم (3).

(94) ابن خلدون المقدمة، ص 266.

(95) ابن الطقطقي، الفخري، ص 107.

(96) العسكري، الأوائل، ص 80 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 200 ويرد الاسم عند

الجهشيارى عبيد الله وليس عبد الله. ص 24، أما الطبري فيورد اسمه ((عبد الله بن

محسن الحميري))، تاريخ، ج 4، ص 244.

(97) الصولي، أدب، ص 141، العسكري، الأوائل، ص 85 ؛ ابن الكازروني، مختصر

التاريخ، ص 82.

وفي عصر الخليفة عبد الملك بن مروان تطور ديوان الخاتم فأصبح إدارة منظمة، كما نشأت في هذه الفترة دار للمحفوظات الحكومية في دمشق⁽⁹⁸⁾. ومن المحتمل ان هذا الديوان لم يقتصر على العاصمة دمشق، بل ربما وجد في باقي الولايات، خصوصاً بعد التنظيم الإداري الواسع الذي قام به الخليفة عبد الملك بن مروان، وكذلك لكثرة المراسلات مع الولايات المختلفة وأهميتها السياسية ولا سيما مع العراق.

وكان الخليفة عبد الملك لا يولي هذا الديوان إلا أوثق الناس عنده⁽⁹⁹⁾، لذلك فقد قلده إلى (قيصة بن ذؤيب الغساني)، الذي كان أثر الناس عنده، إذ أمر الخليفة حاجبه، بالا يحجب قيصة في أي ساعة جاء من ليل او نهار، فكانت تأتيه الأخبار قبل الخليفة كما ذكرنا ذلك سابقاً ثم يأتي بها منشورة إلى الخليفة عبد الملك فيقرأها أعظماً لقيصة⁽¹⁰⁰⁾. وعندما توفي خلفه في منصبه (عمرو بن الحارث الفهمي) مولى بني عامر بن لؤي⁽¹⁰¹⁾، ثم توفي عمرو فخلفه جناح مولى

(98) حسيني، الإدارة العربية، ص 169.

(99) الصولي، أدب، ص 141.

(100) ابن سعد، الطبقات. م 5، ص 234 ؛ ابن حبيب، المحبر، ص 379 ؛ المسعودي، التنبيه

والإشراف، ص 273 ؛ الطبري، تاريخ، ج 4، ص 598 ؛ الجهشيارى، الوزراء، ص 34 ؛

= ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 399. يرد الاسم لدى خليفة بن خياط،

(قيصة بن ذؤيب الخزاعي) وليس الغساني، تاريخ، ج 1، ص 302.

(101) الجهشيارى، الوزراء، ص 38.

الخليفة عبد الملك⁽¹⁰²⁾. وكان نقش خاتم الخليفة عبد الملك ((أمنت بالله
مخلصاً))⁽¹⁰³⁾.

ومن الملاحظ أن أغلب من ولي ديوان الخاتم كان من العرب ومن مختلف
القبائل أو من موالي الخليفة أو موالي القبائل، كما يلاحظ أن بعض هؤلاء
تقلدوا الرسائل والخاتم معاً لأهمية هذين الديوانين ولارتباط عمليهما معاً.

5. ديوان البريد:

البريد في الإصلاح: ((أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن، فإذا وصل
صاحب الخبر المسرع إلى مكانه منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً،
وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يصل بسرعة))⁽¹⁰⁴⁾، وقدرت مسافة البريد
بـ (أربعة)⁽¹⁰⁵⁾ فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، فيكون طول المسافة بين نقطة
بريد وأخرى (اثني عشر)⁽¹⁰⁶⁾ ميلاً، واختلف في أصل تسميته⁽¹⁰⁷⁾.

(102) المصدر نفسه، ص 38.

(103) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص 90 ؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج 6، ص 354؛
مآثر الانفة، ج 1، ص 128.

(104) ابن الطقطقي، الفخري، ص 106.

(105) يجعل الخوارزمي مسافة البريد (فرسخان)، مفاتيح العلوم، ص 42.

(106) ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص 32 ؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج 14 ؛ ص 366 ؛
ابن الطقطقي، الفخري، ص 106.

(107) للتفصيل ينظر: خولة عيسى محمد صالح، نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية
الإسلامية، رسالة ماجستير، على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد-كلية الآداب،
لسنة (1985م)، ص 15-20.

وقد عرف العرب البريد منذ القدم، إذ أن ورود اسم البريد في الأحاديث النبوية الشريفة يدل على ذلك⁽¹⁰⁸⁾، كما يلاحظ اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب ؓ بالبريد بشكل أوسع، إذ ((اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لكون أن كان))⁽¹⁰⁹⁾، لذلك كان للبريد أثر مهم في حركات التحرير العربية الواسعة، تمثل في سرعة إيصال الأوامر والتوجيهات العسكرية، وأخبار معارك التحرير في جبهات القتال⁽¹¹⁰⁾، فضلاً عن كثرة استخدامه في تسير الرسل والهدايا بين الخليفة عمر ؓ وإمبراطور الروم⁽¹¹¹⁾.

وفي عصر الخليفة عثمان بن عفان ؓ، يبدو أن البريد توسع وازدادت أهميته⁽¹¹²⁾. وعندما تولى معاوية الخلافة سنة (41هـ)، كانت ظروف الدولة قد تغيرت كثيراً، إذ توسعت مساحة الدولة، وكثر المناؤون، فازدادت المراسلات، فلذلك بات من الضروري، تنظيم البريد والاستفادة منه لتسهيل الاتصال

(108) ينظر ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث، تح، طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (القاهرة - 1963)، ج1، ص115 - 116 ؛
فنسك، المعجم المفهرس، ج1، ص168 - 169.

(109) الطبري، تاريخ، ج3، ص154 - 155.

(110) ينظر: الطبري، تاريخ، ج3، ص9-12؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص412؛ ابن عساكر، التاريخ الكبير، ج1، ص158؛ وللتفصيل ينظر، خولة عيسى، نشأت البريد، ص37-46.

(111) الطبري، تاريخ، ج3، ص317؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص96، الخصري، تاريخ الأمم، ج2، ص17.

(112) الشيبني، د. مصطفى، أصحاب الأخبار أو رجال المخابرات في التراث العربي حتى سقوط الدولة العباسية، مجلة أفاق عربية، العدد (7)، (إذار 1982 م)، ص62.

السريع بين الخليفة وعماله ونقل الرسائل والأخبار بأسرع ما يمكن، لكل ذلك نظم معاوية البريد، وكانت له الريادة في هذا الميدان⁽¹¹³⁾.

وكان من يقوم على البريد يدعى بـ (صاحب البريد)، له من الصفات ما تجعله مؤهلاً لهذا المنصب فقد أوجز لنا ابن الأزرق هذه الصفات قائلاً بأنه يجب: ((أن يكون موثقاً ومن أهل السياسة، والدلالة في الطريق والتبصر بالقبائل))⁽¹¹⁴⁾، ويختار صاحب البريد أصحابه وأعوانه، من أهل المعرفة بالطريق وقوة الأجسام⁽¹¹⁵⁾.

وكانت مهمة صاحب البريد الرئيسة في هذه الحقبة هي نقل الرسائل والأخبار بين العاصمة دمشق وولايات الدولة وبالعكس، وكذلك حفظ الطرق وصيانتها من قطاع واللصوص والجواسيس والأعداء⁽¹¹⁶⁾، أما أهم وسائل البريد فهي، الخيل والبغال والبراذين والجمال⁽¹¹⁷⁾. وكانت تستعمل في ذلك الخيل في العراق وفارس، والإبل في الشام ومصر⁽¹¹⁸⁾.

(113) العسكري، الأوائل، ص 191؛ الثعالبي، لطائف، ص 16؛ السيوطي، الوسائل، ص 98؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج 1، ص 414؛ ج 14، ص 368؛ مآثر الانافة، ج 3، ص 342؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص 106.

(114) بدائع السلك، ج 2، ص 520.

(115) المصدر نفسه، ج 2، ص 520.

(116) زيدان، التمدن، ج 1، ص 199 – 200.

(117) الجاحظ، رسائل الجاحظ (كتاب البغال)، جمع ونشر، عبد السلام هارون، ص 265 –

فما بعد؛ مجهول، العيون والحدائق، ج 3، ص 82؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص 366؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ج 2، ص 520.

(118) الخربوطلي، الدولة العربية الإسلامية، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة-1960م)، ص 222.

وعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سنة (65هـ/ 684م)، اقتدى
بسياسة الخليفة معاوية ومن قبله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في التطلع إلى
سماع أخبار ولاته ورعيته⁽¹¹⁹⁾، فبث العيون إلى الأقاليم⁽¹²⁰⁾ رغبة منه في تنظيم
إدارة الدولة، والاستمرار في عمليات التحرير والبناء، لذلك اعتنى بشكل كبير
بالبريد بوصفه وسيلة مهمة من وسائل ضبط الإدارة وانتظام أمورها، فطوره
ونظمه وأرسى قواعده⁽¹²¹⁾، فلم يعد وسيلة لنقل الأخبار والرسائل بين
العاصمة والولايات وبطريقة تبادل الخيل حسب، بل أصبح وسيلة مهمة في
العمليات العسكرية، ونقل الأشخاص المهمين والمواد المختلفة، باستخدام
الرحلات السريعة والمنظمة، كما أصبح عينا للخليفة في نقل أخبار الأقاليم
والعمال وشكاوى الناس من عمالهم وموظفي الدولة هناك.

ومن أجل تسهيل عمل البريد وانتظامه وسرعته، قام الخليفة عبد الملك بن
مروان بتنظيم طرق البريد، وتحديداتها وتثبيتها، فقام ببناء الأميال في
الطرق⁽¹²²⁾ كعلامات دلالة للطريق وتحديد مسافاتهما، ومما يؤكد ذلك ما وصل
إلينا من نقوش معاصرة للخليفة عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ)، كشفت

(119) البيهقي، المحاسن والمساوي، ص 143 – 144 ؛ محمد بن طلحة، العقد الفريد للملك
السعيد، ورقة (147).

(120) ابن حبيب، المحبر، ص 341.

(121) ابن سعد، الطبقات، م 5، ص 176 ؛ العسكري، الأوائل، ص 191 ؛ القلقشندي،
صبح، ج 1، ص 414 ؛ مآثر الانافة، ج 1، ص 342.

(122) كراتشكوفسكي، افناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين
عثمان هاشم، بلاط (موسكو-1957)، ق 1، ص 61.

بالقرب من بيت المقدس تشير إلى أوامره بعمل هذه الأميال⁽¹²³⁾، كما تبين النقوش المعاصرة للخليفة، عمارة أربعة طرق تخرج من بيت المقدس ومن دمشق، كذلك عُثِرَ على بعض الحجارة التي وضعت على طرق البريد في فلسطين⁽¹²⁴⁾. وعُثِرَ على حجر آخر قرب تفليس⁽¹²⁵⁾، وأغلب الظن أنها تعود إلى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان أيضاً⁽¹²⁶⁾. وبذلك فإن الخليفة عبد الملك بذل عناية فائقة في تنظيم الطرق وصيانتها، فأصبحت تخرق الدولة طرق عديدة أقيمت على طولها محطات للبريد⁽¹²⁷⁾.

وقد ازدادت أهمية البريد وصاحبه في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان إذ أفاد منه الخليفة في مجالات متعددة، فأصبح صاحب البريد عيناً للخليفة عبد الملك، كما ذكرنا سابقاً، يستفسر منه عن أحوال الولايات وأخبارها، فيذكر الطرطوشي⁽¹²⁸⁾ أنه: ((لما قدم البريد من بشر بن مروان، على عبد الملك بن مروان سألته عن بشر فقال: يا أمير المؤمنين، هو الشديد في غير عنف، فقال عبد

(123) عمل الأميال: هو مسح الأراضي لوضع حدود على كل مسافة قدرها ميل، بوضع حجر كبير. سيدة اسماعيل كاشف، مصر في فجر الاسلام، ص 26.

(124) كاشف، سيدة اسماعيل، مصر في فجر الاسلام، ص 26؛ الوليد بن عبد الملك، ص 182؛ العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، دار المعارف، (مصر - 1951م)، ص 52؛ كراتشوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ق 1، ص 61.

(125) تفليس: قصبة كرجستان وهي في اعالي نهر الكر، ويقسمها هذا النهر نصفين. لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية، بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مط. الرابطة، (بغداد - 1954م)، ص 216.

(126) كراتشوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ق 1، ص 61.

(127) ديمومين، النظم الاسلامية، ص 156؛ العارف، تاريخ القدس، ص 52.

(128) سراج الملوك، ص 139.

الملك: ذلك الأعسر الأجود الذي كان يامن عنده البريء ويخاف لديه السقيم))،
كما وأصبح بإمكان الناس في بعض الحالات إيصال شكاواهم عن الولاة إلى
ال خليفة، كما فعل الشاعر (ثابت قطنة) وهو في خراسان، عندما أرسل برقة
شكوى مع صاحب البريد يشتكي فيها من والي خراسان (أمية بن عبد
الله)⁽¹²⁹⁾.

وقد أفاد الخليفة عبد الملك فائدة كبيرة من البريد خصوصاً في الجوانب
العسكرية، سواء أكان ذلك بإرسال الجند أو الإمدادات والأوامر إلى قادة جنده،
أو في نقل أخبار المعارك والتحركات العسكرية اليه، فكان للبريد على - سبيل
المثال وظيفة مهمة في قتال الخوارج - والقضاء على حركات التمرد، فيقول
الطبري⁽¹³⁰⁾: ((وجعل الحجاج يُسير إلى البراء بن قبيصة (عامله على اصبهان)
الرجال على دواب البريد عشرين عشرين وخمسة عشر خمسة عشر، وعشرة
عشرة، حتى سرح اليه نحو خمسمائة))، كما استخدم البريد بحجم اكبر في تمرد
ابن الاشعث فيقول الطبري⁽¹³¹⁾: ((... وأقام الحجاج بالبصرة... وفرسان أهل
الشام يسقطون إلى الحجاج في كل يوم (مائة)، و(خمسون)، و(عشرون) وأقل
على البرد من قبل عبد الملك)).

وعلى صعيد متابعة الخليفة لأخبار جيشه، كان عبد الملك على اتصال
مستمر بقواده في جبهات القتال، إذ كان البريد لا ينقطع بينهما، فكانت الأخبار

(129) الاصبهاني، الاغانى، ج 14، ص 281-282.

(130) تاريخ، ج 5، ص 114.

(131) المصدر نفسه، ج 5، ص 149 ؛ ينظر: البلاذري، أنساب، ص 338-339.
(أهلوت).

تصل اليه بسرعة كبيرة وبشكل يومي تقريباً⁽¹³²⁾، كما أن صاحب البريد نفسه كان يصاحب الحملات العسكرية، فيكون مكانه في ميمنة القلب في الجيش⁽¹³³⁾.

وإدراكاً من الخليفة لأهمية البريد وكسبا للوقت فقد جعل على هذا الديوان أخص خاصته وهو (قيصة بن ذؤيب) وأمر بالآلا يحجب أي ساعة جاء من ليل أو نهار⁽¹³⁴⁾، وتأكيداً لذلك فقد منع الخليفة عبد الملك حاجبه أن يحجب صاحب البريد، قائلاً له: ((وليتك ما خلف بابي إلا أربعة...، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم⁽¹³⁵⁾ حسبهم البريد ساعة))⁽¹³⁶⁾، ونتيجة ذلك أن انتظم البريد وأصبح الخليفة يطلع بشكل يومي على تفاصيل الموقف، فيقول الطبري⁽¹³⁷⁾: ((... وهو [الحجاج] في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله يخبر ابن محمد (ابن الأشعث) أي كورة نزل ومن أي كورة يرتحل وأي الناس إليه أسرع)). وكان الحجاج هو أيضاً دائم الصلة بقواده في جبهات القتال ويتسمع أخبارهم، ((وكانت كتب الحجاج ترد على محمد بن القاسم الثقفي وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله واستطلاع رأيه فيهما يعمل به في كل ثلاثة أيام))⁽¹³⁸⁾، ووصول الكتب بهذه السرعة يدل على التنظيم الرائع للبريد، بل كان الحجاج أحياناً يرسل الخطط العسكرية والأوامر

(132) ابن الاثير، الكامل، ج4، ص464.

(133) الهرثمي، سياسة الحروب، ص38.

(134) ابن سعد، الطبقات، م5، ص176، 234.

(135) سنتهم: طريقتهن. الجوهري، الصحاح، ج5، ص2138 (مادة سنن).

(136) العسكري، الاوائل، ص191؛ القلقشندي، صبح الاعشا، ج14، ص368.

(137) تاريخ، ج5، ص149؛ ينظر: البلاذري، انساب، ص338-339، 344 (اهلورت).

(138) البلاذري، فتوح، ص424.

والتوجيهات لقواده بالبريد كما هو الحال مع محمد ابن القاسم اثناء فتوحه
للسند⁽¹³⁹⁾.

وقد استخدم البريد في عصر الخليفة عبد الملك أيضاً في حمل الأشخاص
ومن مختلف المستويات كالولاية⁽¹⁴⁰⁾ والكتاب⁽¹⁴¹⁾ والشعراء⁽¹⁴²⁾ وغيرهم⁽¹⁴³⁾،
كما حمل كتب التأييد والرضى عن الخليفة من الاشخاص المهمين⁽¹⁴⁴⁾.

ومن وسائل الاتصال والمخابرة الجديدة التي استخدمها الحجاج في
الأحوال العسكرية خاصة، لإيصال الأخبار بين واسط وقزوين بسرعة، هو بناء
المنابر أو المنائر التي توضع على المرتفعات العالية حيث تنقل الإشارات
بواسطتها عن طريق إشعال النار أو الدخان، فيصل الخبر بسرعة عن طريقة
انتقاله من منظره لأخرى وقد وضع ياقوت ذلك بقوله: ((... وكان إذا دخن
أهل قزوين دخنت المنابر أن كان نهاراً، وأن كان ليلاً أشعلوا نيراناً فتجرد الخيل
اليهم، فكانت المنابر متصلة بين قزوين وواسط))⁽¹⁴⁵⁾.

(139) المصدر نفسه، ص 425؛ البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص 48.

(140) الطبري، تاريخ، ج 5، ص 136.

(141) المصدر نفسه، ج 5، ص 187؛ الجهشياري، الوزراء، ص 41؛ غرر السير، ورقة
(137).

(142) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص 360.

(143) إذ حملت جثة شبيب الخارجي على البريد، عندما سقط في نهر الدجيل ومات. ابن
العماد، شذرات، ج 1، ص 84.

(144) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 324.

(145) ياقوت، معجم البلدان، م 5، ص 350.

ويبدو أن ما كان ينفقه الخليفة عبد الملك بن مروان على إدارة البريد لم يكن قليلاً، لا سيما أنه قد بذل جهوداً كبيرة لتطويره وتنظيمه، ويمكن استنتاج ذلك، من أن نفقة البريد في العراق فقط، زمن ولاية يوسف بن عمر الثقفي بلغت (أربعة) ملايين درهم سنوياً⁽¹⁴⁶⁾.

ويمكن القول بأن الخليفة عبد الملك بن مروان هو أول⁽¹⁴⁷⁾ من جعل ديوان البريد، مؤسسة إدارية منظمة مستقلة، وهذا لا يعني عدم وجود البريد المنتظم في عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان، إلا أنه لم يكن ديواناً متكاملًا مستقلاً، خصوصاً أن مصادرنا التاريخية، لا تذكر البريد بوصفه ديواناً إلا في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان.

6. ديوان النظر في المظالم:

النظر في المظالم: ((وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي... وكان الخلفاء الأولون يباشرونها بأنفسهم إلى خلافة المهدي من بني العباس))⁽¹⁴⁸⁾.

وقد دعت الحاجة إلى إيجاد النظر في المظالم، وذلك لوقف تعدى أصحاب النفوذ من ذوي الجاه والحسب، ولهذا السبب، كان يسند النظر في المظالم إلى رجل

(146) الماوردي، الاحكام، ص 175.

(147) ينظر: هارتمان، (مادة بريد)، دائرة المعارف الاسلامية، ط 1، دار الشعب، (القاهرة - د.ت).

(148) ابن خلدون، المقدمة، ص 222.

جليل القدر، نافذ الأمر، له دين وأمانة وفي خليفته عدل ورأفة⁽¹⁴⁹⁾، يعرف باسم قاضي المظالم، أو صاحب المظالم، وكانت محكمة المظالم بمثابة محكمة الاستئناف في الوقت الحاضر تنعقد تحت رئاسة الخليفة أو الوالي، وغالباً ما تعقد في المسجد في يوم محدد⁽¹⁵⁰⁾.

وفي عصر النبوة والخلافة الراشدة، لم تكن ولاية النظر في المظالم قد نشأت وتكونت بعد، فكان الرسول محمد ﷺ يتولى رفع المظالم بنفسه وحل المشاكل التي تواجهه، فقد نظر رسول الله ﷺ في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام، ورجل من الانصار فحضره بنفسه، فقال للزبير: ((أسق انت يا زبير ثم الانصاري))⁽¹⁵¹⁾. ولم ينتدب للمظالم أحد من الخلفاء الراشدين، لأن الناس كانوا في هذا العصر تحت تأثير قوة الوازع الديني، فكان هذا الوازع هو الذي يقودهم إلى التناصف والابتعاد عن المظالم، ولكن الخليفة علي ابن أبي طالب ؑ احتاج إلى الجلوس للمظالم ((حين تأخرت إمامته واختلط الناس فيها وتجهروا))⁽¹⁵²⁾، فأستحدث (بيت القصص) وجلس للمظالم ينظر في شكاوى الناس⁽¹⁵³⁾، لكنه لم

(149) قدامة، الخراج، ص 63؛ الماوردي، الأحكام، ص 77.

(150) زيدان، التمدن الإسلامي، ج 1، ص 207؛ حسن، إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص 268.

(151) الماوردي، الأحكام، ص 77؛ أبو يعلى الأحكام ص 58.

(152) الماوردي، الأحكام، ص 78؛ النويري، نهاية الأرب ج 6، ص 269.

(153) العسكري، الأوائل، ص 167؛ ينظر: عطا سلمان جاسم، النظر في المظالم في الخلافة العربية الإسلامية حتى القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، (جامعة بغداد - كلية الآداب 1985 م)، ص 55 - 56.

يفرد يوماً خاصاً للنظر في المظالم وإنما كان إذا جاءه متظلم انصفه، أي انه ((لم يخرج فيها إلى نظر المظالم المحض لاستغنائه عنه))⁽¹⁵⁴⁾.

وفي العصر الأموي، حدثت تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية واسعة⁽¹⁵⁵⁾، كما ضعف الوازع الديني نسبياً واشتد الطابع الدنيوي لدى الناس، فكان من نتائجه أن، ((تجاهر الناس بالظلم والتغالب ولم يكفهم زواج العظة عن التمانع والتجاذب، فاحتاجوا... إلى نظر المظالم))⁽¹⁵⁶⁾.

كما يبدو أن بعض التنظيمات الإدارية في عصر الخليفة عبد الملك، ومنها الحجابة قد أثر بذاته على زيادة الحاجة للمظالم، إذ أصبح الخلفاء أقل اتصالاً بالناس ولم يعد بمقدور هؤلاء الدخول على الخلفاء في أي وقت يشاؤون، مما جراً الناس على الظلم، ((فقد قيل لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب لأن الرعية إذا وثقت بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم))⁽¹⁵⁷⁾.

لكل ذلك بات من الضروري إيجاد ولاية النظر في المظالم وتنظيمها، فكان الخليفة عبد الملك بن مروان أول من أفرد يوماً للنظر في المظالم، حيث جلس في يوم محدد يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر فيها، فكان إذا وقف منها على مُشكل، أو احتاج فيها إلى حكم منفذ رده إلى قاضيه⁽¹⁵⁸⁾، أبي

(154) الماوردي، الأحكام، ص78.

(155) ينظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(156) الماوردي، الأحكام، ص78.

(157) الابشيهي، المستطرف، ج1، ص92؛ النويري، نهاية الأرب، ج6، ص90؛ ينظر: الحجابة في هذا البحث.

(158) الماوردي، الأحكام، ص78؛ النويري، نهاية الأرب، ج6، ص269.

إدريس الخولاني⁽¹⁵⁹⁾، فنفذ فيه أحكامه لرهبة التجارب من عبد الملك بن مروان في علمه بالحال ووقوفه على السبب، فكان أبو إدريس هو المباشر وعبد الملك هو الأمر⁽¹⁶⁰⁾.

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان حين يجلس للمظالم يستعد لها، فكان يلبس جبة ورداء⁽¹⁶¹⁾، كما ويقام على رأسه بالسيوف⁽¹⁶²⁾ ويأمر شخصاً من هؤلاء القائمين على رأسه بإنشاد شعر للشاعر سَعة بن عريض وهو:

أنا إذا مالت دواعي الهوى	وأنصت السامع للقائل
واضطرع القوم بالبابهم	نقضي بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا	نلفظ دون الحق بالباطل
نخاف ان تسفه أحلامنا	فنخمل الدهر مع الخامل

(159) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299؛ المسعودي، التنبيه، ص273؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص35؛ وكيع، أخبار القضاة، ج3، ص202؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص4-5؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، م2، ص50؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص90.

أبو إدريس الخولاني: هو عائد الله بن عبد الله بن عمرو بن إدريس، فقيه أهل الشام وقاضيه، وقاصهم، ومن عباد أهل الشام وقرائهم، ولأه عبد الملك المظالم سنة (74هـ / 693 م)، توفي سنة (80هـ / 699 م). ينظر مصادر الهامش 3، ولذلك فإن ما ذكره الماوردي، ومن تابعه بأن اسم قاضي عبد الملك هو (أبو إدريس الأودي) خطأ. ينظر: عطا سلمان، النظر في المظالم، ص63؛ حاشية (5 و 6).

(160) الماوردي، الأحكام، ص78؛ النويري، نهاية الأرب، ج6، ص269.

(161) البلاذري، أنساب الأشراف، ص195. (أهلوت).

(162) ابن كثير، البداية، ج9، ص64؛ كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ص167.

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين⁽¹⁶³⁾. وهذا يعني ان جلوس الخليفة عبد الملك للمظالم كان جلوساً منظماً متكاملأً، ولا بد أن جلسات الخليفة هذه كان يحضرها كتاب يدونون هذه الجلسات وأحكامها، كما أن تحديد الخليفة عبد الملك يوماً معيناً من كل أسبوع للنظر في المظالم، وتعيين قاض لذلك، وتعيين من يقوم على رأسه بالسيوف وهم من الحماة والأعوان، وارتداء الخليفة ملابس معينة، وانعقاد هذه الجلسات في مكان محدد، وهو في الغالب يكون في المسجد⁽¹⁶⁴⁾، كل هذا يعني وجود الأسس الحقيقية لديوان مستقل، لكل ذلك يمكننا أن نقول بأن الخليفة عبد الملك بن مروان ربما كان أول من أسس ديوان النظر في المظالم في الدولة العربية الإسلامية⁽¹⁶⁵⁾.

ومن المظالم التي ردها الخليفة عبد الملك بن مروان مظلمة اليهودي الذي وقف له، واعترضه في الطريق ثلاث مرات، طالباً منه أنصافه من احد خاصته ويدعى (هرمز)، وبعد ان عرف الخليفة الحقيقة، عزل (هرمز) وأخذ منه حق اليهودي⁽¹⁶⁶⁾، ويستتج من هذه الرواية، أن الخليفة عبد الملك كان ملتزماً بالمواعيد المحددة لنظره في مظالم الناس وهذا ما يفسر لنا لماذا لم يقض الخليفة

(163) الأصبهاني، الأغاني، ج2، ص124 ؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص65.

(164) وكيع، أخبار القضاة، ج2، ص316 ؛ حسن، إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص268.

(165) وقد ذهب إلى هذا الرأي أيضاً: الرافعي، مصطفى صادق، التنظيم القضائي في لبنان

من الناحيتين القانونية والشرعية، (عبادين - 1969)، ص19، 97 ؛ حمدي عبد المنعم،

النظر في المظالم، مجلة العدالة، مجلة قانونية تصدرها وزارة العدل والشؤون الإسلامية،

والأوقاف في دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد (17) لسنة 1978، ص41 - 42.

(166) الأبشيهي، المستطرف، ج1، ص101 ؛ محمد بن طلحة، العقد الفريد للملك السعيد،

ورقة (27أ).

مظلمة هذا الرجل إلا بعد أن الح عليه، كما تبين عدم التزام الناس باليوم المحدد للمظالم، وبذلك فإن ما قاله مصطفى الرافعي⁽¹⁶⁷⁾: من أن الخليفة عبد الملك قد حصر النظر في المظالم في أضيق الدوائر وفي هوى عبد الملك ومشيتته، أمر غير دقيق. وكذلك رد الخليفة عبد الملك مظلمة روح بن زنباع الجذامي من ابنه الوليد في زراعة لهما، إذ طلب عبد الملك من ابنه الوليد أن يعطي زراعته لروح ارضاءً له⁽¹⁶⁸⁾.

وكانت ولاية العراق من أكثر ولايات الدولة اضطراباً، لذلك احتاجت أكثر من غيرها إلى النظر في المظالم، فكان الشعبي على مظالم بشر بن مروان⁽¹⁶⁹⁾. وقد أعتنى الحجاج بن يوسف الثقفي بشؤون الرعية، إذ خصص يوماً يجلس فيه للنظر في شؤون العامة، ويدخل عليه في هذا اليوم كل من رغب في الدخول⁽¹⁷⁰⁾، وبعد انتقاله إلى مدينة واسط، أخذ يأذن للناس بالدخول عليه مرتين في الأسبوع⁽¹⁷¹⁾.

ويظهر اهتمام الخليفة عبد الملك بن مروان بالمظالم في العراق، من خلال تتبع اخبار الحجاج، ورسائله وتوجيهاته المستمرة له، ففي إحدى رسائله كتب له قائلاً: ((لا تول على الناس جاهلاً بالأحكام، ولا حديداً عند الخصام ولا

(167) التنظيم القضائي في لبنان، ص 97.

(168) ابن عبد البر، الاستيعاب، ق 2، ص 503.

(169) البلاذري، انساب، ج 5، ص 172.

(170) ابن سعد، الطبقات، م 6، ص 249.

(171) البلاذري، انساب، ج 11، ورقة (138).

طائشاً عند المخاطبة والكلام ولا طمعاً ولا هلعاً... فتتكسر بذلك قلوب ذوي الحاجة))⁽¹⁷²⁾.

وكان الحجاج يكتب للخليفة عبد الملك بن مروان في الأمور المتعلقة بالمظالم للاستئناس برأيه، فقد كتب إليه يوماً في قضية ميراث وقعت في أصبهان يسأله عنها فكتب إليه عبد الملك: ((أن شهد ذو عدل انه أخوه فورثه... فورثه الحجاج بعد ان شهد الشهود))⁽¹⁷³⁾.

ومن أنصفهم الحجاج، وفد اهل الأنبار حين قدموا عليه إلى واسط، يرأسهم رجل اسمه (حسان بن سنان)، يتظلمون من عاملهم (ابن الرُفيل)، وكان أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ في مجلس الحجاج فشجع الوفد على عرض مظلمته⁽¹⁷⁴⁾. كما قام الحجاج بحبس (أسماء بن خارجة) وهو اخو زوجته، وذلك لخيانة ظهرت منه حين ولاه الحجاج أصبهان⁽¹⁷⁵⁾. وحين قتل رجل كوفي، جندياً شامياً لأعداء الأخير على زوجة الكوفي، عفا عن الكوفي، وقال لأصحاب الشامي: ((أدفنوا صاحبكم فإنه قتل الله إلى النار لا قودَ ولا عقل))⁽¹⁷⁶⁾.

(172) النابلسي، عثمان بن إبراهيم، لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية (1958 – 1960 م)، ص 29.

(173) وكيع، أخبار القضاة، ج 1، ص 305.

(174) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 8، ص 259.

(175) الأصبهاني، الأغاني، ج 17، ص 230.

(176) الطبري، تاريخ، ج 5، ص 184.

القود: القصاص، و (أقاد) القاتل بالقتيل قتله به. الرازي، مختار الصحاح، مادة (قود)، ص 555.

العقل: الدية، عقل القتيل أعطاه ديته. م. ن، مادة (عقل)، ص 471 – 472.

إلا ان كل هذا لا يعني عدم ارتكاب الحجاج للأخطاء او تبرئته منها، فلم يكن بعيداً عن مراقبة الخليفة عبد الملك، فعندما يتلمس منه الخليفة مثل ذلك يكتب اليه بلهجة شديدة يوبخه فيها على ذلك، فطلب منه أن يدفع الدية في القتل الخطأ والقود في القتل العمد، ورد الأموال إلى مواضعها بعد الانتهاء من تمرد ابن الاشعث⁽¹⁷⁷⁾. وضمن هذا التوجيه أنصف الحجاج (فرعون بن عبد الرحمن)، المعروف بـ (ابن سلكة)، الذي حُرِمَ عطائه وخُرِبَت داره لاشتراك أحد أقاربه مع ابن الاشعث، فأنصفه بأن بنى له داره وأرجع له عطائه⁽¹⁷⁸⁾.

وفي مصر اعتنى عبد العزيز بن مروان بالمظالم أيضاً إذ جعل عليها القاضي (عبد الرحمن بن حُجيرة) الأكبر، وجمع له القضاء والقصص، وكان يأخذ (مائتي) دينار من القصص⁽¹⁷⁹⁾.

7- ديوان الطراز:

يراد بالطراز في الأصل التطريز، ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة أو الأمير ورجال حاشيته، لا سيما إذا كان فيها شيء من التطريز وعليه اشرطة من الكتابة، ثم اتسع مدلول الطراز، فأصبح يطلق على المصنع والمكان الذي تصنع فيه مثل هذه المنسوجات⁽¹⁸⁰⁾، كما أطلق لفظ الطراز على الكتابات الرسمية التي

(177) البلاذري، انساب، ص 193 (أهلوت) ؛ المسعودي، مروج، ج 3، ص 133 – 135.

(178) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 1. ص 30 – 31.

(179) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 235.

(180) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار مطابع الشعب،

(القاهرة-1960م)، ص 581 – 582 ؛ ابن الأثير، النهاية، ج 3، ص 119 ؛ ناجي

معروف، المدخل، ص 115.

كانت تكتب في رؤوس القراطيس (الطوامير) التي كانت تنتج بكثرة في مصر (181).

وفي العصر الأموي، ارتفع المستوى المعاشي، فزادت عناية الناس بمظاهر الترف والاناقة، لذلك انشأ الأمويون عدداً من المصانع عرفت بدور الطراز⁽¹⁸²⁾.

وكانت دور الطراز هذه على نوعين، خاصة وعامة، فالخاصة كانت لا تعمل الا للخليفة والأمراء ورجال الدولة والحاشية، أما العامة، فكانت تتبع بيت مال المسلمين وتعمل لحساب الخليفة وأفراد الشعب⁽¹⁸³⁾. وكانت دور الطراز الخاصة تقع في قصور الخلفاء أحياناً، ويسمى القائم على النظر فيها (صاحب الطراز) وواجبه النظر في آلات الطراز والحاكة والأصباغ ومتابعة اعمالهم وتوزيع رواتبهم وأرزاقهم، ويختار صاحب الطراز من أقرباء الخلفاء وحاشيتهم أو من مواليهم الثقة⁽¹⁸⁴⁾.

وقد اعتنى الخليفة عبد الملك بن مروان بالطراز، فنظمت صناعته بشكل واسع وأصبح أساساً لما حدث من نهضة في صناعة النسيج وبخاصة زمن الخليفة سليمان بن الملك⁽¹⁸⁵⁾، وفي مصر بشكل خاص، وكثيراً ما كانت هذه المنسوجات تستعمل كملابس أو للخلع التي يخلعها الخليفة على كبار رجال دولته⁽¹⁸⁶⁾، كما

(181) البلاذري، فتوح، ص 241؛ الدميري، حياة الحيوان، ج 1، ص 71.

(182) ناجي معروف، المدخل، ص 115.

(183) سيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص 287.

(184) ابن خلدون، المقدمة، ص 267.

(185) سعاد ماهر، النسيج الإسلامي، ص 25.

(186) سيدة إسماعيل كشاف، مصر في فجر الإسلام، ص 288.

اشتهر العراق بصناعة الطراز أيضاً فيقول المقدسي⁽¹⁸⁷⁾: ((وكان العراق أكثر الأمصار صوباً وقزاً))، فأنتجت دور الطراز الكثير من نسيج الحرير والديباج والأبريسم المحلى بسطور من الكتابة على حافة القماش عليها اسماء الخلفاء أو الولاة وبعض عبارات الدعاء وغالباً ما تكون هذه الكتابة بخيوط من الذهب أو لون يخالف القماش المنتج⁽¹⁸⁸⁾، ولعل دور الطراز أنتجت أيضاً الأزياء الرسمية والأعلام في الحرب⁽¹⁸⁹⁾.

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان أول من عرب هذا الطرز، إذ كانت تكتب باللغات الأجنبية، وخاصة باللغة اليونانية⁽¹⁹⁰⁾، إذ اشتهرت مصر بصناعة النسيج والقراطيس التي تستعمل في كل أنحاء الدولة، وتصدر أيضاً إلى الخارج وخاصة الدولة البيزنطية وكان يكتب في أعلاها (أباً، ابنأ، روحاً) وبرسم الصليب⁽¹⁹¹⁾، وهذا يمس جوهر العقيدة الإسلامية، ويؤثر في كرامة الدولة واستقلالها، فحينما وحد الخليفة عبد الملك بن مروان الدولة العربية الإسلامية سياسياً، بدأ يعمل لتحقيق توجهاته القومية باصلاح مؤسسات الدولة وتنظيماتها وصبغها بالصبغة العربية، فكتب إلى اخيه عبد العزيز بن مروان عامل مصر: ((بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر))⁽¹⁹²⁾، وإن

(187) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص33.

(188) د. حمدان عبد المجيد الكبيسي وآخرون، حضارة العراق، ج5، ص288.

(189) الدوري، النظم الإسلامي، ص197.

(190) الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص71.

(191) المصدر نفسه، ج1، ص71.

(192) الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص71.

يكتب بدلها شهادة التوحيد ﴿ قل هو الله أحد ﴾⁽¹⁹³⁾، وكتب إلى عمال الأفاق جميعاً بأبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز البيزنطيين ومعاقبة من وجد عنده ذلك بالضرب والحبس⁽¹⁹⁴⁾. وهذا يعني أن الطراز، من منسوجات وقراطيس كانت تطرز بكتابات غير عربية ومنتشرة في أقاليم الدولة الأموية، فمنع عبد الملك إنتاج هذه الطرز، بمختلف أشكالها، بمعنى أنه سيطر على دور الطراز هذه، وأمر أن يكتب عليها باللغة العربية فقط، وهو أول من فعل ذلك ولإنجاح هذا العمل منع استعمال هذه الطرز، بل معاقبة من وجد عنده ذلك، وهذا يعني إعادة النظر في دور الطراز، من حيث عمالها وإنتاجها والكتابة عليها، لذلك فمن المحتمل أن الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذي أنشأ ديوان الطراز⁽¹⁹⁵⁾ وبذلك بدأ منذ عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، الكتابة باللغة العربية على جميع ما تنتجه دور الطراز، كما أخذت توضع شارة الخليفة، وهي أسمه أو لقبه أو نحو ذلك، على ملابس الجند ورجال الدولة، وكان لعمل الخليفة عبد الملك هذا نتائج دينية وقومية وسياسية بعيدة المدى في التاريخ العربي الإسلامي.

وقد وصلت إلينا بعض الملابس المطرزة باللغة العربية، وبالخط الكوفي، ففي دار الآثار العربية في مصر، قطعة من الكتان الأبيض، عليها شريط فيه رسوم طيور ومكتوبة (نسجاً) على هذه القطعة بالخط الكوفي وبالحرير وبلون أحمر ما يأتي: ((هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت في شهر رجب من الشهور

(193) البلاذري، فتح، ص 241؛ السيوطي، الوسائل، ص 101.

(194) الدميري، حياة الحيوان، ج 1، ص 71.

(195) ينظر: الدوري، النظم الإسلامية، ص 197؛ د. فاروق عمر فوزي، النظم الإسلامية، ط 1، (العين - 1983م)، ص 79.

المحمدية من سنة 88هـ / 706م)⁽¹⁹⁶⁾ كما وصلت إلينا قطعة حريرية كتب عليها اسم الخليفة مروان ولا يعرف من المقصود به مروان بن الحكم أو مروان بن محمد⁽¹⁹⁷⁾، ويبدو أنه مروان بن محمد آخر خليفة أموي، وذلك لأن الطراز لم يعرب إلا في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان بن الحكم وبعد سنة (73 هـ - 692 م).

8- الحجابه:

كان الخلفاء الراشدين لا يمنعون أحداً من الدخول عليهم ويفتحون أبواب مجالسهم لأي كان ويخاطبون كل الناس بلا حجاب ولا كلفة⁽¹⁹⁸⁾.

وفي العصر الأموي تبدلت الظروف كثيراً عما كانت عليه في عصر النبوة والخلافة الراشدة، إذ حصلت بعض الاغتيالات السياسية، وانتقلت الدولة إلى طور أكثر تحضراً وتنظيماً، كما كثرت أعمال الخلفاء وتعقدت، فرغبوا في تلافي الازدحام على أبوابهم وأشغالهم عن الانصراف لمهام الدولة⁽¹⁹⁹⁾، لكل هذه الظروف والأسباب اتخذ الخليفة معاوية ولأول مرة الحُجاب الذي أصبح وساطة بينه وبين العامة والخاصة من الرعية.

(196) زكي محمد حسن، الفن الإسلامي في مصر، ج1، ص86.

(197) سيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص285.

(198) ابن خلدون، المقدمة، ص238؛ ابن الأزرقي، بدائع السلك، ج1، ص269.

(199) ابن خلدون، المقدمة، ص238؛ ابن الأزرقي، بدائع السلك، ج1، ص269 - 270.

وقد نظم الخليفة معاوية بن أبي سفيان أمور الحجابة، فكان يُدخل الناس ويجلسهم عنده على حسب أقدارهم⁽²⁰⁰⁾ فكان يأذن في الدخول عليه في اليوم واليلة خمس مرات⁽²⁰¹⁾، وقد اتخذ معاوية أبا أيوب مولاة حاجباً له⁽²⁰²⁾.

وأبدى زياد بن أبي سفيان، عامل معاوية على العراق، عناية كبيرة بتنظيم الإدارة ومنها الحجابة، ((فقد اخذ نفسه بالتطلع إلى استعلام بواطن الأمور))⁽²⁰³⁾، فأصبح على معرفة وثيقة بكل من يدخل عليه، كما حدد زياد صلاحيات حاجبه، ومنعه أن يحجب أربعة اصناف، وهم المؤذن للصلاة، وطارق الليل، ورسول الثغر، وصاحب الطعام⁽²⁰⁴⁾.

وعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سنة (65هـ/ 684م) نظم الأمور الإدارية ومنها الحجابة إذ استقرت بشكل واضح في عصره⁽²⁰⁵⁾، فنظم أوقات الدخول، ورتب الداخلين عليه، وحدد طبيعة عمل الحاجب، فأزداد أهمية وأدى وظيفة مهمة في العديد من الأحداث السياسية. وتبدو أهمية الحاجب الكبيرة في

(200) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج17، ص94 - 95.

(201) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص29؛ القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي، تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة، تح: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، ط1، مكتبة المنار، (الأردن - 1985)، ص253.

(202) خليفة، تاريخ، ج1، ص218؛ ابن حبيب، المحبر، ص259؛ بينما ذكر الطبري ان اسمه (سعد). ج4، ص243.

(203) محمد بن طلحة، العقد الفريد للملك السعيد، ورقة (47 أ).

(204) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص71؛ النويري، نهاية الأرب، ج6، ص87؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج1، ص114؛ ابن الأزرقي، بدائع السلك، ج1، ص273.

(205) النويري، نهاية الأرب، ج4، ص19.

نظر الخليفة عبد الملك من قوله لحاجبه: ((إني أريد أن أنظر بها، وجنة أستلثم بها، وقد وليتكم ما وراء بابي، فماذا تراك صانعاً برعيتي؟ قال: أنظر إليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم في إبطائهم عن بابك، ولزوم خدمتك مواضع استحقاقهم، وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك، وأحسن إبلاغهم عنك وإبلاغك عنهم. قال: لقد وفيت بما عليك، ولكن أن صدقت ذلك بفعلك))⁽²⁰⁶⁾. فالحاجب أصبح كالنائب للخليفة في تعامله مع الداخلين إليه، وترتيبهم في الدخول، إذ أن الخليفة عبد الملك رتب دخول الناس عليه، ففضل، أهل البيوتات أي أهل النسب، فإذا تساوت الأنساب فضل أهل السن، فإذا تساوت فضل أهل الأدب والعلم⁽²⁰⁷⁾، ولكن كان هناك أصناف من الناس لأهميتهم وأهمية أعمالهم لا يمنعون من الدخول في أي وقت جاءوا، إذ قال الخليفة عبد الملك لحاجبه: ((وليتك ما خلف بابي إلا أربعة: المؤذن فإنه داع إلى الله فلا حجاب عليه، وطارق الليل، فإنه لو وجد خيراً لنام، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم حبسهم البريد ساعة، والطعام إذا أدرك فافتح الباب وأرفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول))⁽²⁰⁸⁾.

إن كل هذه النصوص تؤكد تنظيم الحجابة، وارتفاع مكانة الحاجب وازدياد أهميته في عصر الخليفة عبد الملك إذ لم يعد كما قال ابن خلدون⁽²⁰⁹⁾:

(206) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 17، ص 94.

(207) زيدان، التمدن الإسلامي، ج 1، ص 218 - 219.

(208) العسكري، الأوائل، ص 191؛ ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 238؛ حيث يجعلهم ثلاثة أصناف وليس أربعة.

(209) المقدمة، ص 240.

((يجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم، أو يفتحه لهم على قدره في موافقته))، بل أصبح عين الخليفة ولسانه، فهو الذي يرتب دخولهم حسب أهميتهم ويدرس طلباتهم، ويسمح لهم بالدخول إلى الخليفة والمثول أمامه، وربما يوصي بقضاء حوائجهم، كما لا يسمح بدخول أشخاص بقضايا ليست من اختصاص الخليفة أو الوالي⁽²¹⁰⁾، ولا يسمح بدخول الأشخاص دون معرفة أسمائهم ولا يُستأذن بالكنى⁽²¹¹⁾. فضلاً عن أن حاجب الخليفة عبد الملك أدى وظيفة مهمة في بعض القضايا السياسية، كقضية التخلص من عمرو بن سعيد الأشدق، إذ منع دخول أصحاب عمرو بن سعيد إلى الخليفة حينما، قال له الخليفة: ((ويحك أتستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب ؟ قال نعم⁽²¹²⁾، لذلك كان الحاجب يختار من أقرب الناس إلى الخليفة أو الوالي، أو من خاصته ومواليه، فقد حجب الخليفة عبد الملك (أبو يوسف مولاة)⁽²¹³⁾، كما حجبه (أبو الزعيزعه)⁽²¹⁴⁾ أيضاً. كذلك اعتنى الحجاج باختيار حاجبه، إذ كان يقول: ((كاتب السلطان نصفه وحاجبه كله))⁽²¹⁵⁾، لذلك اختار (يزيد بن أبي مسلم)

(210) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص130.

(211) غرر السير، ورقة (١٥).

(212) المسعودي، مروج، ج3، ص110 ؛ غرر السير، ورقة (٨).

(213) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302 ؛ ابن حبيب، المحبر، ص259 ؛ المسعودي، التنبيه، ص273 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص399.

(214) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302 ؛ ابن حبيب، المحبر، ص259 ؛ المسعودي، التنبيه، ص273 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص399.

(215) غرر السير، ورقة (23 ب).

أخاه من الرضاعة حاجباً له⁽²¹⁶⁾، وكان يحله ويحترمه ويجريه مجرى الوزير⁽²¹⁷⁾، وكان لحاجب الحجاج هذا مهمة كبيرة في المحافظة على الأمن والنظام، حيث كان الحجاج يكلفه أحياناً بالخروج ليلاً، للعمل على حماية الأمن والنظام في مدينته⁽²¹⁸⁾.

وامتدت اهتمامات الخليفة عبد الملك بالحجابه إلى أقاليم الدولة الأخرى، إذ أوصى أخاه عبد العزيز والي مصر وحدد له طبيعة عمل الحاجب وأهميته، حينما قال له: ((أنظر ما أوصيك به فاجعله لك إماماً... وأنظر حاجبك فليكن من خير أهلِكَ فإنه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده))⁽²¹⁹⁾، وكذلك أوصاه في مناسبة أخرى قائلاً له: ((تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك،.... فالتوسم يعرفك بحاجبك))⁽²²⁰⁾.

ويستتج من هذا اهتمام الخليفة عبد الملك الكبير بشؤون الرعية، وتنظيم إدارة الدولة، واختيار الحاجب، الذي يكون من خيرة الأهل لأنه وجه الوالي ولسانه الناطق، لذلك طلب الخليفة عبد الملك من أخيه عبد العزيز أن يجعل هذه الوصية منهاج عمل يسير عليه. ويبدو أن حاجب الوالي عبد العزيز كان أقل

(216) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص130؛ الإمامة والسياسة، ج2، ص34، 39؛ الجهشيارى، الوزراء، ص42.

(217) غرر السير، ورقة (23 ب).

(218) ينظر: البهقي، المحاسن والمساوئ، ص517 – 518.

(219) البلاذري، أنساب، ص175؛ (أهلوت)، النويري، نهاية الأرب، ج6، ص90؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص126.

(220) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص44؛ ابن الأبار، أعتاب الكتاب، ص128.

شأناً من حاجب الخليفة أو حاجب الحجاج، إذ كان عبد العزيز هو الذي يأذن أو لا يأذن بدخول الناس عليه بعد أن يخبره الحاجب بمن يقف على بابه كما أن عبد العزيز قد طبق وصية أخيه الخليفة، وربما تشدد الحجاب في منع الناس من الدخول عليه، إذ يقول سعيد بن المسيب في عبد العزيز بن مروان: ((نِعَمَ الرجل عبد العزيز لولا حُجابه))⁽²²¹⁾، أي ان الناس كانوا لا يجذون شدة الحجاب ومنعهم من الدخول إلى الخلفاء أو الولاة، فقد مُدِح بشر بن مروان لسهولة حجابه بقول القائل:

بَعِيدُ مراد الطرف لم يثنِ طَرْفُهُ حذار الغواشي بابُ دار ولا سترُ
ولو شاء بشر حلٌ من دون بابه طماطمٌ سَوْدٌ أو صقالبة حمُرُ
وكان على حجابة بشر (أعين) مولاة⁽²²²⁾.

كما قام الخليفة عبد الملك بن مروان بتنظيم شؤون مجلسه، فنهى الناس عن كثرة الحديث في حضرته وهو أول من فعل ذلك، وكان قبل ذلك يراجعون الخليفة في ما يقول، ويعترضون في ما يفعل، وأكثر ما كان ذلك في عصر الخليفة عثمان بن عفان ؓ ثم معاوية بن أبي سفيان، فكان يجري في مجلسه من المنازعات والخصومات ما يجلُّ عن وصفه، فنهاهم الخليفة عبد الملك عن الكلام بحضرته، والمنازعة في مجلسه، وتوعدهم على مخالفة ذلك⁽²²³⁾، ويبدو أن من جملة اسباب هذا التنظيم هو ادراك الخليفة عبد الملك لجانب اللين في سياسة الخليفة عثمان بن عفان ؓ وتعامله مع الناس بالحسنى فكان يقول: ((وما خالف

(221) النويري، نهاية الأرب، ج6، ص90.

(222) البلاذري، انساب، ج5، ص168، 172 - 173.

(223) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص248؛ العسكري، الأوائل، ص203.

عثمان عمر في شيء إلا أنه لأن لهم حتى ركب⁽²²⁴⁾ والعمل على تأكيد هبة الخليفة.

وكذلك قام بتنظيم مسألة انصراف مجلسه، حينما قال له جلساؤه اجعل لنا علامة للانصراف من مجلسك متى ترغب في ذلك، فقال لهم وكان يحمل خيزرانة: ((إذا القيت الخيزرانة من يدي))⁽²²⁵⁾، فإذا انصرف احدهم من مجلس الخليفة مشى القهقري ووجهه نحو مجلسه حتى يتوارى⁽²²⁶⁾.

وكان الخليفة عبد الملك يحب الشعر، لذلك كان مجلسه يعج بالشعر والشعراء⁽²²⁷⁾، الذين كانوا يتبارون في الانشاد بحضورته ومدحه، فجعل الاخطل شاعراً لبني أمية⁽²²⁸⁾، إلا أنه لم يكن يسمح لهؤلاء الشعراء بالمنازعة والتخاصم والمهاجاة في مجلسه⁽²²⁹⁾، حفاظاً على هبة مجلسه، ثم رغبته في كبح جماح الأهواء القبلية إذ أن بعض هؤلاء ينتمون إلى قبائل متناحرة فيما بينها، فنجح الخليفة عبد الملك في أن أصبح فوق هذه الأهواء⁽²³⁰⁾.

(224) السيوطي، الوسائل، ص 101؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص 122؛ القلقشندي، مآثر، ج 3، ص 344. ابن سعد، الطبقات، م 3، ص 233.

(225) الجاحظ، البيان والتبيين، ج 3، ص 38؛ التاج، ص 119.

(226) عمر أبو النصر، الحضارة الأموية، ص 315.

(227) ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص 393 - 395؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص 116؛ الاغانى، ج 8، ص 23، 27، 170 - 171.

(228) الأصبهاني، الاغانى، ج 8، ص 294.

(229) الأصبهاني، الاغانى، ج 8، ص 72 - 73، ج 12، ص 199 - 202.

(230) المصدر نفسه، ج 12، ص 203؛ ج 19، ص 149 - 151؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص 245 - 246؛ وللتفصيل ينظر: دكسن، الخلافة الأموية، ص 139 - 178.

وكان للفقهاء والمحدثين منزلتهم، فقد أكتظ مجلس الخليفة بهم لجه مجالستهم، فكتب إلى الحجاج يوماً يطلب منه إرسال الشَّعبي⁽²³¹⁾ قائلاً له: ((... ولم يكن عندي شيء الله إلا مناقلة الأخوان للحديث وقبلك عامر الشعبي فأبعث به الي يحدثني))⁽²³²⁾، وكان الخليفة عبد الملك لا يسمع من الداخلين عليه لاسيما الرسل القادمين من الافاق إلا بشروط، إذ كان يقول لمن يدخل عليه: ((أعفني من أربع وقل ما شئت، لا تطرني، فإني أعلم بنفسك منك، ولا تجبني في ما لا أسألك عنه، ولا تكذبني، فإن الكذب لا رأي له، ولا تحملني على الرعية، فأنهم إلى رأفتي أحوج))⁽²³³⁾.

وعلى الرغم من ذلك فلم يكن الخليفة يسمع من كل الداخلين ما يسره، فيذكر أن بثينة حبيبة الشاعر جميل دخلت يوماً على عبد الملك فقال لها: ((ويحك ما رجا منك جميل؟ قالت: الذي رجيت منك الأمة حين ولتلك أمرها))⁽²³⁴⁾.

(231) الشَّعبي: هو الفقيه والمحدث الكوفي عامر بن شراحيل (19 – 103 هـ) من التابعين، ومن المحدثين الثقات، وكان وافر العلم، اتصل بالخليفة عبد الملك وكان رسوله إلى ملك الروم، وأصبح قاضياً في عهد عمر بن عبد العزيز. ابن حجر، تهذيب التهذيب، م5، ص65 – 69 ؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص244.

(232) الأصبهاني، الأغاني، ج11، ص26.

(233) ينظر: البلاذري، انساب، ص169 ؛ (أهلورت) ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص65 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص219.

(234) أبو حيان التوحيد، الامتاع والمؤانسة، ج3، ص168 ؛ وأنظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص360 ؛ الأصبهاني، الأغاني، ج9، ص27.

الفصل الرابع

تعريب الدواوين

أولاً: أسباب تعريب الدواوين.

ثانياً: تعريب دواوين الشام.

ثالثاً: تعريب دواوين العراق.

رابعاً: تعريب دواوين مصر.

خامساً: نتائج تعريب الدواوين.

قال أبو الريحان البيروني:

((ديننا والدولة عريان وتوأمين ترفرف على أحدهما
القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية... وإلى لسان العرب
نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة،
وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة... والهجو
بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية)).

كتاب الصيدنة، ص12.

الفصل الرابع

تعريب الدواوين

بعد تحرير بلاد الشام والعراق ومصر، واستقرار العرب فيها بدأ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتنظيم شؤون هذه البلاد، فأسس الديوان سنة (20هـ / 641م)، ليسجل فيه أسماء الجند وأنسابهم واعطياتهم وأرزاقهم⁽¹⁾. وكان هذا الديوان يكتب باللغة العربية، إذ أفاد العرب من التنظيمات الإدارية والمالية في البلاد المحررة هذه، إلا أنهم أبقوا دواوين الخراج على حالها من حيث اللغة والموظفين، وذلك لانشغال العرب المسلمين بأمور التحرير والفتوح وتركيز أسس الدولة، وكذلك لقلة خبرتهم يومئذ بمثل هذه الأمور⁽²⁾.

واستمر هذا الحال حتى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان الذي بدأ بحركة الإصلاح والتعريب الشاملة لجميع أجهزة الدولة وإدارتها، وكان تعريب دواوين الخراج جزءاً منها، إذ استمرت دواوين الخراج حتى عهده في البلاد المحررة تكتب بلغات أجنبية، فكانت في العراق والمشرق الاسلامي تكتب باللغة الفارسية، وفي بلاد الشام تكتب باليونانية، وفي مصر باليونانية والقبطية⁽³⁾. وهذا يعني أنه أصبح في كل ولاية ديوان للجند يكتب باللغة العربية، فضلاً عن ديوان الخراج الذي كان يكتب بغير العربية، ويؤكد ذلك الجهشيارى بقوله: ((ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لاحصاء الناس واعطياتهم، وهذا الذي كان

(1) للتفصيل ينظر: الفصل الثالث، تأسيس الديوان.

(2) ناجي معروف، المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ص 39.

(3) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص 38 ؛ الصولي، أدب الكتاب، ص 192 ؛ حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، 156.

عمر ﷺ قد رسمه، والآخر لوجوه الاموال بالفارسية، وكان في الشام مثل ذلك، أحدهما بالرومية (اليونانية) والآخر بالعربية، فجرى الأمر على ذلك إلى أيام الخليفة عبدالملك بن مروان⁽⁴⁾.

وفي عصر الخليفة عبدالملك بن مروان، وبخاصة بعد سنة (74هـ / 693م)، استقرت أوضاع الدولة الداخلية، ودانت جميع الأطراف لمركز الدولة في دمشق، ثم اكتسب العرب بمرور الزمن الخبرة، كما ظهرت بوادر تغير في روح العصر بالانتقال من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة، ومن بساطة المعرفة إلى حذق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتابة والحساب⁽⁵⁾.

إن هذه الظروف والتحويلات الجديدة أزالَت العقبات، وهيأت الأجواء والأرضية الصالحة، لعملية تعريب دواوين الخراج والتي توافقت مع شخصية الخليفة عبدالملك بن مروان وتطلعاته القومية، واستعداداته لبناء دولة عربية قوية.

أولاً: أسباب تعريب الدواوين:

إن تعريب الدواوين هو جزء من حركة إصلاحية تنظيمية عربية شاملة، وسياسة موسومة حان وقت تنفيذها، وكانت تهدف إلى إعادة تنظيم كل أجهزة الدولة وصبغها بالصبغة العربية، فهي إذن ليست نتيجة حالات طارئة وقتية ولجورد الأسباب الساذجة التي أوردها كل من البلاذري والجهشياري، والتي تبدو فيها التأثيرات الشعبية واضحة، محاولة تقليل شأنها. وسنناقش هذه الأسباب عند الحديث عن تعريب الدواوين في كل قطر على حدة.

(4) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص38؛ الصولي، أدب، ص192؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص202؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص244.

إن استقرار الدولة وما رافق العصر من تطور صاحبه ظهور عدد من الكتاب العرب والموالي ممن يجيدون الكتابة بالعربية والترجمة إلى اللغات الأجنبية، وقبل كل هذا الرغبة الشديدة لدى الدولة في رسم المستقبل على أسس قوية تركز على لغتها، لغة السياسة والدين، وعلى هدي المبادئ السماوية، كل هذا جعل التعريب وبخاصة تعريب الدواوين من أولويات أعمال الدولة، بل ضرورة تقتضيها الحال. ويمكن اجمال أسباب تعريب الدواوين بما يأتي:

1. لقد كان للعوامل الاقتصادية أثراً مهماً في تعريب الدواوين، فقد كان متولي هذه الدواوين يحصلون على أموال طائلة من عملهم هذا، فيذكر أن صاحب ديوان خراج مصر (أئيناس) كان يأخذ عن عمله (ستين ألف) دينار سنوياً، فضلاً عن دينار واحد يأخذه من كل جندي، وكان يملك (أربعة آلاف) عبد، وكثيراً من الدور والقرى والبساتين والذهب والفضة، و(أربعمائة) حانوت في الرها⁽⁶⁾، وعلى الرغم من أن هذه الأرقام قد يكون فيها مبالغة إلا أنها تعطينا فكرة عن أوضاع متولي ديوان الخراج المادية واثراً ذلك على مالية الدولة، لذلك كان تعريب دواوين الخراج، خطوة أولى باتجاه إعادة تنظيم طريقة جباية الضرائب في الأقاليم، وبذلك يمكن ضبط أعمال تلك الدواوين والاشراف بدقة عليها، فيمنع الغش والتزوير. أي أن تعريب الدواوين هو جزء من خطة الإصلاح المالي الذي كانت الدولة بحاجة شديدة إليه إذ ذاك⁽⁷⁾ ولا سيما في العراق أهم أقاليم الدولة الأموية اقتصادياً، حيث حاول الحجاج بن يوسف الثقفي معالجة الأوضاع الاقتصادية، وذلك بالسيطرة

(6) ترتون، أهل الذمة، ص 21-22.

(7) الرئيس، الخراج، ص 201-202.

على الشؤون الإدارية عن طريق تعريبها، وضبط الادارة المالية ومحاسبتها عن طريق السيطرة على سجلات الضرائب.

2. إن استعمال اللغات الاجنبية في الدواوين يعني بقاء الموظفين من غير العرب أو من غير المسلمين، مما يؤدي إلى بقاء هذه اللغات حية وكأنها رسمية فيتعلمها الناس لحاجة الدولة إليها لكونها طريقاً لتولي الوظائف الكبيرة ويتنج عن ذلك استمرار منافسة هذه اللغات للغة العربية، مما يُضعف من شأنها ويضعف كيان الدولة القومي، وذلك ما كان يتعارض مع سيادة الدولة العربية، أي أن التعريب كان جزءاً من سياسة الخليفة عبدالملك بن مروان في اعادة تنظيم جهاز الدولة الاداري وتحقيق شخصية الدولة واستقلالها عن النفوذ الأجنبي.

3. كان الخليفة عبدالملك يهدف من وراء التعريب إلى تحقيق وحدة الدولة وتماسكها، إذ أن اختلاف لغات الدواوين، يكرس اختلاف النظم المالية، والادارية، ويعيق عملية تنظيم وتوحيد ادارة الدولة، كما أن تعريب الدواوين يعني انهاء التأثيرات الشعبية والعنصرية مما يؤكد سيادة الدولة سياسياً على البلاد الحرة.

4. إن دخول شعوب عربية وأقوام مختلفة اللغات والديانات إلى الاسلام، يعني حاجة هؤلاء الماسة إلى التفقه بالدين وقراءة القرآن الكريم، مما شدد الصراع بين اللغة العربية واللغات الأخرى⁽⁸⁾، ومن ثم إلى شيوع اللحن ولاسيما بين قراء العراق، لذلك اعتنى الخليفة عبدالملك وواليه الحجاج بن يوسف الثقفي، بضبط قراءة القرآن، عن طريق تمييز الحروف المتشابهة بوضع النقط

(8) أحمد أمين، فجر الاسلام، ص 95.

عليها⁽⁹⁾، لذلك كان التعريب ضرورة ملحة، وكان الحرص على سلامة اللغة العربية من العوامل المهمة التي أدت إلى تعريب الدواوين في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان⁽¹⁰⁾.

ثانياً: تعريب دواوين الشام:

كانت دواوين خراج الشام تكتب باللغة اليونانية، ((وكان يتقلد ديوان الشام بالرومية (اليونانية) لعبد الملك ولمن تقدمه (سرجون بن منصور) من اهل الذمة))⁽¹¹⁾.

أما اسباب تعريب دواوين الشام هذه، فقد أورد كل من البلاذري والجهشياري، أسباباً ساذجة غير مقنعة، فيعلل البلاذري ذلك بقوله: ((... أن رجلاً من كتاب الروم احتاج أن يكتب شيئاً فلم يجد ماء فبال في الدواة، فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه، وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان))⁽¹²⁾.

أما الجهشياري فيعلل ذلك، بأن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر كاتبه (سرجون ابن منصور)، ((يوما بشيء فتثاقل عنه، وتوانى فيه، فعاد لطلبه، وحثه فيه فرأى منه تفريطاً وتقصيراً، فقال عبد الملك لأبي ثابت سليمان بن سعد الخشني - كان يتقلد له ديوان الرسائل - أما ترى ادلال سرجون علينا ؟ قال: لو

(9) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص344 ؛ الزنجاني، أبو عبدالله، تاريخ القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط3، (بيروت - 1969م)، ص89.

(10) الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، ص130.

(11) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص40 ؛ الصولي، أدب، ص193، العسكري، الأوائل، ص207 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303.

(12) فتوح، ص196-197 ؛ الماوردي، الاحكام، ص202.

شئت لحولت الحساب إلى العربية، قال: فافعل، فحوله. فرد إليه عبدالمملك جميع دواوين الشام⁽¹³⁾. وهو اول مسلم وليّ الدواوين كلها⁽¹⁴⁾.

ومما يلاحظ عن تعليل مصادرنا التاريخية للأعمال العظيمة التي أنجزها الخليفة عبدالمملك بن مروان، كضرب النقود العربية الإسلامية، وتعريب الطراز، والدواوين، أنها تعلل كل عمل بشكل منفصل عن الأعمال الأخرى، ولا تربط بينها وبين سياسة الخليفة الإصلاحية وتوجهاته القومية. كما يمكن القول بأنها لم تستطع استيعاب عظم وضخامة هذه الأعمال، ولم تستطع أن ترى الأهداف البعيدة التي يتوخى الخليفة الوصول إليها من وراء هذه الأعمال، حتى إننا نرى - إن لم نتجاوز في ذلك - بأن بعض هذه المصادر تريد التقليل من أهمية هذه الأعمال المجيدة. ويبدو أن للروايات الشعبية أثراً كبيراً في ذلك، ومع ذلك فإن تعليقات المؤرخين، لدوافع تعريب الدواوين، تعكس لنا غرور هؤلاء الكتاب وسوء سلوكهم في كثير من الأحيان، مما يدفع الخليفة عبدالمملك إلى معاقبتهم التي تصل إلى الضرب أحياناً⁽¹⁵⁾.

ومما يشير إلى اهتمام الخليفة البالغ في عملية التعريب، أنه خصص خراج الأردن ولمدة سنة وهو (مائة وثمانون) ألف دينار، معونة لسليمان في عمله⁽¹⁶⁾، وتوكيداً لهذا الاهتمام فقد ولاه الأردن فلم تنقضى السنة حتى أتم سليمان تعريب

(13) الوزراء والكتاب، ص40 ؛ ينظر: الصولي، أدب، ص193 ؛ العسكري، الاوائل، ص207 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص169-170.

(14) السيوطي، الوسائل، ص101.

(15) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص40.

(16) البلاذري، فتوح، ص197.

دواوين الشام، وكان ذلك في سنة (81هـ / 700م) ⁽¹⁷⁾. وبعدها صرف الخليفة عبد الملك سرجون بن منصور عن الديوان، فضعف نفوذ أهل الذمة في الديوان، وقد عبر عن ذلك سرجون عندما قال لجماعة من كتاب الروم: ((أطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم)) ⁽¹⁸⁾.

ثالثاً: تعريب دواوين العراق:

عربت دواوين خراج العراق على يد أمير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، ولابد أنه كان بأمر وتوجيه من الخليفة عبد الملك بن مروان، كما هو الحال بالنسبة لضرب النقود، ويوضح لنا البلاذري ذلك بقوله: ((لم يزل ديوان خراج السواد وسائر العراق يُكتب بالفارسية، فلمّا ولي الحجاج العراق، استكتب زادن فروخ بن بيري، وكان معه صالح بن عبدالرحمن مولى بني تميم، يخط بين يديه بالعربية والفارسية،... فوصل زادن فروخ، صالحاً، بالحجاج وخف على قلبه، فقال له ذات يوم: انك سبي الى الامير وأراه قد استخفني، ولا آمن أن يقدمني عليك وأن تسقط في نظره، فقال: لا تظن ذلك، هو أحوج إليّ منه إليك، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري، فقال: والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته، فقال: فحول منه شطراً حتى أرى، ففعل. ولمّا رأى

(17) المصدر نفسه، ص 196؛ الماوردي، الاحكام، ص 202.

(18) البلاذري، فتوح، ص 197؛ الماوردي، الاحكام، ص 202؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 244.

زادان فروخ مقدرة صالح في الترجمة طلب منه أن يمارض، فبعث الحجاج طبيبه⁽¹⁹⁾، فلم ير به علة، وعلم زادان فروخ بذلك فأمر صالحاً أن يخرج⁽²⁰⁾.

ويستتج من رواية البلاذري هذه جملة أمور منها: بداية ظهور الكتاب الذين يجيدون العربية واحدى اللغات الأجنبية سواء من العرب أو مواليتهم، مثل صالح بن عبدالرحمن، والذي يبدو أنه كان ذا شخصية قوية جذابة وعلى درجة كبيرة من الذكاء والثقافة⁽²¹⁾، أهله أن يصل إلى مستوى رفيع في إدارة ديوان خراج العراق، كما وصل إلى قلب الحجاج، لذلك بدء زادان فروخ يخشى منافسة صالح له⁽²²⁾، وبخاصة بعد معرفته بمقدرة صالح العلمية.

أما سبب التعريب فيرجع ذلك البلاذري الى النقاش الذي دار بين زادان فروخ وبين صالح بن عبدالرحمن، وكأن عملية التعريب جاءت عرضاً وبشكل مرتجل من الحجاج، إذ يبدو واضحاً في هذه الروايات وأمثالها - عن تعريب الدواوين - النفس الشعبي، الذي يحاول نسبة هذا العمل الكبير إلى أمور ساذجة وغير مقنعة إذ أن التعريب جاء لأسباب أعمق وأشمل.

ويبدو أن النقاش هذا كان مرحلة أولى من التعريب، ولو أن البلاذري لا يشير إلى ذلك، إذ أن فكرة التعريب تبدو مختصرة حتى في ذهن صالح ومطروقة ضمن الديوان، ويظهر ذلك من خلال قول صالح لزادان فروخ: ((والله لو

(19) وكان طبيب الحجاج هذا هو (تياذوق)، وهو من أهل الذمة. ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، دار الفكر، (بيروت - 1957م)، ص32 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303.

(20) البلاذري، فتوح، ص298.

(21) الصولي، أدب، ص192 ؛ العسكري، الأوائل، ص207.

(22) الصولي أدب، ص192.

شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته))⁽²³⁾، كما أن طلب زاذان فروخ من صالح أن يمارض يؤكد ذلك، وإلا فما مناسبة هذا الطلب ؟

وحينما علم زاذان فروخ بمقدرة صالح في التعريب أحسن بخطرته على مكانته ومكانة كُتّابه من الفرس، لذلك قال زاذان فروخ لكتابه الفرس: ((التمسوا مكسباً غير هذا))⁽²⁴⁾.

وقد تكون هذه المرحلة من التعريب تعثرت بسبب فتنة ابن الاشعث، ولكن سرعان ما عادت لتأخذ طريقها ثانية، فبعد مقتل زاذان فروخ في البصرة أثناء تلك الفتنة بحدود سنة (82هـ / 701م) بدأت المرحلة الثانية من التعريب، ويوضح ذلك البلاذري بقوله: ((ثم ان زاذان فروخ قتل أيام عبدالرحمن بن الاشعث... فاستكتب الحجاج صالحاً مكانه، فاعلمه الذي كان جرى بينه وبين زاذان فروخ في نقل الديوان فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية وقلد ذلك صالحاً))⁽²⁵⁾.

إن البلاذري يرى هنا ان تاريخ تعريب دواوين العراق، كان بعد سنة (82هـ)، أما الجهشيارى⁽²⁶⁾ فيرى أن ذلك كان سنة (78هـ / 697م)، ويبدو ان رأي الجهشيارى أقرب إلى القبول، إذ لا يوجد تعارض بين عمل صالح في الترجمة ووجود زاذان فروخ، لأن ما ترجمه صالح إلى العربية، هو الكتب الرسمية وأوراق

(23) البلاذري، فتوح، ص298.

(24) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص38 ؛ الصولي أدب، ص192 ؛ العسكري، الاوائل، ص207.

(25) البلاذري، فتوح، ص298 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303.

(26) الوزراء والكتاب، ص38.

الحسابات، في حين بقيت سجلات المقاطعات والاقاليم كما كانت بالفارسية⁽²⁷⁾، كما تمكن الخليفة عبدالملك ابن مروان في سنة (78هـ) من القضاء على خطر الخوارج واستتبت أحوال العراق، مما دفع الخليفة للعمل على تنظيم واصلاح الاوضاع الادارية والمالية، ومنها تعريب دواوين العراق أهم اقليم في الدولة.

وعندما عزم الحجاج على تعريب الدواوين، حاول مردانشاه - والشعبوية الفارسية من ورائه - أن يشكك في مقدرة صالح، محاولاً تعجيزه وثنيه عن عمله، فقال له: كيف تصنع بدهويه⁽²⁸⁾، وششويه⁽²⁹⁾، قال: أكتب عشر ونصف عشر، قال فكيف تصنع بويد⁽³⁰⁾، قال أكتبه أيضاً، والويد، النيف والزيادة تزداد⁽³¹⁾. وعندما بدا نجاح صالح في مهمته، عبر مردانشاه عن موقف شعوبي حاقد تجاه عملية التعريب، وتجاه صالح بن عبدالرحمن، بقوله له: ((قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية))⁽³²⁾.

(27) يرى الرئيس: بأن التاريخ الذي ذكره الجهمشياري وهو سنة (78هـ) خطأ، ويقول بأن هذا الرقم ربما يكون مقلوباً، والصواب كما يرى هو سنة (87هـ). الخراج، ص 203، حاشية رقم (7).

ويعني هذا ان التعريب كان في عصر الخليفة الوليد بن عبدالملك وليس في عصر عبدالملك. وهذا يبدو مستبعداً إذ لا تدعمه مصادرنا التاريخية، بل كل مصادرنا تذهب إلى أن دواوين خراج العراق عُرِبَت في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان.

(28) دهويه: تعني عشر.

Sprengling. M " From Persian to Arabic " The American Journal of semitic Languages and Literature vol. 56. 1939. P. 196.

.Ibid , P.196

(29) ششويه: تعني نصف العشر

Ibid , P.196.

(30) الويد: تعني الأكثر قليلاً

(31) البلاذري، فتوح، ص 298 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص 303.

(32) البلاذري، فتوح، ص 298 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص 303 ؛ الماوردي، الاحكام، ص 203.

وبالتأكيد لم تستسلم الشعوبية الفارسية بهذه السهولة وأن تقف عند هذا الحد، بل راحت تستعمل أسلوباً آخر مع صالح بن عبدالرحمن، وهو أسلوب الرشوة، إذ عرضت عليه (مئة ألف) درهم، على أن يُظهر عجزه عن التعريب، فلم يرضخ صالح لإغراءات الشعوبية هذه، وأبى إلا أن يُعرب الدواوين، فعربها بعد أن أمهله الحجاج فترة لذلك⁽³³⁾.

وبذلك أصبح صالح بن عبدالرحمن رائد حركة تعريب الدواوين في الدولة العربية الإسلامية، ولاسيما في العراق والمشرق الإسلامي، إذ أصبح بمثابة مدرسة للكتاب تخرج على يديه معظم كتاب العراق⁽³⁴⁾، كما أسدى خدمة عظيمة للعربية وكتابها⁽³⁵⁾.

رابعاً: تعريب دواوين مصر:

بعد تحرير مصر سنة (20هـ / 641م)، أخذت اللغة العربية تنتشر وتزداد أهميتها، فأصبحت اللغتان اليونانية والعربية مستعملتين في دواوين مصر، الأولى، على أنها اللغة التي كانت تدون بها الاعمال في تلك الدواوين منذ فترة طويلة، والثانية لأنها لغة المحررين العرب، وتؤكد ذلك أوراق البردي المكتشفة حديثاً⁽³⁶⁾.

(33) البلاذري، فتوح، ص 298؛ الماوردي، الاحكام، ص 203.

(34) الوزراء والكتاب، ص 39؛ الصولي، أدب، ص 192.

(35) البلاذري، فتوح، ص 298؛ ابن النديم، الفهرست، ص 303، الماوردي، الاحكام، ص 203؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 244.

(36) حسن، إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص 156؛ عمر، أحمد مختار، تاريخ اللغة العربية في مصر، ص 30-31. ويذكر الكندي، ولاية مصر، ص 80، ان لغة دواوين مصر كانت القبطية فقط.

ومنذ سنة (57هـ / 676م) أصبح المكان الأول للعبارة العربية وتتلوها الترجمة اليونانية، في المكتبات الرسمية⁽³⁷⁾.

وقام الوالي عبدالعزيز بن مروان، أثناء ولايته، بالتدوين الثاني للديوان⁽³⁸⁾.

وفي سنة (74هـ / 693م)، وربما بعد ذلك التاريخ بستين طراً إصلاح بدل الرموز غير الاسلامية وعباراتها بعبارات مكتوبة باللغتين اليونانية والعربية، إذ كانت تقتصر كتابة أسماء الموظفين اليونانيين في الصكوك الرسمية على اليونانية فقط، فاستبدلت فيما بعد بكتابة يونانية وعربية، وما يقال عن الصكوك يقال عن (البروتوكولات) بل زادوا هنا فيها إذ استبدلوا اسم الحاكم الروماني (قوميس) باسم الوالي العربي، وأحياناً اسم الخليفة أيضاً⁽³⁹⁾.

وكان يتولى ديوان الخراج لعبدالعزیز بن مروان (اثناس)، وهو من اهل الرُّها، وكان واسع السلطان عظیم النفوذ، وكان غالباً على عبدالعزيز بن مروان⁽⁴⁰⁾.

أما تعريب دواوين خراج مصر فقد تأخر، وربما كان ذلك بسبب ضعف التأثير العربي النسبي قياساً لبلاد الشام أو العراق. واختلف المؤرخون فيمن عرب دواوين مصر، هل كان ذلك في عهد الخليفة عبدالمك أو في عهد ابنه

(37) محمد، صنج السكة، ص12.

(38) المقرئزي، خطط، ج1، ص94.

(39) جروهمان، الاوراق البردية، المحاضرة الاولى، ص14.

(40) الكندي، ولاية مصر، ص72، 80؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص34-35؛ ترتون، أهل الذمة، ص21.

الوليد، فيذكر القلقشندي⁽⁴¹⁾ بأن: ((أول من نقل دواوين مصر... هو عبدالعزيز بن مروان في امارته على مصر))). أي في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان. إلا أن غالبية مصادرنا الأصلية تؤكد ان تعريب دواوين خراج مصر، قد تم في خلافة الوليد بن عبدالملك (86-96هـ / 705-714م)، وفي ولاية أخيه عبدالله بن عبدالملك لمصر، سنة (87هـ)⁽⁴²⁾. لذلك فلا نرى ضرورة الاستمرار في بحث الموضوع لأنه يتعدى فترة بحثنا.

خامساً: نتائج تعريب الدواوين:

لقد حققت حركة تعريب الدواوين على يد الخليفة عبدالملك بن مروان نتائج ذات آثار عظيمة في جميع الميادين السياسية والادارية والثقافية واللغوية وما زالت نتائجها شاخصة للعيان حتى اليوم. ويمكن تحديد نتائج حركة التعريب بما يأتي:

1. تحقيق سيادة اللغة العربية وتعزيز مكانتها، وانتصارها على اللغات الاجنبية في الدولة، كالفارسية واليونانية، والقبطية، إذ أصبحت اللغة العربية لغة الادارة والثقافة، فضلاً عن كونها، لغة السياسة والدين والعلم، وأصبحت أداة التفاهم اليومي في كل أنحاء الدولة، فانتشرت الثقافة العربية التي طغت على الثقافات الاخرى وتفاعلت معها وأذابتها وحلت محلها، إذ اعتبر التعريب أعظم حدث ثقافي سياسي بعد جمع القرآن نظم وفق خطة شاملة⁽⁴³⁾، فأصبغت الدولة كلها بالصبغة العربية، حتى أصبحت كما يقول

(41) صبح الاعشى، ج1، ص 423.

(42) الكندي، ولاية مصر، ص 80؛ المقرئزي، خطط، ج1، ص 98.

(43) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص 15.

البيروني في نصه الرائع: ((ديننا والدولة عريان وتوأمين ترفرف على أحدهما القوة الالهية، وعلى الآخر اليد السماوية... وما دام الأذان يقرع أذانهم كل يوم خمساً وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفّاً صفّاً))⁽⁴⁴⁾. أي أصبحت اللغة العربية فيما بعد لغة الحضارة في جميع أقاليم الدولة العربية الاسلامية.

2. ظهور فئة مهمة من الكتّاب العرب أو الموالي حلّوا محل الكتّاب الفرس والروم في إدارة الدواوين، إذ كان لصالح بن عبدالرحمن مهمة كبيرة في ذلك. فيقول عبدالحميد بن يحيى، كاتب الخليفة مروان بن محمد: ((لله در صالح ما أعظم منته على الكتّاب))⁽⁴⁵⁾، وبذلك كان عامة كتّاب العراق تلامذة صالح، ومن هؤلاء: المغيرة بن أبي قرّة، وقحذم بن أبي سليم، وشيبة بن ايمن والمغيرة وسعيد ابنا عطية ومروان بن اياس⁽⁴⁶⁾، وغيرهم. وبذلك أصبح للانسان العربي المسلم أهمية كبيرة في ادارة الدولة، فكان عصر الخليفة عبدالملك هو النموذج الناصع للدولة العربية الاسلامية.

3. ظهور بوادر حركة الترجمة، من اللغات الأجنبية إلى العربية، إذ كانت حركة تعريب الدواوين أول عملية ترجمة منظمة أدت إلى نقل الكثير من المصطلحات الأجنبية، وظهر من اهتم بالترجمة، مثل خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان المتوفي سنة (85هـ / 705م)، فهو أول من أمر بنقل بعض كتب

(44) كتاب الصيدنة، ص12.

(45) البلاذري، فتوح، ص298 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303 ؛ الماوردي، الاحكام، ص203 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244.

(46) الجهشيارى، الوزراء والكتّاب، ص39 ؛ الصولي، أدب، ص192.

الكيمياء والطب من اليونانية إلى العربية⁽⁴⁷⁾. واستمرت حركة الترجمة نشطة حتى أصبح الكتاب يفضلون العربية على سائر اللغات، فيقول البيروني: ((... وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفتدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة... والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية، وسيعرف مصداق قلبي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسية كيف ذهب رونقه وكسف باله وأسود وجهه وزال الانتفاع به))⁽⁴⁸⁾. كما غلب الخط العربي على خطوط اللغات الأخرى وانعدم قسم منها كالآرامية والسريانية والقبطية⁽⁴⁹⁾.

4. أدت حركة تعريب الدواوين إلى إثارة فئة الموظفين الأعاجم، لأن التعريب قضى على احتكارهم لمناصبهم الإدارية والمالية، وكشف سوء استعمالهم لوظائفهم⁽⁵⁰⁾، حيث استغنت الدولة عن هؤلاء الموظفين، واستبدلتهم بموظفين عرب أو موالى ممن يجيدون العربية، فأدى هذا إلى استياء الكتاب الأعاجم وبشكل خاص الفرس الذين تقموا على الدولة الأموية وشوهوا صورتها⁽⁵¹⁾.

(47) ابن النديم، الفهرست، ص 303.

(48) كتاب الصيدنة، ص 12.

(49) حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 464.

(50) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص 109.

(51) جوزي، بندلي، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، ص 67-68؛ أبو النصر، عمر، عبد الملك بن مروان، ص 273.

5. كان تعريب الدواوين سبيلاً إلى تعريب الاقاليم والجاليات غير العربية، فكان هذا من أكبر العوامل في انتشار العربية⁽⁵²⁾، كما أن أجزاء كبيرة من الدولة العربية الاسلامية ما زالت إلى وقتنا الحاضر عربية ثمرة لجهود الخليفة عبدالملك بن مروان⁽⁵³⁾. فسادت اللغة العربية أفريقية كلها، وأصبحت جزءاً مهماً من الدولة⁽⁵⁴⁾، فدعم ذلك من وحدة الدولة العربية الاسلامية، وشدد من تماسكها. وعلى ذلك فإن العربية هي الاداة التي جعلت مجتمع العرب يتسع رويداً رويداً حتى صارت حدوده تمتد من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً⁽⁵⁵⁾.

6. كان التعريب من أهم الأسس التي اقيمت في بناء القومية العربية في كل أقطار الدولة الاسلامية، وأنهى آخر مظهر من مظاهر الأعاجم، فأصبحت البلاد عربية بأوضاعها سائرة إلى التعريب بسكانها⁽⁵⁶⁾، فكان للخليفة عبدالملك فضلاً لا يقدر في حفظ العربية أكبر مقومات ثقافة الأمة العربية، إذ استمرت الدولة محتفظة بهذه المميزات والمقومات حتى بعد انتهاء الدولة الأموية، فإن الدولة العباسية أنما قامت على هذه الأسس واحتفظت بهذه المقومات أيضاً⁽⁵⁷⁾.

(52) الرئيس عبدالملك بن مروان، ص 286.

(53) عبدالمنعم ماجد، التاريخ السياسي، ج 2، ص 162.

(54) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 265.

(55) عبدالمنعم ماجد، الحضارة الاسلامية، ص 15.

(56) كرد علي، الاسلام والحضارة العربية، ص 168 ؛ أبو النصر، عمر، عبدالملك بن مروان، ص 238.

(57) الرئيس، عبدالملك بن مروان، ص 287-288.

7. تمكنت الدولة من تحقيق الاشراف التام على النواحي المالية والادارية وضبط أعمال الدواوين وسجلات الضرائب، أي أسهم ذلك في نجاح الدولة بخططه الاصلاح المالي.

8. اتجه الموالي لتعلم اللغة العربية، كونها الطريق التي تؤدي إلى الوظائف والمناصب العالية، كما أدى من جهة أخرى إلى اشاعة اللحن في اللغة، مما دعا الحجاج إلى معالجة ذلك، ثم اندفع الموالي للتخلص من اللحن والخطأ وتعلم النحو ودراسته، فخلق نهضة لغوية واسعة، وهذا ما يفسر لنا ظهور علماء كبار من الموالي في العصر الأموي ثم العصر العباسي.

9. إيجاد نظام إداري موحد وشامل، وللدلالة على حسن هذا النظام ان اتخذه العباسيون، فقد كانت الادارة عندهم تطوراً للادارة عند الامويين⁽⁵⁸⁾.

(58) كاشف، الوليد بن عبد الملك، ص 169.

الفصل الخامس

إدارة الأقاليم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

أولاً: إدارة بلاد الشام

ثانياً: إدارة الحجاز وأواسط الجزيرة العربية واليمن

ثالثاً: إدارة العراق والمشرق الإسلامي

رابعاً: إدارة الجزيرة الفراتية وأرمينيا واذربيجان

خامساً: إدارة مصر

سادساً: إدارة إفريقية

قال الخليفة عبد الملك بن مروان في احدى خطبه في
الحجاز:

((أنصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبي
بكر وعمر ولا تسرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية
أبي بكر وعمر نسأل الله أن يعين كلا على كل... اني
رأيت سيرة السلطان تدور مع الناس... فلا بد للوالي أن يسير
في كل زمان بما يصلحه)).

الذهبي، تاريخ الاسلام، ج3، ص130-131.

كتب الخليفة عبد الملك للحجاج في العراق قائلاً له:
((لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على
درهمك المتروك وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما)).

الماوردي، الاحكام السلطانية، ص144.

الفصل الخامس

إدارة الأقاليم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

وضع الرسول محمد ﷺ، نواة النظام الإداري في الإسلام، إذ بعد استقرار الدولة أخذ ينصب عنه عمالاً على القبائل، وبعض مدن الحجاز واليمن، لإمامتهم في الصلاة وجمع الصدقات، والفصل بينهم في المنازعات التي قد تحدث⁽¹⁾.

وبعيد دخول الرسول محمد ﷺ مكة سنة (8 هـ - 629 م) وليّ عليها (عتاب ابن أسيد)، وفرض له راتباً مقداره درهم واحد في اليوم⁽²⁾.

ولما ولي الخلافة أبو بكر الصديق ؓ (11 - 13 هـ / 632 - 634 م)، أقر عمال الرسول محمد ﷺ على أعمالهم. وقسم الدولة إلى عدة ولايات، عين عليها ولاية من كبار الصحابة⁽³⁾.

وفي عصر الخليفة عمر بن الخطاب ؓ (13 - 23 هـ / 634 - 643 م)، اتسعت الدولة، إذ حرر العرب المسلمون، مناطق شاسعة، فقسم الخليفة عمر بن الخطاب ؓ، الدولة إلى ولايات كبيرة ليسهل حكمها والاشراف عليها، وعين على كل ولاية عاملاً يكون مسؤولاً أمامه مباشرة، ومن أهم واجبات هذا

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص 61 - 62، 63؛ ابن هشام، السيرة، ج4، ص 173.

(2) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص 50، 61؛ ابن سعد، الطبقات، م2، ص 137؛ ابن هشام، السيرة، ج4، ص 69، 149.

(3) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص 91؛ احمد، د. لييد إبراهيم و د. فاروق عمر، عصر النبوة والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة بغداد، بلا. ط. (بغداد - 1986 م)، ص 314.

العامل: إمامة المسلمين في الصلاة، وقيادة الجند في الحروب وجباية الأموال، وحفظ الأمن والنظام في إداراتهم⁽⁴⁾.

وقد اتبع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سياسة تستهدف تماسك بلاد العرب، وتوحيد القبائل العربية، لتكوين أمة واحدة، كما كانت ترمي إلى المحافظة على العرب بوصفهم مادة الإسلام⁽⁵⁾.

وكان عمال عمر ﷺ عرضة لكشف أحوالهم، فقد جعل (محمد بن مسلمة)⁽⁶⁾ بمثابة مفتش على العمال، يرسله للتحقيق في الشكاوى ضد عماله⁽⁷⁾. وكان يقاسم عماله أموالهم، إذا ظهر أنهم أساءوا الولاية وأثروا على حساب الرعية، فقد قاسم (محمد ابن مسلمة) عمرو بن العاص أمواله⁽⁸⁾، كما منع الخليفة عماله من الاشتغال بالتجارة⁽⁹⁾.

وبذلك يكون الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ هو واضع أسس النظام الإداري للدولة العربية الإسلامية.

(4) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص127 – 128، ص129 – 130؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص303 – 304.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص192؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص455.

(6) محمد بن مسلمة: صحابي قاد عدة سرايا للرسول محمد ﷺ، أستعمله الرسول محمد ﷺ على المدينة سنة (11هـ)، وكان رسول عمر بن الخطاب ﷺ في الكشف عن أحوال عماله. توفي سنة (43هـ) وقيل سنة (46هـ). ابن هشام، السيرة، ج4، ص173؛ ابن حجر، الإصابة، ج3، ص363 – 364.

(7) ابن حجر، الإصابة، ج3، ص363 – 364.

(8) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص147؛ العسكري، الأوائل، ص140.

(9) الطبري، تاريخ، ج3، ص287؛ كرد علي، الإسلام والحضارة، ج2، ص138.

وحافظ الخليفة عثمان بن عفان ؓ على الأوضاع الإدارية التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب ؓ⁽¹⁰⁾، فضلاً عن قيامه بتغيير في ترتيب الأقاليم، إذ الحق الخليفة إدارة فارس بالبصرة سنة (29 هـ - 649 م)⁽¹¹⁾، كما الحق إدارة البحرين وعمان بالبصرة أيضاً، بعد ان كانتا تابعتين لإدارة الحجاز، وصار عمالهما يعينون من عامل البصرة، وأستمر ذلك طيلة العصر الأموي⁽¹²⁾.

وسار الخليفة علي بن أبي طالب ؓ، أيضاً على طريقة من سبقوه في الإدارة. غير أن الجديد في هذا المجال هو ما أحدثه من، تغير إداري كبير، إذ نقل مقر إدارة الدولة من المدينة في الحجاز إلى الكوفة في العراق⁽¹³⁾.

وعند تأسيس الدولة الأموية، قام الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41 - 60 هـ) (661 - 679 م)، بنقل مقر إدارة الدولة، من الكوفة إلى دمشق، إذ كانت الشام من أقوى مؤيدي معاوية، ومقر أنصاره لذلك كان جل اعتماده عليهم⁽¹⁴⁾.

واعتنى الخليفة معاوية بن أبي سفيان بتنظيم الإدارة بصورة عامة كما سار على سياسة الخلفاء الراشدين في اختيار الولاة والعمال من العرب، كما حرص أن لا يستعمل أحداً من هؤلاء العمال إلا من ثبتت كفاءته. وفي عصره فصلت إدارة خراسان عن البصرة⁽¹⁵⁾.

(10) الطبري، تاريخ، ج3، ص287؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص155.

(11) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص136.

(12) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص136، 159؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص100؛ ياقوت، معجم، م1، ص347.

(13) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص186.

(14) الطبري، تاريخ، ج4، ص239؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص87.

(15) الطبري، تاريخ، ص233 - 234.

وكانت بلاد الشام، على عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان، تتكون من أربع أجناد⁽¹⁶⁾، وهي: دمشق وحمص والأردن وفلسطين. وعندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة (60 - 64 هـ / 679 - 683 م)، جعلها خمسة أجناد، إذ فصل جند قنسرين عن حمص، وضم اليه انطاكية ومنبج والجزيرة⁽¹⁷⁾.

وعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان (65 - 86 هـ / 684 - 705 م)، قام بتنظيم دواوين الدولة ومؤسساتها⁽¹⁸⁾، كما نظم إدارة الأقاليم، وأعاد النظر في تقسيماتها وترتيبها، سائراً على الأسس التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب ؓ، أخذاً بنظر الاعتبار تغير الحياة وتطورها بمختلف أوجهها.

وكانت الدولة الأموية مقسمة إلى عدة أقاليم، ويرأس كل إقليم أمير، يكون تعيينه وعزله من الخليفة، ويملك هذا الأمير سلطات واسعة في إدارة إقليمه، فهو الذي يعين العمال على الولايات والمدن التابعة لإقليمه، كما يعين الموظفين أيضاً، وهو المسؤول عن تنظيم الجند، وتجهيز الحملات العسكرية، وغالباً ما يقودها بنفسه أو ينوب عنه قائداً لذلك، وكان له الاشراف على سك النقود أيضاً.

(16) الأجناد: جمع جند، والتجند التجمع، وقيل سمي بالجند، لأنه جمع عدة كور، وقيل سميت كل ناحية لها جند يقبضون أعطياتهم بها جندا، ويذكر البلاذري بأن عبد الملك بن مروان جند الجزيرة أي أفرداها بعد أن كانت الى قنسرين. البلاذري، فتوح، ص 137 - 138؛ ياقوت، معجم البلدان، م 1، ص 103.

(17) ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: سامي الدهان، (دمشق - 1951 م)، ج 1، ص 29، ياقوت، معجم، م 1، ص 103.

(18) ينظر الفصل الثالث.

وكان إلى جانب الأمير⁽¹⁹⁾، موظف له أهمية كبيرة هو (صاحب الخراج)، فالوالي يدير الشؤون السياسية للولاية، وعامل الخراج يتولى إدارة الشؤون المالية، ويكون صاحب الخراج بمثابة الرقيب على الوالي، ويعين صاحب الخراج هذا من الخليفة، وقد تحصل مواجهة وتصادم بين الوالي وصاحب الخراج.

وكذلك كان يساعد الأمير في عمله عدد من الموظفين، منهم، القاضي، وصاحب الشرطة، ورئيس الحرس، والكاتب، والحاجب.

وقد بلغت الدولة العربية الإسلامية، أقصى اتساعها في العصر الأموي إذ كانت مقسمة إدارياً في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، إلى خمسة أقاليم كبرى (فضلاً عن بلاد الشام) هي⁽²⁰⁾:

1. الحجاز وأواسط الجزيرة العربية واليمن.
2. مصر بقسميها: السفلى والعليا.
3. العراق: ويشمل البصرة والكوفة، وواسط، وعمان والبحرين⁽²¹⁾ وفارس كلها، وكرمان وسجستان، وخراسان، وبلد ما وراء النهر والسند.

(19) كان حكام الأقاليم يسمون في أول الأمر، (عمالاً) ثم استعملت فيما بعد كلمة (والي) ثم أطلقت عليهم كذلك كلمة (أمير) وتطور هذا اللفظ على هذا النحو، عامل، فوالي، فأمير، يدل على أن سلطة هؤلاء الحكام بدأت محدودة ثم أخذت تتسع حتى أصبح سلطانهم عظيماً فالعامل لم يكن مطلق السلطة، والوالي كان نفوذه واسعاً، والأمير كان نفوذه أوسع. د. لييد إبراهيم محمد. عصر النبوة والخلافة الراشدة. ص315؛ حاشية رقم (1).

(20) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص458 – 459؛ الخربوطلي، د. علي حسني، الإسلام والخلافة، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت – 1969م)، ص124.

(21) البحرين: اسم جامع يطلق على الإقليم الممتد على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان. ومن أهم مدنه: هجر، المشقر، الصفا، الزارة. ياقوت، معجم البلدان، م1، ص347؛ ابن منظور لسان العرب، م5، ص46.

وكانت كل هذه الأقاليم تكون ولاية كبيرة يتولى أمرها أمير العراق وحاضرتة الكوفة، ثم أصبحت واسط بعد سنة (83هـ / 702م). ويلى خراسان وبلاد ما وراء النهر عامل من قبل أمير العراق، ومركزه مدينة مرو عادة، وكانت بلاد البحرين وعمّان تحت أشرف البصرة، وعند جمع العراق للحجاج، أصبح هو المشرف على إدارتها. وكان يلي بلاد السند عامل من قبل أمير العراق.

4. إقليم الجزيرة الفراتية: وتتبعها أرمينية وأذربيجان، وبعض بلاد آسيا الصغرى.

5. أفريقية الشمالية: وتشمل كل أفريقية الشمالية حتى غربي مصر.

أولاً: إدارة بلاد الشام:

كانت بلاد الشام في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، قد استقرت إدارياً إلى خمسة أجناد، وهي جند دمشق، وحاضرتها دمشق، وجند حمص، وحاضرتها حمص، ومن مدنها تدمر، وجند قنسرين، وحاضرتها قنسرين، ومن مدنها حلب، ومرعش، وجند فلسطين، وحاضرتها اللد، ومن مدنها تبوك، وجند الأردن، وحاضرتها طبرية، ومن مدنها عكا⁽²²⁾.

وكان لنظام الأجناد هذا أهمية إدارية وعسكرية كبيرة، إذ كان من أهم أسباب قوة الدولة الأموية فضمن لها الجند المستعدون دوماً للقضاء على أعداء الدولة في الداخل والخارج⁽²³⁾.

(22) البلاذري، فتوح، ص 137 – 138؛ الاضطخري، المسالك والممالك، ص 43؛ ياقوت، معجم البلدان، م 2، ص 170.

(23) كاشف، الوليد بن عبد الملك. ص 50 – 51.

ولم يعين الخليفة عبد الملك بن مروان والياً خاصاً على بلاد الشام، لأنها كانت تحت إشرافه المباشر، إلا أنه عين على الأجناد ولاية خاصين بها.

ولا بد من القول ان المصادر لا تمدنا بمعلومات كافية عن إدارة هذه الأجناد، لذلك فمن الصعوبة إعطاء صورة متكاملة عنها.

وكان جند دمشق يقع تحت إدارة الخليفة عبد الملك مباشرة، بوصفها حاضرة الدولة الأموية، ولكن عند خروجه من دمشق، كان ينب مكانه أحد أفراد أسرته، أو أحد كبار موظفيه، فقد كان الوليد يلي دمشق نيابة عن أبيه أحياناً⁽²⁴⁾، وخرج مرة من دمشق وأتاب القاضي ((بلال بن أبي الدرداء)) يصلي بالناس ويقضي بينهم⁽²⁵⁾. كما أستخلف على الشام ((بشر بن مروان)) حين قدم العراق لقتال مصعب بن الزبير⁽²⁶⁾.

أما باقي الأجناد، فكان الخليفة عبد الملك بن مروان، يعين عليها ولاية من قبله، فكان على جند حمص، ابنه ((عبد الله بن عبد الملك)) وقد أستمر في عمله هذا حتى نقله الخليفة إلى ولاية مصر بعد وفاة عمه ((عبد العزيز بن مروان))⁽²⁷⁾، ثم ولى على حمص مكانه ((أبان بن عقبة بن أبي مُعَيْط))⁽²⁸⁾، فعزله وولى مكانه ((يحيى ابن الحكم بن أبي العاص))، وكان فيه حق، فعزله

(24) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص21.

(25) وكيع، أخبار القضاة، ج3، ص202.

(26) ابن أعثم، الفتوح، ج6، ص260.

(27) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302؛ الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص58، 325.

(28) البلاذري، أنساب، ج5، ص307.

الخليفة بطلب من أهلها⁽²⁹⁾. وكان يلي جند قنسرين ((دينار بن دينار))، مولى
الخليفة عبد الملك⁽³⁰⁾. وعلى جند فلسطين كان ((أبان بن مروان بن
الحكم))⁽³¹⁾، وهو أخو الخليفة عبد الملك، فاستبدله الخليفة وولى مكانه ((يحيى
بن الحكم))⁽³²⁾ ثم عزله وجعل مكانه ((سليمان ابن عبد الملك)) ابنه⁽³³⁾.
أما جند الأردن، فكان عليها ((أبو عثمان بن مروان بن الحكم))⁽³⁴⁾،
وهو أخو الخليفة عبد الملك.

وكان على البلقاء ((محمد بن عمر الثقفي)) أخو يوسف بن عمر
الثقفي⁽³⁵⁾.

ومما يلاحظ في ولاية هذه الأجناد، ان غالبيتهم من بني أمية، ومن أسرة
الخليفة عبد الملك بن مروان بالذات، أو من مواليه. ويبدو أن ذلك راجع إلى
ثقة الخليفة بهم، ولحاولة الخليفة تدريب ابنائه وأخوته على شؤون الحكم
والإدارة، كي ينقلوا إلى إدارات أوسع وأهم، إذ كانت بنو أمية لا تولي ابنائها
على الأموال⁽³⁶⁾.

(29) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص213.

(30) البلاذري، فتوح، ص192.

(31) ابن قتيبة، المعارف، ص155؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص166.

(32) البلاذري، أنساب، ج5، ص163.

(33) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302.

(34) المصدر نفسه، ج1، ص302.

(35) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302.

(36) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص37؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، ص299.

وقد أعتمد الخليفة عبد الملك بن مروان، وأمراء الأجناد على عدد من المؤسسات والموظفين لإدارة بلاد الشام فكان للقضاة والشرطة والحرس وكتاب الدواوين⁽³⁷⁾. والحاجب⁽³⁸⁾، أثر مهم في ذلك، أما القضاء فكان على عصر الخليفة استمراراً لما كان عليه زمن من سبقه من الخلفاء، فضلاً عن إسهاماته الرائدة بتنظيم جوانب متعددة منه، فهو أول من أفرد للظلمات يوماً⁽³⁹⁾. كما أوجب أن تقرأ عهود القضاة، أي أوامر تعيينهم، في المسجد الجامع أولاً، ثم يتجهون إلى دار الأمير حيث يتلى أمامه عهد تولية القاضي⁽⁴⁰⁾، وأخذ قضاته في مصر ينظرون بأموال اليتامى وتنظيم ذلك لأول مرة⁽⁴¹⁾، كما ((كان عبد الملك أول من قضى في الدور وسال عليها البينة، وتركها ميراثاً فأعجب الناس ذلك فأخذوا به))⁽⁴²⁾.

وكان الخليفة عبد الملك يختار من القضاة من يتصف بالتقوى والنزاهة، فقد ولي على القضاء ((بلال بن أبي الدرداء))⁽⁴³⁾، ثم ولي مكانه أشهر قضاته (أبا إدريس الخولاني)، وذلك في سنة (74هـ / 693 م) وكانت له المظالم أيضاً،

(37) ينظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(38) ينظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(39) ينظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(40) كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ص169؛ العلي، صالح احمد وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط1، مط. وزارة التربية (بغداد - 1973 م)، ص121.

(41) ينظر ص237-238 من هذا الفصل.

(42) السيوطي، الوسائل إلى مسامرة الأوائل، ص107.

(43) وكيع، أخبار القضاة، ج3، ص202؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص5.

فلم يزل قاضياً حتى أعفاه عبد الملك بطلب منه⁽⁴⁴⁾، ثم ولى ((عامر الأشعري))⁽⁴⁵⁾، ثم ((عبد الله بن عامر اليحصبي))⁽⁴⁶⁾، وعبد الله بن قيس⁽⁴⁷⁾، ثم ((سليمان بن حبيب المحاربي))⁽⁴⁸⁾.

ومن الجدير بالذكر أن المصادر لا تتفق على عدد من تولى القضاء وعلى ترتيبهم وفترة توليهم مناصبهم، وربما يرجع ذلك إلى قصر فترة ولاياتهم للقضاء من جهة، وإلى اختلاط أسماء قضاة الأجناد في المصادر من جهة أخرى، ولذلك لم يصل إلينا إلا أسماء قضاة دمشق، وقاضي واحد على جند الأردن وهو ((عبادة بن نسيء الكندي))⁽⁴⁹⁾.

ويبدو أن أغلب هؤلاء القضاة من اليمن، ومعظمهم من الفقهاء، ومن رواة الحديث⁽⁵⁰⁾.

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يراقب قضاته، ويتتبع أخبارهم، فقد أخبر أن زوجة قاضية ((الحارث الأشعري))، كلمت زوجها، في رجل يقضي له بقضية، وأن الرجل أهدى إلى زوجة القاضي هدية. فقال عبد الملك:

إذا رشوة من باب بيتٍ تقحمت لتسكن فيه والأمانة فيــــه

(44) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 299؛ وكيع، أخبار القضاة، ج 3، ص 202؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 35؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص 5.

(45) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 4، ص 16.

(46) وكيع، أخبار القضاة، ج 3، ص 203؛ ابن طولون قضاة دمشق، ص 5.

(47) وكيع، أخبار القضاة، ج 3، ص 203؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، ص 316.

(48) وكيع، أخبار القضاة، ج 3، ص 210؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 1، ص 22.

(49) وكيع، أخبار القضاة، ج 1، ص 264؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 4، ص 262.

(50) العاني، إدارة بلاد الشام، ص 132 – 133.

سعت هرباً منه وولت كأنها حلیم تولى عن جوار سفيه⁽⁵¹⁾

ونرى من المناسب أن نذكر، أن الخليفة عبد الملك بن مروان، قام بتحديد مهر النساء وجعلها (أربعمائة) دينار، حداً أعلى، وهو أول من فعل ذلك، إقتداءً بما فعله رسول الله ﷺ، عندما خطب أم حبيبة بنت أبي سفيان⁽⁵²⁾. وربما قام الخليفة عبد الملك بذلك، منعاً للمغالاة في المهور، وتشجيعاً للزواج والإنجاب.

أما موقف الخليفة عبد الملك من القضاء والقضاة، فإنه كان يحترمهم ولم يكن يتدخل في عملهم وأحكامهم، حتى وإن صدرت من أعدائه، فقد أرسل عامله على المدينة ((أبان بن عثمان)) رسالة إليه، يطلب منه إعادة النظر في اقصية وأحكام عبد الله بن الزبير، قائلاً له: ((ان عبد الله بن الزبير قضى بين الناس باقصية، فما يرى أمير المؤمنين ؟ أمضيها ام اردھا ؟ فكتب عبد الملك إلى أبان بن عثمان: أنا والله ما عبنا على ابن الزبير اقصيته، ولكن عبنا عليه ما تناول من الأمر فإذا اتاك كتابي هذا، فأنفذ اقصيته فان ترداد الاقصية عندنا يتعسر))⁽⁵³⁾.

وهذه الرسالة تبين لنا جانباً مهماً من إدارة الخليفة عبد الملك الحازمة، وحكمته في عدم التدخل في المؤسسة القضائية، إذ سد باباً على الحكام والولاة كاد فتحه أن يُعرض أحكام القضاة إلى النقض المستمر.

(51) البلاذري، انساب، ص 238، (أهلوت)، وكيع، أخبار القضاة، ج 1، ص 56.

(52) ابن سعد، الطبقات، م 8، ص 99؛ ابن هشام، السيرة، ج 1، ص 243.

(53) وكيع أخبار القضاة، ج 1، ص 130.

ومن الأجهزة المهمة التي كان لها أثر فاعل في إدارة بلاد الشام، جهاز الشرطة، وعلى رأسه ((صاحب الشرط))، ولا بد أن الخليفة عبد الملك كان لا يختار لهذا المنصب إلا من توفرت فيه شروط صعبة التوفر⁽⁵⁴⁾.

وعين الخليفة عبد الملك بن مروان على شرطته ((عبد الله بن هاني (الودي))⁽⁵⁵⁾ ثم استبدل به ((يزيد بن أبي كبشة السكسكي))⁽⁵⁶⁾، ثم عزله وولى مكانه ((أبا نائل رياح بن عبده الغساني))، فعزله وجعل مكانه ((عبد الله بن زيد الحكمي))⁽⁵⁷⁾، ثم ((زياد بن هجعم السكسكي))⁽⁵⁸⁾، فعزله وولى مكانه ((يزيد بن بشر السكسكي))، فلم يزل على الشرط حتى مات، فجعل مكانه ((عب بن حامد العبسي))، فلم يزل في منصبه هذا حتى وفاة الخليفة عبد الملك⁽⁵⁹⁾.

وواضح أن عدد من تولى الشرط للخليفة عبد الملك كان كبيراً، وربما يرجع ذلك إلى سرعة تبدلهم، كما ويظهر أن كل هؤلاء، كانوا عرباً ومن رؤساء القبائل، ويمكن إرجاع ذلك، إلى رغبة الخليفة إلى عدم التعصب لأية جهة قبلية،

(54) ينظر، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 1، ص 16.

(55) ابن حبيب، المحبر، ص 373.

(56) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 302؛ ابن حبيب، المحبر، ص 373؛ البلاذري، أنساب، ص 192 (أهلوت)، اليعقوبي، تاريخ، ج 3، ص 25.

(57) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 302؛ اليعقوبي، تاريخ، ج 3، ص 26؛ البلاذري، أنساب، ص 192 (أهلوت)؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 399.

(58) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 405.

(59) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 302؛ ابن حبيب، المحبر، ص 373؛ البلاذري، أنساب، ص 193 (أهلوت)؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 399.

وليجاد التوازن القبلي، فضلاً عن ان الخليفة يتمكن بواسطة رؤساء القبائل هؤلاء من السيطرة على قبائلهم. ولا بد أن أصحاب الشرط هؤلاء كانت تتوفر فيهم المؤهلات العسكرية لتولي هذا المنصب.

ولم تكن مهمة الشرطة، في عصر عبد الملك بن مروان، هي حفظ الأمن والنظام، وتنفيذ أوامر الخليفة ومطاردة الجناة واللصوص فحسب، بل مارست الشرطة عملاً مهماً، إلا وهو عملية تنظيم وضبط نزول جيوش الخلافة ورحيلها، أثناء الحملات العسكرية، فقد قلد الخليفة، الحجاج بن يوسف الثقفي هذه المهمة، فنجح فيها في عدة مناسبات وتمكن من ضبط جيش الخليفة وتأدية مهمته على أحسن وجه⁽⁶⁰⁾.

ولم تقتصر الشرطة على مقر الخلافة فقط، بل لا بد أنها وجدت في باقي الأجناد، إلا أن معلوماتنا عنها نادرة، فقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي على شرطة ((أبان بن مروان)) أثناء ولاية الأخير على جند فلسطين، لأخيه عبد الملك، ثم التحق بشرطة ((روح بن زبرع الجذامي)) في دمشق⁽⁶¹⁾.

وأخذ الخليفة عبد الملك بن مروان، حرساً خاصاً به⁽⁶²⁾، ويرأس هؤلاء الحرس، رئيس، يعين ويعزل من الخليفة، وهو المسؤول عن أفراد حرسه أمام الخليفة. ويبدو أن أعدادهم لم تكن قليلة.

وكانت مهمة الحرس الأساسية، هي حماية الخليفة، والمحافظة على سلامته في حله وترحاله، وتنفيذ أوامره، ولم تقتصر مهمة حرس الخليفة عبد الملك على

(60) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص14؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص342.

(61) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص14؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص342.

(62) ينظر، ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302؛ البلاذري، أنساب، ص193 (أهلوت).

ذلك فحسب، بل كانت توكل إليهم مهمات أخرى، فحين أتهم عروة بن الزبير بمحاذاة أموال أخيه عبد الله بن الزبير، عهد الخليفة لبعض حرسه بمهمة إيصال عروة بن الزبير، إلى الحجاج في العراق للتحقيق معه⁽⁶³⁾.

وعين عبد الملك بن مروان على حرسه ((عدي بن عياش))⁽⁶⁴⁾ مولى حمير ثم عزله وولى (أبا الزعيزعة) مولاه⁽⁶⁵⁾، فضلاً عن توليه ديوان الرسائل، ثم عزله وولى (الريان بن خالد بن الريان) مولى بني محارب⁽⁶⁶⁾، وبعد وفاته ولى مكانه (خالد بن الريان)، وبقي في منصبه حتى وفاة الخليفة عبد الملك⁽⁶⁷⁾.

ومن الجدير بالملاحظة أن جميع رؤساء حرس عبد الملك كانوا من الموالي، وبخاصة من موالي الخليفة نفسه، ويبدو أن ذلك راجع إلى طبيعة أعمال هؤلاء المرتبطة دوماً بالخليفة، والتي تستوجب أن يكونوا موضع ثقة الخليفة للاطمئنان على سلامته، ولا بد أن هؤلاء كانوا أصحاب خبرة في هذا المجال.

وكذلك أعتنى الخليفة عبد الملك بن مروان، بتنظيم إقامته في مدن بلاد الشام، فضلاً على اهتمامه بالبناء والتعمير. فلم يكن الخليفة يقيم بدمشق طوال العام، بل كان يشتو بالصنبرة من الأردن، فإذا انتهى الشتاء نزل الجابية، وفرق الأرزاق على أصحابه، فإذا مضت أيام من اذار دخل دمشق، حتى إذا اشتد الحر

(63) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 315 – 316.

(64) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 302؛ اليعقوبي، تاريخ، ج 3، ص 25.

(65) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 302؛ البلاذري، أنساب، ج 4، ق 2، ص 145؛ اليعقوبي،

تاريخ، ج 3، ص 26؛ المسعودي، مروج، ج 3، ص 110.

(66) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 302؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 399.

(67) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 302.

أتى بعلبك فأقام بها حتى تهيج رياح الشتاء فيرجع إلى دمشق، فإذا اشتد البرد خرج إلى الصنبرة⁽⁶⁸⁾.

ومن خلال ما مر يمكننا ان نحدد الخطوط العامة لسياسة الخليفة عبد الملك لإدارة شؤون الدولة.

فقد كان يعتمد على المشاورة في أنجاز مهمات الدولة، وبخاصة في الأمور المهمة⁽⁶⁹⁾، فهو القائل: ((المشاورة تفتح مغاليق الأمور))⁽⁷⁰⁾، فقد أستشار أصحابه في المسير إلى مصعب بن الزبير في العراق⁽⁷¹⁾. كما قبل مشورة (روح بن زنباع) بتولية الشعبي قضاء البصرة، حينما أستشار الخليفة أصحابه بذلك⁽⁷²⁾، وعلى الرغم من ذلك لم يكن يأخذ بكل استشارة، فكان يشاور (يحيى بن الحكم)، ثم يخالفه، ويقول من أراد صواب الرأي فليخالف (يحيى بن الحكم) فيما يشير به عليه⁽⁷³⁾.

وكان الخليفة عبد الملك يعتمد على أهل الشام لأنهم أخلصوا له، فكان يخاطبهم: ((يا أهل الشام أنما أنا لكم كالظليم الرائح على فراخه ويتقي عنهم القدر ويباعد عنهم الحجر، ويكفهم من المطر ويحميهم من الضباب ويحرسهم

(68) البلاذري، أنساب، ص200 (أهلوت).

(69) الجاحظ، التاج، ص130؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص10؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص20؛ المسعودي، مروج، ج3، ص117؛ العسلي، بسام، عبد الملك القائد، ط1، دار النفائس (بيروت - 1986 م)، ص119 - 121.

(70) ابن الطقطقي، الفخري، ص126؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص226.

(71) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص335.

(72) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص20.

(73) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص335.

من الذئاب، يا أهل الشام انتم الجبه والرداء وانتم العدة والجداء⁽⁷⁴⁾، ولا غرابة في ذلك، إذ كانت الشام مسكن القبائل العربية، التي ناصرت الأمويين، كما كانت مقر القوات العسكرية الضاربة للدولة العربية الإسلامية، التي كان لها دور كبير في المحافظة على سلامة الدولة وأمنها.

وقد حرص الخليفة عبد الملك بالسير على مبدأ الشخص المناسب في الموقع المناسب، إذ كان يوكل المهمات لأصحابها ففي رسالة جوابية أرسلها الخليفة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله أمير البصرة سنة (72هـ/ 691م) قال له فيها: ((... فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال، وتدع المهلب إلى جنبك يجبي الخراج، وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن ابنائها... فإذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل برأي حتى تحضره المهلب وتستشير فيه))⁽⁷⁵⁾. كما كان يحسن معاملة قاداته وحاشيته ويكرمهم ويمن عليهم، ويواسيهم ويزورهم إذا مرضوا⁽⁷⁶⁾.

وجرى الخليفة عبد الملك على طريقة عمر بن الخطاب ؓ ومعاوية بن أبي سفيان، في أخذ نفسه، بالتطلع إلى استعلام بواطن الأمور، إذ كان يتابع أخبار عماله وولاته، ويعاقب من قبل الهدية منهم، فقد بلغه أن أحد عماله قبل هدية فأرسل إليه، وحين أترف هذا العامل قال له: ((إن كنت قبلت ولم تعوض أنك للئيم، ولئن كنت أنلت مهديها من غير مالك أو استكفيتها ما لم يكن مثله

(74) الطرطوشي، سراج الملوك، ص118؛ ينظر: العسلي، عبد الملك القائد، ص132.

الجداء: الغناء. ابن منظور، لسان العرب. م4، ص135؛ (باب الوالو والياء من المعتل).

(75) الطبري، تاريخ، ج5، ص18،

(76) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص56؛ البلاذري، أنساب، ص21، 84. (أهلوت).

مستكفاه أنك لخائن جائر، وما أتيت أمر لا تخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع، وأمر بصرفه من عمله))⁽⁷⁷⁾.

وكان الخليفة عبد الملك، في اختياره لعماله، قد حبذ أقرباءه من أفراد البيت الأموي بالدرجة الأولى، وأستعملهم في المناصب المختلفة، إلا أنه كان يراقبهم مراقبة دقيقة، ويعزل من أظهر عجزاً أو أخفق في عمله. كما أنه استخدم ولاته على الأقاليم في الأغلب من قبائل عرب الشمال (مضر)، بينما اختار موظفي إدارته إلى حد كبير من قبائل عرب الجنوب (اليمن)، ويبدو أن هذه كانت إحدى الوسائل التي أتبعها الخليفة لحفظ التوازن القبلي⁽⁷⁸⁾، وربما لأن عرب الجنوب كانوا أيضاً ذوي أصول حضارية وخبرة في مجال الإدارة أوسع مما لدى عرب الشمال.

وقد أدرك الخليفة عبد الملك معنى السياسة بشكل دقيق وأستوعب دروسها، كما أدرك السبل العلمية لسياسة الناس ومن مختلف منازلهم فحين سأل الوليد يا أبت ما السياسة قال: ((هبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع))⁽⁷⁹⁾.

(77) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص376 - 377؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص125؛ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص43 - 44. إلا أن الجهشيارى، يذكر أن هذا كاتب وليس عامل.

(78) دكسن، ملاحظات حول سياسة عبد الملك بن مروان في اختيار عماله. مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد، العدد (15) لسنة (1972)، ص253.

(79) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص9؛ البلاذري، أنساب، ص181 (أهلورت).

وكان عصر الخليفة عبد الملك عصر تسامح مع أهل الذمة، فلم يحاول الخليفة الاستيلاء على كنيسة يوحنا عندما رفض أهل الذمة تسليمها إليه⁽⁸⁰⁾. كما أنه سمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية بحرية، وبناء الكنائس والأديرة، فقد شيد ((أثيناس)) كتاب ديوان خراج مصر على عصر عبد العزيز كنيسة ((أم الإله)) في الرها، كما شيد في مصر أيضاً كنيستين وديراً، فضلاً عن أشغالهم مناصب عالية في إدارة الدولة⁽⁸¹⁾، إذ كان الخليفة يثق بهم⁽⁸²⁾.

أما السياسة المالية فقد شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام الخليفة الإداري، فقد كان يراقب سياسة ولاته المالية مراقبة شديدة⁽⁸³⁾. وقد سعى إلى تنظيم ماليته تنظيمًا دقيقاً، فقد كان له بيت مال لا يدخله إلا مال طيب لم يظلم فيه مسلم ولا معاهد فقد عرفت وجوهه، فهو لا يستحل إلا طيباً⁽⁸⁴⁾.

وقد أراد التشبه بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بمقاسمة بعض عماله أموالهم، فقد جعل ((الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري)) بمثابة المسؤول عن

(80) البلاذري، فتوح، ص131؛ قدامة، الخراج، ص294.

(81) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ص41؛ ترتون، أهل الذمة، ص21 - 22؛ أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص85.

(82) المعارف، عارف باشا، تاريخ القدس، ص52.

(83) البلاذري، أنساب، ص217 (أهلورات)، المسعودي، مروج، ج3، ص141؛ الماوردي، الأحكام، ص144.

(84) البلاذري، أنساب، ص195 (أهلورت).

((وكان مما جرت به عادة بني أمية إذ جاءتهم جبايات الأمصار أن يأتيهم مع كل جباية (عشرة) أو (أربعين) رجلاً من وجوه البلد، فلا يدخل شيئاً من المال حتى يحلف الوفد ما منها دينار ولا درهم إلا أخذ بحقه)) . كرد علي، مميزات بني أمية، مجلة المجتمع العلمي العربي السوري، م16، ج9، 10 لسنة (1941م)، ص452.

مراقبة ومتابعة القضايا المالية في الأقاليم، فقد أرسله إلى الجزيرة الفراتية لدراسة وإصلاح الضرائب هناك⁽⁸⁵⁾. كما قاسم (أثيناس) كاتب ديوان خراج مصر أمواله⁽⁸⁶⁾، وبذلك أتبع نظاماً دقيقاً للاستخراج أو التكشيف، حيث كان يحقق مع الجباة وعمال الخراج - المشكوك في أمرهم - عند اعتزالهم عملهم ويستنتقون حتى يعترفوا بما ارتكبوا من مخالفات، وكان التحقيق مع هؤلاء يتم في أماكن خاصة تسمى (دار الاستخراج)⁽⁸⁷⁾.

ثانياً: إدارة الحجاز وأواسط الجزيرة العربية واليمن:

أ- الحجاز:

يعد الحجاز من أقاليم الدولة العربية الإسلامية المهمة، فهو المكان المقدس الأول للمسلمين، وفيه ظهرت الرسالة الإسلامية، ومنه انطلقت جيوش التحرير والفتح، كما بقي فيه أعداد كبيرة من الصحابة والتابعين، وفيهم الإداريون وقادة الجيوش، لكل ذلك كانت الحجاز مركز الثقل السياسي والإداري، طيلة عصر النبوة والخلافة الراشدة، عدا خلافة علي ابن أبي طالب عليه السلام، حيث بدأت تتضاءل أهمية الحجاز الإدارية وذلك لنقل مقر الدولة من المدينة إلى الكوفة.

ولما انتقلت الخلافة إلى الأمويين، حصلت تطورات سياسية وعسكرية عنيفة، كان لها أثر واضح على مكانة الحجاز الإدارية والسياسة، كثورة الحسين بن علي عليه السلام، وحركة عبد الله بن الزبير، والتي كانت في جوانب منها رد فعل

(85) ينظر الفصل الثاني، الجزيرة الفراتية، وينظر العسلي، عبد الملك القائد، ص 122.

(86) الجهمشياري، الوزراء، ص 34 - 35.

(87) حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص 196.

لانتقال مركز الحكم والادارة من الحجاز إلى دمشق⁽⁸⁸⁾، وكذلك خروج أعداد كبيرة من الحجاز واستيطانهم في الأمصار الجديدة التي أخذت أهميتها تتزايد، كل ذلك كانت له آثار كبيرة في تناقص أهمية الحجاز الإدارية والسياسية⁽⁸⁹⁾.

وبعد نجاح الخليفة عبد الملك في القضاء على عبد الله بن الزبير سنة (73 هـ / 692 م) ومبايعة قريش وكبار الصحابة والتابعين له⁽⁹⁰⁾، أخذ يوجه عنايته نحو الاهتمام بإدارة البلاد.

ففي المدينة المنورة، تمكن (طارق بن عمرو) مولى عثمان بن عفان، في سنة (72 هـ / 691 م)، من طرد عامل عبد الله بن الزبير، والسيطرة عليها، فأقره عبد الملك عليها لمدة (خمسة أشهر)⁽⁹¹⁾.

وفي سنة (73 هـ / 692 م)، حدث تطور إداري مهم، إذ جمع الخليفة عبد الملك أعمال الحجاز واليمن للحجاج بن يوسف الثقفي⁽⁹²⁾، فكان الحجاج

(88) الفراجي، عدنان علي، الخلافة الأموية، (96 - 105 هـ)، رسالة ماجستير مكتوبة

على الآلة الكاتبة (جامعة بغداد - كلية الاداب - قسم التاريخ - 1987 م)، ص 70.

(89) العلي، صالح احمد، إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث تصدرها

الجامعة الأمريكية في بيروت، الاجزاء (2، 3، 4) السنة (21)، 1968 م، ص 23.

(90) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 266؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 34؛ ابن عبد ربه، العقد

الفريد، ج 4، ص 400؛ البلاذري، ج 5، ص 359؛ وكيع، أخبار، ج 1، ص 124.

(91) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 265، 294؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 14.

(92) الأزرق، أخبار مكة، ج 2، ص 174؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 35.

يستخلف على المدينة إذا أتى مكة (عبد الله بن قيس بن مخزومة)، الذي ولاه قضاء المدينة أيضاً⁽⁹³⁾.

كما كان يستخلف على مكة حين خروجه من الحجاز ((عبد الرحمن بن نافع))⁽⁹⁴⁾.

ويبدو أن الحجاج خلال ولايته للحجاز لم يحسن السيرة مع بعض أهل المدينة، إذ أشتد معهم وعاملهم معاملة قاسية فأساء معاملة بعض من أصحاب رسول الله ﷺ ومنهم، ((جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد الساعدي))⁽⁹⁵⁾.

ومن جهة أخرى فقد أدرك الخليفة عبد الملك، أهمية الحجاز المعنوية، والمؤثرة، فأنتهج لذلك سياسة حكيمة أدت بالتالي إلى نجاحه في الحصول على بيعة كبار أهله، فحين بايع محمد بن الحنفية لعبد الملك، أعطاه الخليفة ميثاقاً، وكتب إليه: ((أنك عندنا محمود... فلك العهد والميثاق وذمة الله ورسوله أن لا تهاج ولا أحد من أصحابك بشيء تكرهه)) كما قضى حوائجه⁽⁹⁶⁾. وكتب الخليفة إلى الحجاج: ((لا تعرض لمحمد ولا لأحد من أصحابه))⁽⁹⁷⁾. فلم يتعرض الحجاج لأحد من آل أبي طالب خلال ولايته للحجاز. وكذلك بايع

(93) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 294، 299؛ وكيع، أخبار القضاة، ج 1، ص 124؛ المسعودي، مروج الذهب، ج 3، ص 122؛ القلقشندي، مآثر، ج 1، ص 131.

(94) البلاذري، أنساب، ج 5، ص 374.

(95) اليعقوبي، تاريخ، ج 3، ص 17 - 18؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 35؛ ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 359.

(96) ابن سعد، الطبقات، م 5، ص 111 - 112.

(97) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 400.

عبد الله بن عمر لعبد الملك والحجاج⁽⁹⁸⁾. كما عزز الخليفة عبد الملك الصلات مع آل العباس، فكان يكرم ((علي بن عبد الله بن العباس)) ويعرف له حقه ويستوصي به خيراً⁽⁹⁹⁾. وكانت كتبه ترد إلى الحجاج يأمره فيها أن لا يسيء إلى عروة بن الزبير⁽¹⁰⁰⁾. وبذلك نجح الخليفة عبد الملك في الاحتفاظ بصلات حسنة بين الأمويين وبين بني هاشم - علويين وعباسيين - فلم يقتل أحد من العلويين في عصره، فكانت هذه ثمرة حسن سياسته وبعد نظره.

وكان الخليفة عبد الملك يراقب سياسة الحجاج في الحجاز، فحين بلغه أنه أساء معاملة خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك، غضب غضباً شديداً، وكتب للحجاج رسالة قال فيها: ((من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف، أما بعد، فأنتك عبد طمت بك الأمور فطغيت، وعلوت فيها حتى جزت قدرك وعدوت طورك... وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك... وإيم الله لو أن أمير المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً، وانتهكت له عرضاً فيما كتب به إلى أمير المؤمنين، لبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك، فيحكم فيك بما أحب))⁽¹⁰¹⁾.

(98) المصدر نفسه، ج4، ص400.

(99) المبرد، الكامل، ج2، ص219؛ الشاشتي، أبي الحسن علي بن محمد، الديارات، تح: كوركيس عواد، مطبعة المعارف (بغداد - 1956 م)، ص137 - 138؛ مجهول، أخبار العباس وولده، ص131، ص154؛ الحميري، الروض المعطار، ص199.

(100) الدينوري، الأخبار الطوال، ص315 - 316؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص119؛ الذهبي، تاريخ، ج3، ص280.

(101) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص362؛ ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص330 - 331؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص386.

كما حرص الخليفة عبد الملك على أداء فريضة الحج، كركن من أركان الإسلام من جهة، وكمحاولة لتقوية الصلات مع أهل الحجاز وكسب رضاهم، من جهة أخرى، فتوجه في سنة (75هـ/ 694م) لأداء فريضة الحج، فخطب في مكة، وأمر لجابر بن عبد الله بـ (خمسة آلاف) درهم⁽¹⁰²⁾. ثم توجه إلى المدينة المنورة، فخطب في الناس أيضاً، وكانت خطبة بمثابة إعلان لبرنامج سياسته الجديدة في الدولة عامة وفي الحجاز خاصة.

فقال في إحدى خطبه: ((أنصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر نسأل الله أن يعين كلاً على كل))⁽¹⁰³⁾.

وقال في خطبة ثانية: ((وما خالف عثمان عمر في شيء من سيرته إلا باللين، فان عثمان لان لهم حتى ركب،... أني رأيت سيرة السلطان تدور مع الناس.. فلا بد للوالي أن يسير في كل زمان بما يصلحه))⁽¹⁰⁴⁾. وبلا ريب فأن هذه الكلمات تنم عن عقلية كبيرة مستوعبة لظروف عصرها، ومدرسة لقوانين التطور والتغير في المجتمعات، وهذا الإدراك يعد من أعظم أسرار نجاح القادة في قيادة دولهم. وخطب خطبة ثالثة فقال: ((أما بعد فلست بالخليفة المستضعف

(102) ابن سعد، الطبقات، م5، ص229 - 231؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص270، ص301.

(103) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص262؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص130 - 131.

(104) ابن سعد، الطبقات، م5، ص233؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص130 - 131.

ولا الخليفة المداهن⁽¹⁰⁵⁾ ولا الخليفة المأفون (ويقصد الخلفاء عثمان ومعاوية ويزيد بن معاوية على الترتيب)، ألا وأني لا اداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف... الا وأنا نحتمل لكم كل شيء إلا وثوباً على منبر أو نصب راية⁽¹⁰⁶⁾. وتدل هذه الكلمات على أن الخليفة عبد الملك أدرك تماماً سياسة من سبقه من الخلفاء، فأستخلص منها الدروس والعبر، وأستوعبها، وأنه سيستخدم سياسة الحزم والقوة المقترنة بالحكمة والنابعة من عقله لا وجدانه.

وفي سنة (75هـ / 694م) نقل عبد الملك بن مروان الحجاج من الحجاز وولاه العراق⁽¹⁰⁷⁾. ويبدو أن نجاحه في القضاء على حركة عبد الله بن الزبير، وإعادة الأمن والنظام إلى الحجاز، كان أحد الأسباب المهمة التي شجعت الخليفة على نقله إلى ولاية العراق المضطربة.

ثم ولى الخليفة عبد الملك بن مروان بعد ذلك علي المدينة عمه (يحيى بن الحكم ابن أبي العاص)، وذلك في سنة (76 هـ / 695م)⁽¹⁰⁸⁾، وولى يحيى علي قضاء المدينة ((نوفل بن مساحق العامري))⁽¹⁰⁹⁾.

ويبدو ان يحيى هذا لم يكن إدارياً ناجحاً يحسن الولاية، فقد خرج مرة إلى الخليفة عبد الملك في الشام – بعد أن أستخلف أبان بن عثمان بن عفان – وافداً

(105) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص270؛ العسكري، الأوائل، ص202؛ المقرئ، النزاع والتخاصم، ص6.

(106) العسكري، الأوائل، ص202؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص391.

(107) الطبري، تاريخ، ج5، ص40؛ بنظر: إدارة العراق من هذا الفصل.

(108) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص294؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص40،

(109) الطبري، تاريخ، ج5، ص162.

عليه، بغير إذن منه، فأقاله ومنعه من الرجوع إلى المدينة⁽¹¹⁰⁾، فأقر الخليفة عليها ((أبان بن عثمان)) وذلك في سنة (76هـ/695م)، فعزل أبان (عبد الله بن قيس بن مخزومة) عن القضاء وولى بدله (نوفل بن مساحق) وهو تابعي⁽¹¹¹⁾، وولى على الديوان (ابن خارجه الأنصاري)⁽¹¹²⁾، ويبدو أن ولاية المدينة هم الذين كانوا يعينون القضاة وولاة الديوان في الاعم الأغلب.

وقد سبق أن اشرنا إلى رسالة أبان هذا إلى الخليفة عبد الملك فيما يتعلق بأقضية عبد الله بن الزبير⁽¹¹³⁾. وحج أبان في الناس سنة (76هـ/695م) وسنة (77هـ/696م)⁽¹¹⁴⁾.

وفي سنة (82هـ/701م) عزل الخليفة عبد الملك أبان بن عثمان عن ولاية المدينة⁽¹¹⁵⁾، وقيل سنة (83هـ/702م)⁽¹¹⁶⁾ وولى مكانه، ((هشام بن إسماعيل

-
- (110) ابن سعد، الطبقات، م5، ص152؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص160، 374.
- (111) ابن سعد، الطبقات، م5، ص152؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص294، 299؛ وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص152.
- (112) ابن حبيب، المحبر، ص378، ((ومن الجدير بالذكر أن الديوان أقتصروا ذكره على المدينة فقط وذلك لاقتصار العطاء عليها دون مكة)).
- (113) ينظر: ص189 من هذا الفصل.
- (114) ابن سعد، الطبقات، م5، ص152؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص301؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص83.
- (115) وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص130؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص162؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299.
- (116) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299.

المخزومي))⁽¹¹⁷⁾، وولى هشام على قضاء المدينة ((عمر بن خلده الزرقى))⁽¹¹⁸⁾، الذي بقي في منصبه حتى وفاة الخليفة عبد الملك.

وفي ولاية (هشام بن إسماعيل) جرت محاولات لإصلاح المكاييل في المدينة، حيث وضع لهم هشام صاعاً يكيلون به الأرزاق ويدفعون به الكفارت⁽¹¹⁹⁾.

ويبدو أن هشام بن إسماعيل كان شديداً في ولايته للمدينة المنورة، فحينما كتب اليه الخليفة عبد الملك، يدعوه لأخذ البيعة لابنيه الوليد وسليمان، بايعه أهل المدينة، عدا (سعيد بن المسيب) فإنه أبى، فضربه هشام ضرباً مبرحاً وطاف به، فبلغ ذلك الخليفة عبد الملك، فأنكر عليه وقال: ((ماله ولسعيد، ما عند سعيد خلاف))⁽¹²⁰⁾. وظل هشام في ولايته على المدينة حتى وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان.

ومن الجدير بالملاحظة أن الولاة الذين عينهم الخليفة عبد الملك بن مروان، على المدينة، أما من أفراد الأسرة الأموية، أو ممن لهم صلة عائلية بالأسرة مثل (هشام بن إسماعيل المخزومي). ويبدو أن هذا الاختيار كان الهدف منه ضمان الولاء والإخلاص التأمين للخليفة، لا سيما أن المدينة كانت من مراكز المعارضة القوية للأمويين. كما يلاحظ طول مدة ولاية هؤلاء الولاة، قياساً بمدة ولاية

(117) ابن سعد، الطبقات، م 5، ص 152؛ ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 299، وكيع، أخبار، ج 1، ص 130.

(118) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 299؛ وكيع، أخبار، ج 1، ص 130.

(119) الزبيرى، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب، نسب قريش، نشر: ليفي برونفيسال، (القاهرة - 1953 م)، ص 328.

(120) ابن سعد، الطبقات، م 5، ص 244؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص 421.

مكة، فقد ولي المدينة في خلافة عبد الملك (خمسة) ولاية، في حين ولي على مكة (احد عشر) والياً⁽¹²¹⁾. ثم أن بعض هؤلاء كان يتولى ولاية مكة أولاً ثم ينقل إلى ولاية المدينة.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الوظائف الأخرى في المدينة تبدو المعلومات عنها قليلة، كالشرطة مثلاً، ويمكن إرجاع قلة تردد ذكر روايات عن الشرطة إلى أنها كانت اداة بيد الأمير، كما لم تذكر في المدن الأخرى من الحجاز، وربما يرجع ذلك إلى عدم وجودها في تلك المدن، وأن الوالي في بقية المدن كان يستخدم حرسه الخاص للقيام بأعمال الشرط⁽¹²²⁾.

أما مكة، فبعد مقتل عبد الله بن الزبير سنة (73 هـ / 692م)، ولّى الخليفة عبد الملك بن مروان ابنه (مسلمة بن عبد الملك) والياً عليها⁽¹²³⁾، وفي السنة، نفسها جمع الخليفة عبد الملك الحجاز وأعماله واليمن للحجاج كما ذكرنا ذلك سابقاً حتى سنة (75هـ / 694م) حين نقله إلى ولاية العراق، فولى مكانه (الحارث بن خالد المخزومي)⁽¹²⁴⁾، وكان ذا مكانة كبيرة في قريش، وتذكر المصادر في سبب تعيين الحارث هذا، أنه وفد على الخليفة عبد الملك، في دين له، فلم يأذن له الخليفة في الدخول عليه، فقال: (الحارث) في هذا الموقف شعراً - وكان شاعراً

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

(121) العلي، إدارة الحجاز، ص 52 - 53.

(122) العلي، إدارة الحجاز، ص 27.

(123) الأزرقى، أخبار مكة، ج 2، ص 171؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج 2، ص 42.

(124) الأزرقى، أخبار مكة، ج 2، ص 171؛ البلاذري، أنساب، ص 203 - 205 (اهلوت).

حبست عليك النفس حتى كأنما بكفيك يجري بؤسها ونعيمها

ورحل إلى مكة، وهو في الطريق أرجعه عبد الملك، وخيره بين ولاية مكة، أو قضاء دينه، فأختار ولاية مكة، فولاه أياها⁽¹²⁵⁾.

ويبدو أن ولاية الحارث لمكة كانت قصيرة، وكان سبب عزل الخليفة له هو تقصيره في واجباته الدينية، فقد حج، وحجت معه (عائشة بنت طلحة) عامئذ وكان يهواها، فأرسلت إليه أن يؤخر الصلاة حتى تفرغ من طوافها، ففعل ذلك حتى فرغت من طوائفها، وأنكر الحجاج ذلك وعظموه، فبلغ ذلك، الخليفة عبد الملك فعزله، وكتب إليه يؤنبه فيما فعل⁽¹²⁶⁾. وهذا يدل بشكل واضح التزام الخليفة بواجباته الدينية، وحرصه على متابعتها⁽¹²⁷⁾، واحترام مشاعر الناس من جهة، وعلى إدارة عبد الملك الحازمة من جهة أخرى.

كما كان الخليفة عبد الملك يتودد إلى أهل مكة ويتقرب إليهم، ففي سنة (78هـ / 697م) حج الوليد بن عبد الملك، وأكرم بعض الصحابة، ولكنه أغلظ الكلام لأهل مكة، لأنهم لم يخرجوا خارج مكة لاستقباله، وبلغ ذلك الخليفة عبد الملك، فأشتد عليه وأغتم به، فكتب إلى الوليد وهو في الطريق يؤنبه ويقول له: ما كان حقك أن تفعل هذا بهم، وكان حقك أن تلين لهم وتقبل عذرهم⁽¹²⁸⁾.

(125) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص283؛ الأصبهاني، الأغاني، ج3، ص317.

(126) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص23 - 24؛ الأصبهاني، الأغاني، ج3، ص318، ج11، ص191.

(127) ينظر أيضاً، ابن حبيب، المنق في أخبار قریش، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد - الدكن، الهند 1964 م) ص510 - 502.

(128) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص323 - 325.

ومن جهة أخرى اعتنى الخليفة عبد الملك بن مروان بتعمير الكعبة والمحافظة على سلامة مكة، فبعد القضاء على عبد الله بن الزبير مباشرة كتب الى الحجاج يأمره بهدم ما استحدثه عبد الله بن الزبير من بناء الكعبة فحمل اليها السواري من مصر وبنائها على شكلها الأول كما كانت على بناء قريش⁽¹²⁹⁾، ثم كسا البيت الحرام ديباجا، إذ كان الخليفة يبعث بالهدايا والديباج اليها كل سنة⁽¹³⁰⁾، كما أنشأ عدة سداد على شعاب مكة⁽¹³¹⁾ ففي سنة (80هـ/ 699م) جاء سيل (الجحاف والجراف) وكان موسم حج، فأغرق الحجاج وأمتعته وأحاط بالكعبة، فبعث الخليفة بأموال طائلة إلى عامله على مكة (عبد الله بن سفيان المخزومي)، يأمره بعمل سداد للدور القريبة والمساجد والطرق لحمايتها من الغرق⁽¹³²⁾.

ومن ولاية مكة المشهورين ((خالد بن عبد الله القسري))، الذي اعتنى بحفر الآبار وبخاصة في المسجد الحرام، كما اعتنى بإنارته أيضا⁽¹³³⁾.

(129) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 268؛ الأزرق، أخبار مكة، ج 1، ص 137؛ البلاذري، فتوح، ص 59؛ ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ط. دي غويه. (لیدن - 1885م)، ص 20؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 35؛ القزويني، زكريا بن محمد ابن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، بلاط (بيروت - 1960 م)، ص 113

(130) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 20؛ العسكري، الأوائل، ص 44؛ البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص 67؛ السيوطي، تاريخ، ص 33 - 34.

(131) الأزرق، أخبار مكة، ج 2، ص 277 - 278.

(132) المصدر نفسه، ج 2، ص 172؛ البلاذري، فتوح، ص 65؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 138.

(133) الأزرق، أخبار مكة، ج 2، ص 171، 173.

ولا بد من القول انه تعاقب على مكة ولاية تختلف المصادر في تسميتهم وسني حكمهم، وربما يرجع ذلك إلى كثرة عددهم من جهة، وإلى قصر فترة ولاية بعضهم من جهة أخرى.

ومن الجدير بالذكر أن معلوماتنا عن الوظائف الأخرى في الحجاز - عدا المدينة - في عصر عبد الملك قليلة، فمثلاً لا تذكر مصادرها شيئاً عن القضاء، وربما كان السبب في ذلك أن ولاية هذه المدن نفسها هم الذين يقضون بين الناس في ما يعرض عليهم من مشاكل.

بـد أواسط الجزيرة العربية:

وأما أواسط الجزيرة العربية، فكانت أهم مناطقها (اليمامة)، ((وربما ضمت اليمامة إلى المدينة وربما أفردت هذا كان في أيام بني أمية))⁽¹³⁴⁾ وكانت اليمامة ومنذ سنة (65هـ / 684م) مقراً لنجدة الحنفي زعيم فرقة (النجدات) الخارجية⁽¹³⁵⁾، الذي بدأ تحركاته العسكرية منطلقاً من اليمامة حتى تمكن من تأسيس أشبه بدولة للنجدات في اليمامة والبحرين⁽¹³⁶⁾.

وقد حاول الخليفة عبد الملك استخدام الأساليب الدبلوماسية مع نجدة، إذ وعده أن يوليه على اليمامة مقابل الدخول في طاعته⁽¹³⁷⁾، فكان هذا أحد أسباب

(134) ياقوت، معجم، م 1، ص 347.

(135) النجدات: إحدى فرق الخوارج التي تكونت بعد اختلاف الخوارج في ما بينهم في شأن عبد الله ابن الزبير، وسميت النجدات نسبة إلى (نجدة بن عامر الحنفي) الذي بايعه أصحابه وسموه (أمير المؤمنين) ثم اختلفوا عليه فقتلوه، فافترقوا بعده. الشهرستاني، الملل والنحل، ط 1، (القاهرة - 1948 م)، ج 1، ص 193 - 194.

(136) ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 201 - 203.

(137) ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 205.

انشقاق النجدات بعد ذلك إلا أن اليمامة ظلت خارج سيطرة الدولة الأموية حتى تمكن الخليفة عبد الملك من القضاء على (النجدات) في اليمامة والبحرين سنة (73 هـ / 692 م)⁽¹³⁸⁾ فولى الخليفة عبد الملك (يزيد بن هبيرة المحاربي) ثم عزله وولاه مكانه (إبراهيم بن عربي) الذي استمر على ولايته طيلة المدة المتبقية من حياة الخليفة عبد الملك⁽¹³⁹⁾. ويبدو أن موقف إبراهيم بن عربي في المحافظة على سلامة حياة مروان بن الحكم يوم مقتل عثمان بن عفان ؓ، ثم موقفه في المحافظة على حياة الوليد بن عبد الملك، أثناء مقتل عمرو بن سعيد كان له أثر كبير في توليته على اليمامة⁽¹⁴⁰⁾.

وأدى إبراهيم بن عربي هذا مهمة كبيرة في القضاء على تمرد بني محارب على العامل الأموي في البحرين (محمد بن صعصعة الكلابي) سنة (78 هـ / 697 م) وذلك عندما أمره الخليفة عبد الملك، بالزحف نحو البحرين فتمكن من هزيمة المتمردين، ثم عاد إلى اليمامة⁽¹⁴¹⁾.

ج- اليمن:

اما اليمن، فقد تمكن نجدة الحنفي من دخول صنعاء سنة (65 هـ / 684 م) فبايعه أهلها⁽¹⁴²⁾.

(138) الطبري، تاريخ، ج5، ص34؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص362.

(139) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص301؛ البلاذري، أنساب، ج1، ص22، ج5، ص79.

(140) ينظر البلاذري، أنساب، ج1، ص22؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص600.

(141) البلاذري، أنساب، ج6، ورقة (142).

(142) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص203.

ويبدو ان لبعء اليمامة واليمن عن مقر الخلافة، وأنشغال الدولة بأمورها الداخلية كان له اكبر الأثر في نجاح النجيدات فيها.

وفي عصر الخليفة عبد الملك بن مروان أصبح لليمن وآل واحد بعد أن كانت مقسمة إلى عدة أعمال، في الحقب السابقة⁽¹⁴³⁾. وكان يلي اليمن للخليفة عبد الملك (عروة بن الزبير) وهو أخو عبد الله بن الزبير، وكان الحجاج قد أتهمه باحتجان أموال أخيه (عبد الله) فطلبه الحجاج فهرب إلى الخليفة عبد الملك، فأرسل الحجاج كتاباً للخليفة يطلب منه إرساله إليه لمحاسبته، إلا أن الخليفة أمنه ولم يرسله⁽¹⁴⁴⁾.

ثم وليّ عليها (محمد بن يوسف الثقفي) وهو أخو الحجاج بن يوسف، وظل محمد على ولاية اليمن إلى ما بعد وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان⁽¹⁴⁵⁾.

ويبدو أن محمد هذا لم يحسن السيرة مع أهل اليمن⁽¹⁴⁶⁾، كما زاد ضريبة الخراج على الأراضي الزراعية⁽¹⁴⁷⁾، ومع ذلك فإن اليمن كان هادئاً ولم يحدث فيه ما يعكر صفوه.

(143) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 62، 158، 294.

(144) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 5، ص 44 - 45.

(145) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 294؛ ابن عبد المجيد اليماني، تاريخ اليمن، ص 17.

(146) البلاذري، أنساب، ص 194 (أهلوت).

(147) البلاذري، فتوح، ص 84؛ أنساب، ص 194 (أهلوت).

ثالثاً: إدارة العراق والمشرق الإسلامي:

أ- العراق:

يعد العراق أهم أقاليم الدولة الأموية، إذ أنه أغنى ولايتها وذو موقع إداري ممتاز، فهو يسيطر على المشرق الإسلامي كله، وفيه قبائل عربية قوية يخشاها الأمويون⁽¹⁴⁸⁾، فضلاً عن وجود مصري البصرة والكوفة، قاعدتي التحرير في المشرق، لكل هذه الأسباب وجه الخليفة عبد الملك جل اهتمامه نحو العراق، ومما شجعه على ذلك، أن العراقيين ملوا من سياسة آل الزبير عامة، ومن مصعب خاصة⁽¹⁴⁹⁾. لذلك راسلوا عبد الملك وأبدوا ترحيبهم بقدومه⁽¹⁵⁰⁾، فوعد وجوه أهل العراق ومناهم الأموال والأعمال⁽¹⁵¹⁾، كما راسل عبد الملك قادة مصعب بن الزبير أيضاً⁽¹⁵²⁾. وقد أدرك عبد الملك أوضاعه جيداً فكان يقول: ((الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاذه وقد كتب إليّ أشراف أهل العراق يدعونني إليهم))⁽¹⁵³⁾. وبعد أن تمكن عبد الملك من قتل مصعب سنة

(148) كب، دراسات في حضارة الإسلام، ص11؛ ولها وزن، تاريخ الدولة، ص218.
(149) الطبري، تاريخ، ج4، ص558 – فما بعد؛ المسعودي، مروج، ج3، ص106 – 107.

(150) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص20؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص333؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية، ج1، 196؛ الذهبي، تاريخ، ج3، ص108.

(151) البلاذري، أنساب، ج4، ق2، ص157 – 158، ج5، ص337؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص98.

(152) البلاذري، أنساب، ج5، ص340؛ ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص557.

(153) البلاذري، أنساب، ج5، ص335.

(72هـ/ 691م)⁽¹⁵⁴⁾ بايعه أهل الكوفة، ووفى للناس ما وعدهم به، وخلع وأجاز وأقطع ورتب الناس على قدر مراتبهم⁽¹⁵⁵⁾.

وولي عبد الملك على الكوفة أخاه (بشر بن مروان) وأمره باللين لأهل الطاعة والشدة على أهل المعصية⁽¹⁵⁶⁾، وفرق العمال على المدن، أما البصرة فقد ولي عليها (خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد)⁽¹⁵⁷⁾، الذي فشل فشلاً ذريعاً في قتال الخوارج في البحرين والعراق، فبلغ ذلك الخليفة عبد الملك فوجّه وعزله عن البصرة⁽¹⁵⁸⁾. لذلك جمع الخليفة عبد الملك العراق لبشر بن مروان فقدم البصرة أواخر سنة (74 هـ / 693 م) وأستخلف على الكوفة (عمرو بن حريث المخزومي)، فأقام بشر بالبصرة شهراً ثم مات⁽¹⁵⁹⁾.

(154) ابن سعد، الطبقات، م 5، ص 183؛ ابن خياط تاريخ، ج 1، ص 264؛ البلاذري، أنساب، ج 5، ص 351. إلا أن الطبري ينفرد بجعل مقتل مصعب سنة (71هـ). تاريخ، ج 5، ص 11.

(155) المسعودي، مروج، ج 3، ص 117.

(156) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 265، 295؛ البلاذري، أنساب، ج 5، ص 354؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 12 – 13.

(157) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 295؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 16، 23.

(158) البلاذري، أنساب ج 4، ق 2، ص 159، الطبري، تاريخ، ج 5، ص 17 – 18، 20؛ ابن أعثم، الفتوح، ج 6، ص 314؛ إلن الأثير، الكامل، ج 4، ص 345.

(159) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 268، 295؛ البلاذري، أنساب، ج 4، ق 2، ص 159؛ ج 5، ص 178؛ ابن أعثم، الفتوح، ج 6، ص 313.

وقد ولي الخليفة عبد الملك على قضاء الكوفة حين دخوله اليها شريحاً⁽¹⁶⁰⁾
أما على قضاء البصرة فقد ولي بشر (عبيد الله بن أبي بكر) ⁽¹⁶¹⁾.

وولي بشر على شرطة الكوفة (عكرمة بن ربعي) ⁽¹⁶²⁾.

ولم يتمكن بشر خلال فترة ولايته من القضاء على الخوارج حتى وفاته المفاجئة، فازداد خطرهم على البصرة والكوفة⁽¹⁶³⁾. أن وفاة بشر المفاجئة، تركت منصب إدارة العراق المهمة شاغراً كما هربت أعداد كبيرة من الجند الذين كانوا يقاتلون الخوارج، وتقاعس الناس عن نصرته ولاتهم، فضلاً عن ازدياد مشاعر العداء للأمويين، كل ذلك زاد الموقف حرجاً، حتى كتب المهلب - الذي تولى حرب الازارقة - إلى عبد الملك ((انه ليس عندي رجال أقاتل بهم، فأما بعثت ألي بالرجال، وأما خلعت بينهم وبين البصرة))⁽¹⁶⁴⁾. كل ذلك جعل الخليفة عبد الملك يسند ولاية العراق إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ذي المقدرة العالية والكفاءة الإدارية الفذة، وهو الذي تمكن من قتل عبد الله بن الزبير، واستعادة

(160) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 298؛ وكيع، أخبار، ج 2، ص 397.
شريح: هو شريح بن الحارث بن قيس الكندي، ولاه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء الكوفة كما ولاه الخليفة عبد الملك قضاء الكوفة ثانية، بعد القضاء على مصعب بن الزبير، وبقي في منصبه حتى سنة (78 هـ). ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 129، ص 298؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 45؛ وكيع، أخبار القضاة، ج 2، ص 189 - فما بعد.

(161) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 298؛ وكيع، أخبار، ج 1، ص 302.

(162) البلاذري، أنساب، ج 5، ص 177.

(163) ينظر الطبري، تاريخ، ج 5، ص 36 - 38؛ ابن اعثم، الفتوح، ج 6، ص 313 - 322.

(164) المسعودي، مروج، ج 3، ص 133.

الآمن والاستقرار إلى الحجاز، فضلاً عن ضبط إدارته، فولاه العراق سنة (75هـ/ 694م)⁽¹⁶⁵⁾، فكان هذا التعيين بمثابة اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب⁽¹⁶⁶⁾. ثم أوصاه الخليفة بأن يطأ الكوفة وطأة يتضائل منه أهل البصرة، وبين له أن العراق ليس كالحجاز، وأن أهله ليسوا كأولئك⁽¹⁶⁷⁾. فدخل الكوفة، وخطب خطبة مليئة بالتهديد والوعيد، مبيناً لهم الخطوط العامة لسياسته المبنية على القسوة والعنف التي سيتبعها معهم وبخاصة مع المتخلفين عن قتال الخوارج إذ توعدهم بالموت⁽¹⁶⁸⁾.

ووجه الحجاج (الحكم بن أيوب الثقفي) أميراً على البصرة، فلم يزل عليها حتى خروجه أثر دخول عبد الرحمن بن الأشعث سنة (82هـ/ 701م)، إلا أنه عاد إليها ثانية بعد هزيمة ابن الأشعث⁽¹⁶⁹⁾، وفي السنة نفسها أي سنة (75هـ/ 694م) خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة، وأستخلف على الكوفة (أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة)، وخطب في أهل البصرة خطبة تشبه خطبته في الكوفة⁽¹⁷⁰⁾، وخلال وجود الحجاج في البصرة وقعت حركة (عبد الله بن

(165) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 296؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 40.

(166) فاروق عمر، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، دار واسط، مطبعة الدار العربية، ط 2، (بغداد - 1985 م)، ص 105.

(167) اليعقوبي، تاريخ، ج 3، ص 18.

(168) ينظر خطبة الحجاج مثلاً في: ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص 94 - 97؛ المبرد، الكامل، ج 1، ص 380 - 383؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 41 - 42؛ ابن اعثم، الفتوح، ج 7، ص 4 - 11.

(169) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 295؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 45.

(170) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 295؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 45 - 46؛ ابن الأثير، الكامل ج 4، ص 380.

الجارود) سيد قبيلة عبد القيس، لأن الحجاج أراد أن ينقص من أعطيات المقاتلة، الزيادة التي زادها مصعب بن الزبير، وأقرها بعده بشر بن مروان،... فتمكن الحجاج من القضاء على الحركة⁽¹⁷¹⁾.

وكان الحجاج في إدارته للعراق، يقيم في الكوفة بعض السنة، وفي البصرة بعضها الآخر وهو الذي يُعَيَّن عُمالاً على الأقاليم والمدن لولايته في الغالب.

ويبدو أن الحجاج لم يكن يتعصب لأقربائه في تعيين العمال والولاة إذ أنه كان لا يعين على قرابة ولا دالة ولا وسيلة⁽¹⁷²⁾، بل يعتمد في اختياره لهؤلاء على ثقته بهم، وما يتوسمه فيهم من مقدرة وكفاءة، وكان يراقب عماله وولاته ويتابع أعمالهم، فمثلاً حين عزل (الحكم بن أيوب الثقفي)، عامله على البصرة، بعض عماله، لأسباب غير مهمة، لم يرض الحجاج عن عمله هذا⁽¹⁷³⁾، كما لم يُرضه تعيينه لإعرابي على إحدى المناطق فكتب إليه: ((وليت اعرابياً جلفاً جافياً))⁽¹⁷⁴⁾. وكان يعاقب عماله المسيئين مهما كانت درجة قرابته منهم، فقد عاقب (مالك بن اسماء) على الرغم من أنه أخو زوجته⁽¹⁷⁵⁾.

أن شروط الحجاج في اختيار صاحب الشرطة، تلقي ضوءاً مهماً على سياسته في اختيار عماله، فأشترط أن يكون صاحب الشرطة هذا: ((دائم العبوس، طويل الجلوس، سمين الامانة، أعجف الخيانة، لا يحنق في الحق على

(171) الطبري، تاريخ، ج5، ص46؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص381 – فما بعد.

(172) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ص156؛ (جمع ونشر: حسن السندوبي).

(173) البلاذري، أنساب، ج11، ورقة (140).

(174) المصدر نفسه، أنساب، ج11، ورقة (40 ب).

(175) الأصبهاني، الأغاني، ج17، ص230 – 231.

حر أو حرة، يهون عليه سؤال الأشراف في الشفاعة))⁽¹⁷⁶⁾ فقل له عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي، فقال له عبد الرحمن: ((لست أقبلها إلا أن تكفيني عمالك وولدك وحاشيتك، فنادى منادي الحجاج: من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة))⁽¹⁷⁷⁾. وقد ولي الحجاج عبد الرحمن هذا على شرطة الكوفة، فربما أقام أربعين يوماً لا يؤتى اليه بأحد⁽¹⁷⁸⁾، فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة، فكان يستخلف نائباً عنه إذا خرج من أحد المصرين، حتى عزله الحجاج وولى (زياد بن جرير بن عبد الله البجلي)⁽¹⁷⁹⁾.

وعندما اتخذ الحجاج مدينة واسط مقراً لإدارته، جعل على شرطته أربعة من أهل الشام⁽¹⁸⁰⁾.

ويبدو أن معظم من اختير لهذه الوظيفة كانوا من رؤساء القبائل، كي يضمن السيطرة على هذه القبائل عن طريق هؤلاء الرؤساء، وبالتالي يتم حفظ الأمن والنظام.

ويبدو أن أعداد أفراد شرطة الحجاج لم يكن قليلاً، كما أن مهمتهم لم تقتصر على حفظ الأمن والنظام فحسب، بل كانت لهم مهمة القضاء على الاضطرابات الداخلية، إذ كان لهم أسهام مؤثر في القضاء على تمرد الزنج بقيادة (رياح) في البصرة سنة (75 هـ / 694 م)⁽¹⁸¹⁾.

(176) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص19.

(177) المصدر نفسه، ج5، ص19.

(178) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص19.

(179) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص312.

(180) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص312.

(181) ينظر البلاذري، أنساب، ص305. (أهلوت).

وكان للحجاج أيضاً حرس خاص يقوم بحراسته وحمايته، وعليهم رئيس هو (صاحب الحرس) يختاره الحجاج، وأشهرهم (سفيان بن الأبرد الكلي) و (أبو السكن مولاه)⁽¹⁸²⁾.

أما القاضي، فكان هو أيضاً جزءاً مهماً من إدارة العراق، فكان في كل من الكوفة والبصرة، وواسط قاض ينظر في القضايا التي تعرض أمامه، محتفظاً بسجلات خاصة لتدوين القضايا، وغالباً ما يمارس عمله في المسجد⁽¹⁸³⁾.

وكان اختيار هؤلاء القضاة يتم، على أساس الكفاءة والنزاهة، دون النظر إلى الاعتبارات القبلية أو الإقليمية.

وكان ممن تولى قضاء الكوفة على عصر الحجاج، (شريح) كما ذكرنا سابقاً، وظل في منصبه حتى استعفاه فأعفاه سنة (78 هـ / 697 م) فولى مكانه ((أبا بردة ابن أبي موسى الأشعري))⁽¹⁸⁴⁾، ثم أستعفاه، فأعفاه وولى مكانه (أبا بكر بن أبي موسى الأشعري)، فلم يزل حتى مات، فولى بدله ((عامر بن شراحيل الشعبي))⁽¹⁸⁵⁾.

أما في البصرة، فقد أقر الحجاج (عبيد الله بن أبي بكرة)، ثم ولى الحجاج بعده (هشام بن هبيرة الليثي) ثم ولي بعده ((عبد الرحمن بن إذينة العبدى))⁽¹⁸⁶⁾.

(182) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص312 – 313.

(183) وكيع، أخبار، ج2، ص316؛ وينظر الكندي، الولاة والقضاة، ص313.

(184) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص129، 298؛ وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص397.

(185) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص298؛ وكيع، أخبار القضاة، ج2، ص413.

(186) المصدر نفسه، ج1، ص298، وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص304.

ومن جهة أخرى فقد وجه الخليفة عبد الملك اهتماماً متميزاً للقضاء على خطر الخوارج فتمكن بحماسة وشدة واليه الحجاج ويقظة قائده الملهب وعسكريته، وبمساعدة جند الشام من القضاء على كل الحركات الخارجية في الدولة الأموية، سواء منها التي في المناطق الشرقية من العراق⁽¹⁸⁷⁾، أو التي في شمال العراق وغربه في أرض الموصل والجزيرة⁽¹⁸⁸⁾، فلم يعد يسمع بعد ذلك بخروجهم طوال عصر الخليفة عبد الملك بن مروان.

وفي سنة (78 هـ / 697 من)، قام الخليفة عبد الملك بن مروان، بتغيير إداري كبير، وذلك عندما عزل، (أمية بن عبد الله) عن ولاية خراسان وسجستان، وضمهما إلى ولاية العراق للحجاج بن يوسف الثقفي⁽¹⁸⁹⁾، فأصبح تحت إدارته فضلاً عن العراق، كل أقاليم المشرق الإسلامي والخليج العربي، يعين عليها الولاة في غالب الأحيان من قبله.

ويبدو أن الخليفة عبد الملك بن مروان بعد استقرار الدولة أتجه نحو اللامركزية الإدارية، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تخفيف أعباء أشرفه على الأقاليم البعيدة، ولتسهيل وصول الإمدادات بسرعة إلى المناطق البعيدة، ولسرعة البت في الأمور الإدارية، كما كان ثقة الخليفة بمقدرة الحجاج الإدارية، مع

(187) ينظر الطبري، تاريخ، ج5، ص120 - فما بعد؛ ابن أعثم، الفتوح، ج7، ص7 - 45؛ معروف، د. نايف محمود، الخوارج في العصر الأموي، دار الطليعة، ط1، (بيروت - 1977م)، ص157 - 162.

(188) الطبري، تاريخ، ج5، ص93 - فما بعد، ص106 - فما بعد؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص425 - فما بعد؛ معروف، المصدر نفسه، ص162 - 170.

(189) الطبري، تاريخ، ج5، ص135؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص448.

صدق وشدة اخلاصه للبيت الأموي، فضلاً عن الظروف الداخلية التي تتعلق بهذه الولايات وولاتها، أثر واضح في هذا التغيير.

وفي سنة (81 هـ / 700م) وقعت تمرد ((عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث))⁽¹⁹⁰⁾ والذي كان في جوانب منه، نتائج لسياسة الحجاج بن يوسف الثقفي الشديدة⁽¹⁹¹⁾. وقد كشف هذا التمرد عن جوانب مهمة من سياسة الحجاج الإدارية وعلاقته بالخليفة. فقد كان الحجاج محاطاً بعدد من الرجال يستشيرهم في كثير من أموره، ومنها قتاله لابن الأشعث⁽¹⁹²⁾، كما كان يعتمد على أهل الشام بشكل كبير ويقربهم فكان يقول فيهم: ((يا أهل الشام أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه،.... يا أهل الشام انتم العدة والعدد، والجنة في الحرب، إن نحارب حاربتم، أو نجانب جانبتم))⁽¹⁹³⁾.

ولم يكن الحجاج بعيداً عن مراقبة الخليفة عبد الملك في هذا القتال، فحين بلغه إسرافه في القتل، والتبذير في الأموال، كتب إليه الخليفة: ((اما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذيرك في الأموال، ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس، وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء الدية، وفي العمد القود، وفي الأموال ردها إلى مواضعها،.... وظن بأن أمير المؤمنين كل

(190) للتفصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص145 - فما بعد، ابن لأثير، الكمال، ج4؛ ص461 - فما بعده،

(191) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ص86. ولهاوزن. تاريخ الدولة، ص224 - 226.

(192) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص34.

(193) المصدر نفسه، ج1، ص10؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص140.

شيء إلا احتمالك على الخطأ))⁽¹⁹⁴⁾. فأجاب الحجاج الخليفة بكتاب قال فيه:
((أما بعد... فلعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهلهم، وما قضيت
حق أهل الطاعة بما استحقوه))⁽¹⁹⁵⁾.

وهذه الرسالة تبين لنا ميزة أساسية من مميزات سياسة الحجاج، وهي
التطرف في العقاب والثواب.

والحقيقة أن الحجاج لم يكن يرجع في كل أعماله إلى الخليفة عبد الملك،
فقد سأل الخليفة بعد انتهاء فتنة ابن الأشعث عن (عمران بن عصبم العنزي)
فقال له أن الحجاج قتله فقال الخليفة: ((قطع الله يد الحجاج))⁽¹⁹⁶⁾، وهذا يدل
أيضاً على سعة سلطان الحجاج.

وبعد انتهاء تمرد ابن الأشعث كتب الخليفة إلى الحجاج، في اخذ البيعة له
من الناس قائلاً: ((أن أدعوا الناس إلى البيعة، فمن أقر بذنبه وندم على فعله
فخل سبيله، إلا رجل خرج على أمير المؤمنين أو شتمه))⁽¹⁹⁷⁾.

وعند ذلك أمر الخليفة عبد الملك الحجاج بإعطاء الناس عطائهم، فكتب
إليه الحجاج: ((أنهم نكثوا العهد ونقضوا البيعة وفارقوا الجماعة، وطعنوا على
الأئمة، فكتب إليه الخليفة: إنما تجب طاعتنا عليهم بأن نعطيهم حقوقهم))⁽¹⁹⁸⁾.

(194) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص141 – 142.

(195) المصدر نفسه، ج3، ص141 – 142.

(196) الأصبهاني، الأغاني، ج17، ص275.

(197) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص281؛ الألبشهي، المستطرف، ج1، ص52.

(198) البلاذري، انساب، ص193. (أهلورت).

وحين حاول الحجاج أن يأخذ فضول (فروق العملة) أموال السواد، كتب الخليفة إليه يمنع من ذلك قائلاً له: ((لا تكن على درهمك المأخوذ احرص منك على درهمك المتروك وأبق لهم لحوماً يعقدون بها شحوماً))⁽¹⁹⁹⁾.

ومن انجازات الحجاج العمرانية والإدارية المهمة، هو بنائه لمدينة واسط، أواخر سنة (82 هـ / 701 م)، والتي أصبحت مقراً لأمرء العراق، ومركزاً لإدارته وإدارة المشرق الإسلامي كله حتى نهاية الدولة الأموية⁽²⁰⁰⁾.

وفضلاً عن تنظيمات الحجاج المختلفة والتي ذكرناها في الفصول السابقة، قام الحجاج بتنظيم إداري اقتصادي مهم وهو توحيد وإصلاح الموازين والمكاييل، إذ كان الناس قبل هذا الإصلاح ((لا يعرفون الوزن إنما يزنون بعضها ببعض، فلما وضع لهم سُمْير السنج كف بعضهم عن غبن بعض))⁽²⁰¹⁾، كما كانوا يتعاملون بالعدد أيضاً فوضع سُمْير الأوزان، وزن (ألف وخمسمائة) و (ألف)، و(ثلاثمائة) إلى وزن ربع قيراط، فجعلها حديداً ونقشها⁽²⁰²⁾.

كما أصلح الحجاج المكاييل أيضاً، ومنها الصاع، الذي كان يكال به أرزاق الناس الشهرية التي توزع عليهم⁽²⁰³⁾، وكان هذا الصاع زمن الخليفة عمر بن

(199) الماوردي، الأحكام، ص 144.

(200) المعاضدي، واسط في العصر الأموي، ص 79.

(201) العسكري، الأوائل، ص 206؛ ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 417.

(202) العسكري، الأوائل، ص 206؛ القلقشندي، صبح الاعشا، ج 1، ص 425، ج 2، ص 146.

(203) أبو عبيد، الأموال، ص 314-316؛ البلاذري، فتوح، ص 447.

الخطاب ؓ، وزن (ثمانية) أرطال، ثم قام سعيد بن العاص⁽²⁰⁴⁾، بانقاصه، وجعله (خمس أرطال وثلاثاً)⁽²⁰⁵⁾، فأحدث عمله هذا تدمراً⁽²⁰⁶⁾. فلمّا جاء الحجاج بن يوسف الثقفي، اتخذ مكيالاً على صاع الخليفة عمر بن الخطاب ؓ، أي بوزن (ثمانية) أرطال وسمي بـ (الحجاجي)⁽²⁰⁷⁾، وأكد ذلك أحد الرواة بقوله: ((قدم علينا الحجاج من المدينة فقال اني اتخذت لكم مختوماً على صاع عمر بن الخطاب))⁽²⁰⁸⁾.

ب: الولايات التابعة للعراق في شرق الجزيرة العربية:

كانت الاجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية، والمطلّة على الخليج العربي، تابعة إدارياً في العصر الأموي إلى أمير العراق، وهو الذي يعين عليها ولاة، يتولون إدارتها، كما ذكرنا ذلك سابقاً، وأهم هذه الأقاليم هي: البحرين وعمّان.

(204) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص، وكان يلي الكوفة (30-34هـ) للخليفة عثمان بن عفان ؓ، وكما ولي المدينة المنورة للخليفة معاوية بن أبي سفيان. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص74.

(205) الطبري، تاريخ، ج3، ص330-331؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص98-99.

(206) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص99.

(207) أبو عبيد، الأموال، ص622-623؛ ابن آدم، الخراج، ص137-138. وقد أيد ذلك الطبري بقوله: ((ان القفيز الحجاجي مثل الصاع الذي كان على عهد الرسول محمد ﷺ)) اختلاف الفقهاء، ص223.

(208) أبو عبيد، الأموال، ص622.

تشمل البحرين الاقليم الممتد على ساحل الخليج العربي، بين البصرة وعُمان فهو يشمل ما نعهه اليوم، الكويت والاحساء وقطر وجزر البحرين الحالية، المعروفة قديماً باسم (أوال) ⁽²⁰⁹⁾ ودولة الامارات العربية المتحدة.

شهدت البحرين خلال السنوات الأولى لخلافة عبدالملك بن مروان، نشاطاً واسعاً للحركة الخارجية المتمثلة بفرقة (النجيدات) إذ تمكن نجدة الحنفي من اخضاع الاجزاء الشمالية من البحرين سنة (67هـ/ 686م)، ثم السيطرة بعد ذلك على البحرين كله ⁽²¹⁰⁾. وكان لظروف الدولة الداخلية غير المستقرة من جهة، وانقسام أهل البحرين على أنفسهم من جهة أخرى، فضلاً عن بُعد البحرين عن مركز الخلافة نسبياً، أكبر الأثر في سيطرة الخوارج عليها. ونتيجة لذلك فقد راسل الخليفة عبدالملك بن مروان نجدة الحنفي ⁽²¹¹⁾ متوخياً من وراء ذلك هدفين، الأول: هو محاولة كسب نجدة إلى جانبه وضمان ولائه، أما الثاني، فهو محاولة احداث خلاف بين نجدة واتباعه ⁽²¹²⁾. وقد تحقق الهدف الثاني فعلاً ⁽²¹³⁾.

(209) النجم، عبد الرحمن عبد الكريم، البحرين في صدر الإسلام واثرها في حركة الخوارج، دار الحرية للطباعة، مط. الجمهورية، (بغداد - 1973م)، ص 17.

(210) ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 201-202.

(211) ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 205.

(212) دكسن، الخلافة الاموية، ص 280.

(213) ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 205-206.

وفي سنة (73هـ/692م) أرسل والي البصرة (خالد بن عبدالله) حملة عسكرية بقيادة أخيه (أمية بن عبدالله) إلى البحرين لقتال النجدات، ولكنها أخفقت أمام صمود الخوارج⁽²¹⁴⁾.

وأرسل الخليفة حملة جديدة قوية بقيادة (عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي) سنة (73هـ) والتقى جيش الخلافة بابي فديك - الذي أعقب نجدة على زعامة النجدات - فتمكن جيش الخلافة من سحق فرقة النجدات بصورة كاملة⁽²¹⁵⁾، فعادت البحرين إلى حضيرة الدولة الأموية.

ومما يلاحظ عن ولاية البحرين في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، ومنذ سنة (73هـ)، أن عددهم كان كبيراً وأن فترة توليهم كانت قصيرة⁽²¹⁶⁾، مما يعكس اضطراب أحوال هذه المنطقة، واستمرار حركات التمرد الخارجية فيها.

لقد هدأت الحركة الخارجية نسبياً بعد القضاء على النجدات سنة (73هـ) إلا أنها عادت ثانية، وبخاصة بعد أن بدأت قبيلة عبد القيس تؤيد الحركة الخارجية منذ أن انتقلت من اليمامة حيث جعلت البحرين مقرها الجديد⁽²¹⁷⁾. ففي سنة (78هـ/697م) وفي ولاية (محمد بن صعصعة الكلابي)، ثار بنو محارب في البحرين، ولم يتمكن (محمد ابن صعصعة) من القضاء عليهم فأنجده الخليفة بـ (إبراهيم بن عربي) والي اليمامة، فتمكن من هزيمة الخوارج⁽²¹⁸⁾.

(214) الطبري، تاريخ، ج5، ص20؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص345.

(215) الطبري، تاريخ، ج5، ص34؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص362.

(216) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299-300.

(217) فاروق، عمر، تاريخ الخليج العربي، ص109.

(218) البلاذري، أنساب، ج6، ورقة (142).

وفي سنة (79هـ/698م) تحرك الريان النكري ضد (محمد بن صعصعة) وانظم إليه متمرّد خارجي اسمه (ميمون) جاء من عُمان، وفشل (محمد بن صعصعة) في القضاء على الخوارج، فهرب خارج البحرين بعد مقتل قائد جيشه⁽²¹⁹⁾، لذلك اضطرّ الحجاج إلى إرسال (يزيد بن أبي كبشة السكسكي) على رأس جيش، تمكن من اخماد الحركة، ورجع إلى العراق⁽²²⁰⁾. فولى الحجاج (قطن بن زياد بن الربيع الحارثي)، الذي تحرك في عصره الخوارج بقيادة (داود بن عامر) فتمكن (قطن) من القضاء على الخوارج وقتل داود. وقد استمر قطن في ولايته على البحرين حتى وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان⁽²²¹⁾.

أما عُمان، فكانت قبل استرجاع عبد الملك للعراق، هي أيضاً هدفاً لفرقة النجدات الخارجية، فبعد نجاح الدعوة في البحرين، بعث نجدة جيشاً إلى عُمان بقيادة (عطية بن الأسود الحنفي)، الذي تمكن من قتل حاكمها (عباد بن عبد الله الجلندي)، واستولى على البلاد، ثم خرج منها، وعين نائباً عنه لإدارة عُمان، إلا أن سعيد وسليمان ابني عباد، تمكنوا من قتل النائب الخارجي، وأعادوا الأمر إلى آل الجلندي، وحاول عطية الحنفي العودة ثانية إلى عُمان، إلا أن مقاومة أهلها حالت دون ذلك⁽²²²⁾.

وبعد سنة (73هـ/692م) ازدادت عناية الخليفة عبد الملك بن مروان بعُمان، وبخاصة بعد تعيين الحجاج أميراً على العراق، إذ بعث (طفيل بن حصين

(219) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 276-277، 300؛ البلاذري، أنساب، ج 6، ورقة (142).

(220) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 278، 300؛ البلاذري، أنساب، ج 6، ورقة (142).

(221) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 278، 300، 315.

(222) البلاذري، أنساب، ج 6، ورقة (161)؛ ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 203.

البهرائي) فتمكن من اخراج (سعيد وسليمان) ابني الجلندي، فكتب إليه الحجاج أن يستخلف ويرجع إلى العراق فاستخلف (حاجب بن شيبه) فمات الأخير بها، فتمكن آل الجلندي من السيطرة على عُمان ثانية. ثم أرسل الحجاج جيشاً كبيراً بقيادة (القاسم بن سعر السعدي) إلا أنه قتل وصلب من قبل آل الجلندي، فأرسل الحجاج أخو القاسم (مجاج ابن سعر السعدي) فتمكن من استعادة عُمان، وعاقب قتلة أخيه، ثم صرف الحجاج (مجاج) عن عُمان⁽²²³⁾.

وفي سنة (79هـ/ 698م)، جمع الحجاج عُمان مع البحرين، وولى عليهما (محمد بن صعصعة الكلابي)، إلا أنه هرب أثر حركة (الريان النكري) ضده⁽²²⁴⁾، ثم بعث الحجاج بعد ذلك (سورة بن الحر) فتمكن من السيطرة على عُمان، فولاه الحجاج (سعيد بن حسان الاسيدي)⁽²²⁵⁾.

ويبدو واضحاً في عُمان في عصر عبد الملك، ان قوة نفوذ آل الجلندي كانت كبيرة، لأنهم ينتمون إلى قبائل الأزدي القوية المساندة لهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فان قوة تأثير الإدارة الأموية المتمثلة بولاتها كان ضعيفاً وغير مستقر وبخاصة في النصف الأول من فترة خلافة عبد الملك بن مروان، ويعود ذلك لانشغال الدولة بأمورها الداخلية والخارجية، وكذلك بُعد عُمان عن مركز الدولة الأموية. لكل ذلك فلم يكن الوالي الأموي يتمتع بنفوذ كبير في المناطق الداخلية خاصة حيث تتمركز القبائل القوية هناك، بل اقتصرَت السلطة الحقيقية للولاة على المناطق الساحلية. ولكن يلاحظ ازدياد قوة تأثير الإدارة الأموية بعد

(223) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص300؛ ابن حبيب، المحبر، ص484.

(224) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص276-277، 299-300؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص127.

(225) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص300.

سنة (78هـ) في كل اقاليم الخليج العربي بسبب القضاء على حركات التمرد الخارجية في الدولة واستتباب أمر الدولة العربية الإسلامية.

ج: خراسان والمشرق الإسلامي:

بعد أن تمكن الخليفة عبد الملك من قتل مصعب واسترجاع العراق سنة (72هـ/ 691م) بدأ يخطط لاسترجاع خراسان أيضاً، فبدأ بالأساليب الدبلوماسية -كعاداته مع كل منافسيه- فكتب إلى عبدالله بن خازم⁽²²⁶⁾ أن لك خراسان سبع سنين على أن تباع لي، فرفض عبدالله ذلك، مما دعا الخليفة أن يكتب إلى (بكير بن وشاح)، عامل ابن خازم على مرو بعصره على خراسان، ووعدده ومناه، فخلع بكير بن خازم، وعبدالله بن الزبير، ودعا إلى عبد الملك، فأجابه أهل مرو، فترك ابن خازم خراسان، إلا أنه قُتل بعد ذلك. فولى الخليفة عبد الملك (بكير بن وشاح) على خراسان لسنتي، (73 و74هـ/ 692-693م)⁽²²⁷⁾.

غير أن بكير في ولايته هذه لم ينجح في القضاء على الصراع القبلي وإيجاد التوازن بين القبائل، فقد حبس بكير (بحير بن ورقاء الصريمي)، فاختلفت تميم بينها، فصارت طائفة مع بكير وطائفة مع بحير⁽²²⁸⁾، لذلك خاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويغزوهم عدوهم من المشركين فكتبوا إلى الخليفة

(226) عبد الله بن خازم: يقال له صُحبة، كان شجاعاً، نزل خراسان، ووليها (عشر) سنين، وبعد سيطرة ابن الزبير على الحجاز، كتب إلى ابن خازم فأقره على خراسان، وبعد مقتل مصعب، =بعث إليه عبد الملك يطلب منه بيعته، فرفض، ثم قتل بعد ذلك من قيل وكيع بن الدورقية سنة (72هـ) ابن حجر، الاصابة، ج2، ص292-293.

(227) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص296-297؛ اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص16-17؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص21، 38.

(228) الطبري، تاريخ، ج5، ص38-39؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص367.

عبد الملك ((أن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه))⁽²²⁹⁾، فقال عبد الملك: ((خراسان ثغر المشرق وقد كان بها من الشر ما كان، لذلك فقد عزل الخليفة عبد الملك (بكير بن وشاح) وولى مكانه (أمية بن عبد الله) سنة 74هـ / 693م))⁽²³⁰⁾

ولما بلغ (بكير بن وشاح) قدوم أمية واليا على خراسان، صالح (بجير) وأخرجه من السجن. ونزل أمية في مدينة (مرو) وجعل (بكير) نائبه وجعل (بجير) على شرطته، ثم خرج مجاهداً الترك، وغنم أموالاً، ثم رجع، وكان بكير على مقدمة جيشه، فسبقه ودخل مرو وتحصن بها، ومنع أمية من دخول المدينة إلا أنهما تصالحا بعد أن أعطى أمية لبكير مبلغاً من المال وسوغه ما أخذه من أموال خراسان فدخل أمية مرو⁽²³¹⁾.

ولم يستطع أمية حل مشاكل خراسان الرئيسية، فقد استمر الصراع القبلي هناك، إذ أخبر صاحب الشرطة (بجير)، الوالي أمية، بأن بكير يريد الخروج عليه، فأرسل إليه أمية، وأقام البينة عليه بذلك، وسلمه إلى بجير فقتله، واستولى أمية على أمواله⁽²³²⁾، وبذلك عاد الصراع القبلي من جديد.

وكذلك فإن أمية لم يتمكن من تنفيذ سياسة الجهاد، فيذكر ابن اعثم أن أمية أحب الراحة والرفاهية وترك الغزو ولم يغزو أحداً، وأضر ذلك بأهل

(229) الطبري، تاريخ، ج 5، ص 3؛ ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 367.

(230) الطبري، تاريخ، ج 5، ص 3؛ ابن الاثير، الكامل، ج 4، ص 367.

(231) اليعقوبي، تاريخ، ج 3، ص 16-17؛ ابن اعثم، الفتوح، ج 6، ص 289-291.

(232) ابن اعثم، الفتوح، ج 6، ص 291-293؛ ينظر: الطبري، تاريخ، ج 5، ص 40.

خراسان فكتبوا إلى الخليفة عبد الملك يخبرونه بقعود أمية عن الجهاد⁽²³³⁾، كما كتبوا بمثل ذلك إلى الحجاج أيضاً⁽²³⁴⁾.

كما أن أمية كان مبدراً متلافا للأموال، فكان يقول: ((ان خراج خراسان لا يفي لمطبخي))⁽²³⁵⁾، فضلاً عن ان سياسته المالية كانت غير ناجحة⁽²³⁶⁾. لكل هذه الاسباب فقد عزل الخليفة عبد الملك أمية عن ولاية خراسان، وضمها مع سجستان وكل المشرق الإسلامي إلى ولاية العراق للحجاج بن يوسف سنة (78هـ/697م) كما ذكرنا ذلك سابقاً، فولى الحجاج على خراسان (المهلب بن أبي صفرة)، سنة (79هـ/698م)⁽²³⁷⁾.

ويبدو أن نجاح الدولة في القضاء على كل منافسيها في الداخل، وجّه الاهتمام نحو جهاد العدو في الثغور، فكانت خراسان بحاجة إلى رجل عسكري قوي كالمهلب، يمكن أن يحقق أهداف الدولة هناك، ومما يؤكد ذلك بقاء المهلب في ولايته حتى وفاته كما يمكن اعتبار هذا التعيين بمثابة تكريم لجهوده العسكرية.

(233) ابن اعثم، الفتوح، ج6، ص293.

(234) المصدر نفسه ج7، ص16.

(235) الطبري، تاريخ، ج5، ص132؛ الاصبهاني، الاغانى، ج4، ص281-282.

(236) البلاذري، أنساب، ص210-211 (اهلوت)؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص132.

(237) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص297؛ البلاذري، أنساب، ص210-211 (اهلوت)؛

اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص17، 21؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص135؛ ابن الأثير،

الكامل، ج4، ص448.

وفي ولاية المهلب هذه نشطت حركة الفتوحات، ففي سنة (80هـ / 699م) عبر المهلب إلى ما وراء النهر فنزل على كش⁽²³⁸⁾ وفتحها، ثم أرسل ابنه (يزيد) إلى قلعة السبل، وصالحه ملك الحُتل على فدية ورجع إلى المهلب⁽²³⁹⁾. كما وجه المهلب ابنه (حبيب) إلى بخارى وأخذ بعض القرى ورجع إلى أبيه⁽²⁴⁰⁾. ويبدو أن المهلب لم يكن راغباً في التقدم نحو السغد حيث طالّت مدة إقامته في كش ستين بعد أن صالح أهلها على فدية معينة، وظل هناك إلى أن وافاه الأجل سنة (82هـ / 701م)، فخلفه ابنه (يزيد) بأمر من الحجاج وذلك سنة (83هـ / 702م)⁽²⁴¹⁾، وكان يزيد مسرفاً في الأموال مبذراً لها⁽²⁴²⁾، كما كان صلفاً تها⁽²⁴³⁾.

وتمكن يزيد هذا من فتح قلعة نيزك بباذغيس⁽²⁴⁴⁾ وذلك سنة (84هـ / 703م)⁽²⁴⁵⁾. وفي سنة (85هـ / 704م) أمره الحجاج بفتح خوارزم، إلا أنه

(238) كش: قرية من قرى أصبهان، وتقع على ثلاثة فراسخ من جرجان. ياقوت، معجم، م4، ص462.

(239) الطبري، تاريخ، ج5، ص139-140؛ قدامة، الخراج، ص407؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص453.

(240) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص453.

(241) الطبري، تاريخ، ج5، ص139-140؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص473، 474-475.

(242) ينظر: الأبيهي، المستطرف، ج1، ص162، ج2، ص243.

(243) اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص21.

(244) باذغيس: وهي من أعمال هراة ومرو الروذ، تشتمل على عدة قرى. ياقوت، معجم، م1، ص318.

(245) الطبري، تاريخ، ج5، ص186؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص498.

اعتذر عن ذلك قائلاً: ((انها قليلة السلب شديدة الكلب))⁽²⁴⁶⁾. مما أدى إلى غضب الحجاج، وربما خاف يزيد بعد ذلك عاقبة هذا، فكتب إلى الحجاج يستأذنه في فتح خوارزم، ففتحها على الرغم من عدم موافقة الحجاج⁽²⁴⁷⁾.

ويبدو ان عدم تنفيذ يزيد بن المهلب لأوامر الحجاج، وسوء سياسته المالية، فضلاً عن ازدياد نفوذ آل المهلب في خراسان، كانت وراء عزل يزيد عن ولايته، فولى مكانه أخاه (المفضل) سنة (85هـ)، الذي تمكن من فتح (بادغيس) وأصاب منها مغنماً، ثم توجه إلى آخرون⁽²⁴⁸⁾ وشومان⁽²⁴⁹⁾ فظفر وغنم وقسم ما أصاب بين الناس، إذ لم يكن للمفضل بيت مال⁽²⁵⁰⁾. وظل المفضل يلي خراسان تسعة أشهر، حتى عزل وولي مكانه (قتيبة بن مسلم الباهلي)، فوصل إلى خراسان سنة (86هـ / 705م)⁽²⁵¹⁾، وهو القائد الشهير الذي سيكون له نصيب كبير في فتوح بلاد ما وراء النهر على عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك.

أما سجستان فقد ولى عليها الخليفة عبد الملك (عبدالله بن علي بن عدي بن حارثة)، ثم عزله، وضمها مع خراسان إلى (أمية بن عبدالله) سنة

(246) الطبري، تاريخ، ج5، ص193.

(247) الطبري، تاريخ، ج5، ص193.

(248) آخرون: بلدة تقع في خراسان قرب بادغيس. البلاذري، فتوح، ص409.

(249) شومان: بلدة بالصغانيان، من وراء نهر جيحون، وهو من الثغور الإسلامية. ياقوت،

معجم، م3، ص373، 374.

(250) الطبري، تاريخ، ج5، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص505.

(251) الطبري، تاريخ، ج5، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص505.

(74هـ / 693م)، فولاهها أمية ابنه (عبد الله) نحواً من ثلاث سنوات⁽²⁵²⁾. أي أن والي سجستان في هذه الفترة يُعين إما من الخليفة مباشرة أو من والي خراسان.

وقد بدأ (عبد الله بن أمية) ولايته بجهاذه للترك، فكان (رتبيل) ملك كابل يخشى المسلمين فحاول مصالحتهم، بارساله الهدايا، فأبى عبد الله قبول ذلك، فخلّى رتبيل البلاد لعبد الله، وذلك سنة (76هـ / 695م)، حتى إذا أوغل أخذ عليه الشعاب والمضايق، مما اضطر عبد الله إلى مصالحته، بعد أن دفع لرتبيل (ثلاثمائة ألف درهم)، وتعهد له بعدم الهجوم على بلاده⁽²⁵³⁾.

ويبدو أن فشل عبد الله بن أمية في جهاده ضد رتبيل، كان السبب في عزله فولى عبد الملك مكانه (محمد بن موسى بن طلحة) لكن قتله الخوارج بالاحواز قبل وصوله إلى سجستان، وذلك سنة (77هـ / 696م)⁽²⁵⁴⁾. ثم ضم الخليفة عبد الملك خراسان وسجستان إلى الحجاج، فولى الحجاج على سجستان (عبيد الله بن أبي بكرة) وذلك سنة (78هـ / 697م)⁽²⁵⁵⁾، وكان عبيد الله هذا مسرفاً في الأموال، لذلك كتب الخليفة عبد الملك إلى الحجاج: ((لا تستعمل عبيد الله بن أبي بكرة على الخراج والجباية فإنه أريحي))⁽²⁵⁶⁾ (أي مسرف في البذل والعطاء) وهذا يعني أن الحجاج أصبح هو الذي يعين الولاة على الأقاليم

(252) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 297؛ البلاذري، فتوح، ص 390.

(253) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 273؛ البلاذري، فتوح، ص 390؛ قدامة، الخراج، ص 396.

(254) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 297؛ أما الطبري فيجعل ذلك سنة (76 هـ). تاريخ، ج 5، ص 76.

(255) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 297؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 135.

(256) البلاذري، أنساب، ج 1، ص 499، 505.

التابعة لولايته كخراسان وسجستان في الغالب، وهي جزء من سياسة الخليفة عبد الملك في الاتجاه نحو اللامركزية الإدارية.

وعندما أمتنع (رتبيل) ملك الترك في سنة (79هـ / 698م) عن دفع مال الصلح إلى الحجاز أمر الحجاج واليّه (عبيد الله بن أبي بكر) بالتوجه لقتاله، إلا أنه لم يوفق في حملته هذه، إذ استشهد عدد كبير من جيشه فمات عبید الله كمداً، بعد أن استخلف ابنه (أبا بردعة). ثم أمر الحجاج الملهب أن يوجه رجلاً من قبله إلى سجستان فوجه، ((وكيع بن بكر بن وائل الأزدي))⁽²⁵⁷⁾.

وكان لفشل (عبيد الله) في قتال الترك، وقعه الكبير في نفس الحجاج، فيقول الطبري: ((أن ذلك بلغ من الحجاج كل مبلغ))⁽²⁵⁸⁾، فكتب إلى الخليفة يستطلع رأيه في أن يجهز جيشاً كبيراً، فأذن له فجهز الحجاج جيشاً كبيراً بلغ أكثر من (أربعين) ألفاً، وجعله تحت قيادة (عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث) الذي ولاه سجستان أيضاً سنة (80هـ / 699م). ودخل (ابن الأشعث) أراضى رتبيل وفتح أراضى واسعة لكنه اختلف مع الحجاج، وأعلن عصيانه وتمرده على الخليفة عبد الملك والحجاج، وأتجه نحو العراق، بعد أن استخلف على سجستان رجلاً من قبله⁽²⁵⁹⁾.

(257) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص297؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص136 - 138؛ ابن أعثم، الفتوح، ج7، ص112 - 114.

(258) تاريخ، ج5، ص138.

(259) ينظر: التفاصيل في ابن خياط، تاريخ، ج1، ص279 - 289، 297؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص140 - 142، 145 - فما بعد، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص454 - 456، 461 - فما بعد.

تمكن الحجاج من هزيمة ابن الأشعث، فهرب إلى سجستان ومنها إلى رتبيل
فمات هناك⁽²⁶⁰⁾.

وبعد ذلك صالح الحجاج رتبيل، وولى على سجستان عدداً من الولاة، لا
تذكر المصادر لهم أعمالاً إدارية مهمة⁽²⁶¹⁾، ثم ضمها الحجاج بعد ذلك مع
خراسان إلى (قتيبة ابن مسلم الباهلي)، فولى قتيبة عليها أخاه (عمرو بن مسلم)
ثم ولى عليها بعده (عبدربه بن عبد الله بن عمر الليثي) فوليها سنة
(86هـ / 705م) وبعض سنة (87هـ / 705م)⁽²⁶²⁾.

أما السند ففي سنة (75هـ / 694م) استعمل الخليفة عبد الملك عليها
(سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي)⁽²⁶³⁾، فخرج عليه (معاوية ومحمد) ابنا
الحارث العلافان فقتلاه، وغلباً على البلاد⁽²⁶⁴⁾، فولى الحجاج ((مجاة بن سعر
التميمي))⁽²⁶⁵⁾، فغلب على ذلك الثغر وفتح أماكن من قندايل، ومات مجاعة
بعد سنة من ذلك، ثم ولاها الحجاج (محمد بن هارون بن ذراع النميري) فلم
يزل عليها حتى توفي الخليفة عبد الملك⁽²⁶⁶⁾.

(260) ينظر مصادر الحاشية رقم (1).

(261) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 297 – 298.

(262) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 298؛ الطبري، تاريخ، ج 5، ص 192.

(263) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 276، 299؛ إلا أنه يذكر أنه ولي سنة (78 هـ /

697م)، اليعقوبي. تاريخ، ج 3، ص 21؛ ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 380.

(264) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 380.

(265) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 299؛ قدامة، الخراج، ص 416؛ ابن الأثير، الكامل، ج 4،
ص 380.

(266) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 299؛ قدامة، الخراج، ص 416.

رابعاً: إدارة الجزيرة الفراتية وأرمينيا وأذربيجان:

تقع الجزيرة الفراتية بين نهري دجلة والفرات، وتشتمل على ديار ربيعة وديار مضر، وديار بكر، وتمتد على نهر الفرات من شمال ملطية بمسيرة يومين شمالاً إلى الأنبار جنوباً وعلى دجلة من تكريت جنوباً إلى شمال جزيرة ابن عمر شمالاً⁽²⁶⁷⁾.

وتقع أرمينيا وأذربيجان إلى الشرق والشمال الشرقي للجزيرة الفراتية⁽²⁶⁸⁾.

وتقسم أرمينية إلى قسمين، قسم داخلي هو (أرمينية الداخلة) وآخر خارجي هو (أرمينية الخارجة) وقصبة أرمينيا دibil التي تقع في أرمينية الداخلة، وفي دibil دار الإمارة، ومسجد جامع⁽²⁶⁹⁾. ومن مدن أرمينيا المهمة: شمشاط، وقاليقالا، وأرجيش، وباجنيس، والبسفرجان، وجرزان، والسيسجان⁽²⁷⁰⁾.

وأما أذربيجان، فيحدها من الشمال والشمال الشرقي نهر الكر، ومن الشرق كيلان وموقان، ومن الجنوب إقليم الجبال⁽²⁷¹⁾. وأهم مدن أذربيجان هي: تبريز والمراغة، وادريل⁽²⁷²⁾.

(267) الاصطخري، المسالك والممالك، ص 52؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج 1، ص 208.

(268) لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 114.

(269) ابن حوقل، صورة الأرض، ج 2، ص 342، 343.

(270) البلاذري، فتوح البلدان، ص 197.

(271) لسترانج، بلدان، ص 114 – 115.

(272) قدامة، الخراج، ص 174، 378 – 381؛ لسترانج، بلدان، ص 195 – فما بعد.

وكانت الموصل في خلافة عبد الملك بن مروان، أيضاً جزءاً من ولاية الجزيرة الفراتية⁽²⁷³⁾، وكانت شهرزور وحديثة من أعمال الموصل⁽²⁷⁴⁾.

تُعد الجزيرة الفراتية، ذات أهمية متميزة بالنسبة للدولة الأموية، فهي تشكل موقعاً استراتيجياً في مواجهة أعداء الدولة الخارجيين من الخزر والبيزنطيين خاصة باعتبارهم العدو الدائم، والخطر المستمر على الدولة فضلاً عن أن سواحل الدولة الطويلة كانت مكشوفة أمام الأسطول البيزنطي، وقرب العاصمة دمشق من الدولة البيزنطية. ومن جهة أخرى كانت تشكل حلقة الوصل بين شرق الدولة الإسلامية وغربها، وتقع على طريق التجارة الرئيس القديم، فضلاً عن أهمية الجزيرة الاقتصادية ذات الانتاج الوافر.

وقد أدرك الخليفة عبد الملك أهمية الجزيرة هذه فعمل جاهداً على تنظيمها لتقف بمواجهة الأعداء، فشجع استيطان العرب هناك وأقطعهم الأراضي⁽²⁷⁵⁾، فأمر بنقل بعض القبائل القيسية إلى هناك⁽²⁷⁶⁾، كما نقل بعضاً من قبائل الأزد وربيعة من البصرة إلى الموصل وحديثة⁽²⁷⁷⁾، كما نظم الإدارة فيها، إذ فصلها عن فنسرين وجعلها فضلاً عن أرمينيا وأذربيجان، إقليم إدارياً مستقلاً⁽²⁷⁸⁾. ولاهيمتها فقد عين على إدارتها أخاه (محمد بن مروان) سنة (73 هـ / 692 م)

(273) البلاذري، فتوح، ص 327؛ قدامة، الخراج، ص 282.

(274) البلاذري، فتوح، ص 328، 329.

(275) البلاذري، فتوح، ص 181 – 182؛ قدامة، الخراج، ص 303 – 304، 307.

(276) E.i: vol.I (New edition). P.76.

(277) اليعقوبي، تاريخ، ج 3، ص 17؛ الحميري، الروض المعطار، ص 190.

(278) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 301؛ البلاذري، فتوح، ص 137 – 138؛ ياقوت، معجم، م 1، ص 103.

والذي يُعد من أقدر الولاة الأمويين، واوكل اليه مهمة مقاتلة الأعداء من البيزنطيين والخزر، والقيام بفتح المناطق المحاذية للجزيرة⁽²⁷⁹⁾، لذلك قطع الخليفة ما كان يدفعه من أموال للبيزنطيين⁽²⁸⁰⁾. أما الخطوة التنظيمية الأخرى التي قام بها الخليفة هناك فكانت، اصلاح وتنظيم الضرائب، والذي كان في بعض جوانبه يهدف إلى إعادة تنظيم الإدارة المالية لتعزيز صمود الجزيرة الفراتية بوجه الأعداء⁽²⁸¹⁾.

وكانت هذه الولايات (الجزيرة، وأرمينيا، وأذربيجان) فضلاً عن الموصل غالباً ما تجمع تحت أمرة أمير واحد، ولا سيما في عصر عبد الملك بن مروان، إلا أن المصادر لا تزودنا بالمعلومات الوافية عن إدارة هذا الإقليم.

ويبدو أن محمد بن مروان، هو الذي كان يعين ولاية على أرمينيا⁽²⁸²⁾. أما الموصل فإن الخليفة عبد الملك بن مروان، هو الذي كان يعين ولايتها في الغالب⁽²⁸³⁾.

وقد شهدت الأراضي الشمالية والشرقية لهذا الإقليم نشاطاً عسكرياً وعمرانياً واسعاً، تمثل في فتح العديد من المدن والحصون، وبناء وتعمير البعض

(279) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص301؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص185 - 186؛

الطبري، تاريخ، ج5، ص35؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص361، 363.

(280) ينظر الفصل الأول ((أسباب ضرب النقود)).

(281) ينظر الفصل الثاني ((الجزيرة الفراتية)).

(282) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص292.

(283) البلاذري، فتوح، ص328؛ أنساب، ص189. (أهلوت)، قدامة، الخراج، ص382.

الأخر. فقد بدأت الصوائف تخرج بشكل منتظم إلى الأراضي البيزنطية، بقيادة (محمد بن مروان) وغيره من الأمراء.

ففي سنة (75هـ / 694م) توجه محمد بن مروان يقود جيش الصائفة لمواجهة الروم في مرعش فهربت الروم منه⁽²⁸⁴⁾. وفي سنة (77هـ / 696م) قاد الخليفة عبد الملك ابن مروان الجيش بنفسه، وفتح مدينة هرقلية من بلاد الروم⁽²⁸⁵⁾. وفي سنة (81هـ / 700م) وجه الخليفة عبد الملك جيشاً بقيادة ابنه عبد الله بن عبد الملك، ففتح قاليقلا⁽²⁸⁶⁾، كما تمكن في سنة (82هـ / 701م) من فتح حصن (سنان) من ناحية المصيصة⁽²⁸⁷⁾. وفي العام نفسه بعث الخليفة عبد الملك أخاه (محمد بن مروان) إلى أرمينية فلقية أهلها فهزمهم ثم سألوه الصلح، فصالحهم وولى عليهم (نبيح بن عبد الله العنزي) فغدروا به وقتلوه⁽²⁸⁸⁾، وفي السنة التالية (83هـ / 703م) بعث الخليفة أيضاً أخاه (محمد بن مروان) إلى أرمينية فصالحوه وأستعمل عليهم (أبا شيخ بن عبد الله الغنوي)، و (وعمر بن الصدى الغنوي) فغدروا بهما وقتلوهما⁽²⁸⁹⁾. وفي سنة (84هـ / 703م) توجه إلى الصائفة (عبد الله بن عبد الملك) ففتح (المصيصة) وبنى حصنها وأسكن بها (ثلثمائة)

(284) البلاذري، أنساب، ج5، ص185 – 186؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص40

(285) ابن قتيبة، المعارف، ص215؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص310، ابن العماد، شذرات، ج1، ص84.

(286) الطبري، تاريخ، ج5، ص143؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص457.

(287) ابن قتيبة، المعارف، ص215؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص185.

(288) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص288 – 289.

(289) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص290.

مقاتل، ولم يكن المسلمون قد سكنوها قبل ذلك، كما بنى مسجدها⁽²⁹⁰⁾. وفي سنة (85هـ/ 704م) توجه (محمد بن مروان) إلى أرمينية فصاف بها وشتى ورجع فولى عليها (عبد الله بن حاتم بن النعمان الباهلي)، فمات عبد الله هذا، فولى محمد بن مروان مكانه أخاه (عبد العزيز بن حاتم) الذي بنى، مدينة أربيل، وبرذعه، والنشوى⁽²⁹¹⁾.

ولّى الخليفة عبد الملك على الموصل ((يوسف بن الحكم بن أبي العاص))⁽²⁹²⁾. ثم ولاها ابنه (سعيد بن عبد الملك) وهو الذي حفر النهر، المسمى (نهر سعيد)، كما بنى سور الموصل، وفرش بعض أرضها بالحجارة⁽²⁹³⁾.

ومن الجدير بالملاحظة أن فتوحات العرب المسلمين في أطراف الجزيرة في هذه الحقبة كان يرافقها عمليات بناء للمدن والحصون، وإسكان الناس فيها، مما يدل على اعتناء الخليفة بهذا الإقليم من جهة، وأن العرب المسلمون كانوا يهدفون إلى فتح البلاد وبنائها حضارياً، من جهة أخرى.

ومما يؤكد اهتمام الخليفة بهذا الإقليم وشؤونه، أنه كان يختار أمراءه، - حين يوجههم لقتال العدو - ممن يتصفون بالفطنة والذكاء، ومعرفة الأوضاع قبل التوجه إليها، كما يزوده بالتعليمات والوصايا التي يجب إتباعها، فقد أوصى أحد أمرائه قائلاً له: ((انت تاجر الله لعباده فكن كال مضارب الكيس... ولا

(290) البلاذري، فتوح، ص169؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص185؛ قدامة، الخراج، ص307.

(291) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص292؛ ابن قتيبة، المعارف، ص215؛ الذهبي، العبر، ج1، ص95.

(292) البلاذري، أنساب، ص189. (أهلوت).

(293) البلاذري، فتوح، ص327 - 328؛ قدامة، الخراج، ص382.

تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة، وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك ((⁽²⁹⁴⁾.

خامساً: إدارة مصر:

كانت مصر بعد تحريرها: مقسمة إدارياً إلى قسمين رئيسين هما: مصر العليا، ومصر السفلى، وكان هذان القسمان بدورهما يقسمان إلى أقسام أو كور⁽²⁹⁵⁾، وكان في مصر حينذاك (ثمانون) كورة، والكورة هي الأخرى مقسمة إلى قرى⁽²⁹⁶⁾.

وعندما آلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان سنة (65هـ / 684م) أقر أخاه (عبد العزيز بن مروان) على ولاية مصر على صلاتها وخراجها، كما أقر (عابس بن سعيد المرادي) على الشرط والقضاء⁽²⁹⁷⁾. وقد أوصى الخليفة أخاه عبد العزيز حين ولاه مصر بوصية تنم عن عقلية إدارية كبيرة، وسياسة حكيمة، مبيناً له الأسس الناجحة لإدارة ولايته وكيفية اختيار موظفيه، قائلاً له: ((أبسط بشرك وألف كنفك وأثر الرفق في الأمور فانه أبلغ بك، وأنظر حاجبك فليكن من خير أهلك... وإذا خرجت إلى مجلسك فأبدأ بالسلام... وإذا انتهى اليك

(294) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 1، ص 109؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 1، ص 132.

(295) الكورة: المدينة والصقع، والجمع كور، ابن منظور، لسان العرب، م 5، ص 156؛ حرف (الراء)، مادة (كور).

(296) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 152 - 153؛ سيدة، مصر في عصر الولاة، ص 24.

(297) الكندي، ولاية مصر، ص 70؛ الولاة والقضاة، ص 48 - 49.

مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فأنها تفتح مغاليق الأمور، وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته ((⁽²⁹⁸⁾.

وقد اعتمد عبد العزيز بن مروان، في إدارته لمصر، على عدد من الموظفين، ومنهم صاحب الشرطة، فكان يعين ويعزل من قبل عبد العزيز، وكثيراً ما كان صاحب الشرط في مصر يجمع له مع الشرط القضاء، وأحياناً وظائف أخرى⁽²⁹⁹⁾، أي أن هذه كانت إحدى الميزات الإدارية المهمة في مصر في عصر عبد الملك، وربما كان عبدالعزيز يفعل ذلك رغبة منه في تسهيل سير أعمال الإمارة وسرعة تنفيذ الأحكام. وكان عبد العزيز بن مروان حين خروجه من القسطنطينية، يجعل صاحب الشرطة نائباً عنه، فيحكم الولاية بغيابه، وأكثر من هذا كان بإمكانه القيام بأعمال مهمة فحين وفد عبد العزيز إلى الشام على الخليفة استخلف صاحب الشرطة (عابس بن سعيد المرادي) مكانه، ففرض عابس هذا الفرائض وزاد في عطاء الجند، فأقر عبد العزيز عند رجوعه هذه الزيادة، إذ قال له: ((ما كنا لنرد عليك شيئاً فعلته))⁽³⁰⁰⁾.

وكذلك حين خرج عبد العزيز خرجته الثانية إلى الشام سنة (75هـ/ 694م) استخلف على مصر، صاحب الشرطة ((زياد بن حنطة بن يوسف التجيبي))⁽³⁰¹⁾.

(298) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب، ص 126.

(299) ينظر الكندي، الولاية والقضاء، ص 313 - 327.

(300) الكندي، الولاية والقضاء، ص 313؛ ولاية مصر، ص 70 - 71.

(301) الكندي، الولاية والقضاء، ص 51؛ ولاية مصر، ص 73.

وبهذا يظهر لنا واضحاً الأهمية الكبيرة لصاحب الشرطة في مصر، إذ كان بمثابة نائب للأمير، وبخاصة حين يجمع له الشرط والقضاء.

وكان للقضاة نصيب مهم في إدارة مصر، إذ يتم تعيينهم وعزلهم من قبل الأمير وأول من تولى القضاء في ولاية عبد العزيز هو (عابس بن سعيد) وكان على الشرط أيضاً، وبقي في منصبه حتى وفاته سنة (68هـ / 687م)⁽³⁰²⁾، ثم ولي بعده (بشير بن النضر) حتى وفاته سنة (69هـ / 688م)⁽³⁰³⁾، وولي بعده (عبد الرحمن بن حجيرة) وهو أشهر من تولى قضاء مصر على عصر عبد العزيز، وكان من أفقه الناس، دَوَّنَ أقضيته في سجلات خاصة، وجمع له القضاء، والقصص وبيت المال وكان رزقه في السنة (ألف) دينار، وبقي في منصبه حتى وفاته سنة (83هـ / 702م)⁽³⁰⁴⁾، ثم ولي بعده (مالك بن شراحيل الخولاني) ثم عزل سنة (84هـ / 703م) وولي مكانه (يونس بن عطية)⁽³⁰⁵⁾، ثم عزله عبد العزيز، وولى مكانه (عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج) وهو ((أول من نظر في أموال اليتامى وضمن عريف كل قوم أموال يتامى تلك القبيل، وكتب بذلك كتاباً))⁽³⁰⁶⁾.

لقد اتخذ عبد العزيز حرساً خاصاً به يتكون من (ثلثمائة) رجل، وجعل عليه ((جناب بن مرثد بن هاني الرعيني))⁽³⁰⁷⁾، كما كان عبد العزيز هو المسؤول عن الجيش في مصر وشؤونه ويعين قاداته، ويرسل الحملات، ثم أمتد

(302) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 233 – 234؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص 313.

(303) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 235؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص 313.

(304) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 235؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص 314 – 317.

(305) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 236؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص 320 – 324.

(306) الكندي، الولاة والقضاة، ص 325.

(307) الكندي، ولاة مصر، ص 71.

دور عبد العزيز العسكري إلى خارج مصر، حيث أسهم بشكل واضح في قتال عبد الله بن الزبير إذ أرسل سنة (72هـ / 691 م)، بعثاً في البحر يتكون من (ثلاثة آلاف) رجل، وجعل عليهم (مالك بن شراحيل الخولاني) وفيهم عبد الرحمن بن مجنس، قاتل عبد الله بن الزبير، لذلك فرض له عبد العزيز في الشرف⁽³⁰⁸⁾. وكذلك كان عبد العزيز مسؤولاً عن مرابطة الجند في الأسكندرية، وهو الذي يعين القادة عليهم⁽³⁰⁹⁾.

ولم تقتصر مسؤولية عبد العزيز الإدارية على مصر فقط، بل امتدت إلى أفريقية أيضاً، فهو المسؤول عن إدارة أفريقية، كما كان يعين عليها الولاة ويعزلهم في بعض الأحيان، كما فعل حين عزل حسان بن النعمان سنة (78 هـ / 697 م) وولى مكانه ((موسى بن نصير))⁽³¹⁰⁾، فأقر الخليفة هذا التعيين وكتب إلى عبد العزيز: ((أما بعد... وعلم الأمر الذي له عزلته... وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فأستوص بحسان خيراً فإنه ميمون الطائر والسلام))⁽³¹¹⁾.

وهذا يعني ان صلاحيات عبد العزيز الإدارية كانت واسعة، فكان شبه مستقل في ولايته، وربما كان ذلك بسبب كون عبد العزيز هو أخو الخليفة، وولي عهده، كما كان عبد الملك يرغب في أبقاء حسن العلاقة مع أخيه، لأن مصر كانت مفتاح الطريق إلى أفريقية وما بعدها.

(308) الكندي، ولاية مصر، ص72.

(309) الكندي، ولاية مصر، ص72 – 73، ص74، 75.

(310) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص276؛ الكندي، ولاية مصر، ص74.

(311) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص52 – 53.

وحين ولي عبد العزيز مصر، كان ((خراجها وجايتها له))⁽³¹²⁾، أي انه لم يكن يرسل شيئاً من خراج مصر إلى بيت المال في دمشق، بل كان يصرف أكثره على أمور الولاية، لذلك تمكن بالقيام بالعديد من الأعمال الإدارية والعمرانية المهمة، كما كان ينفق أموالاً طائلة لإطعام الناس، فكانت له: ((ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره، وكانت له مئة جفنة يطاف بها على القبائل، تحمل على العجل إلى قبائل مصر))⁽³¹³⁾.

وقد بني الدار المذهبة سنة (67 هـ / 686 م) وهي التي تدعى بسوق الحمام وتقع غربي المسجد الجامع⁽³¹⁴⁾، وبني قنطرة على خليج أمير المؤمنين على نهر النيل، ويقال أنه أنفق على ذلك (مليون) دينار⁽³¹⁵⁾، كما بنى مدينة حلوان وأخذها حاضرة لإمارته وذلك بعد حدوث الطاعون سنة (70 هـ / 689 م) فجعل بها الحرس والأعوان والشرط، كما بنى الدور والمساجد وأحكم المدن، وغرس أنواع الأشجار⁽³¹⁶⁾. واعداد تعمير وبناء المسجد الجامع في مصر وذلك سنة (77 هـ / 696 م)⁽³¹⁷⁾، لكل ذلك فقد عمرت مصر في ولاية عبد العزيز عمراناً كبيراً⁽³¹⁸⁾.

(312) الكندي، ولاية مصر، ص 77.

(313) الكندي، ولاية مصر، ص 73.

(314) المصدر نفسه، ص 70؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج 3، ص 331؛ مآثر، ج 1، ص 130.

(315) ابن البطريق، التاريخ، ص 40؛ القلقشندي، مآثر، ج 1، ص 130.

(316) الكندي، ولاية مصر، ص 71؛ المقرئ، خطط، ج 1، ص 302؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 185.

(317) الكندي، ولاية مصر، ص 73.

(318) كرد علي، الإسلام والحضارة، ص 163.

وتوفي عبد العزيز في جمادي الأولى سنة (86هـ / 705م)، فدامت ولايته أكثر من عشرين عاماً⁽³¹⁹⁾ فولى الخليفة عبد الملك على مصر ابنه (عبد الله) وجعله على صلاتها وخراجها ودخل مصر في جمادي الآخر سنة (86 هـ)⁽³²⁰⁾.

وأوصى الخليفة عبد الملك ابنه أن يستبدل عمال عبد العزيز وأصحابه فاستبدل بهم آخرين، لموقف عبد العزيز من ولاية العهد⁽³²¹⁾. وجعل على الشرط (عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة) وجمع له القضاء والشرط⁽³²²⁾.

ومن الانجازات الكبيرة التي تمت في ولاية عبد الله على مصر هي تعريب دواوين الخراج فيها بأمر من الخليفة عبد الملك، إذ عزل (أثيناس) عن الديوان، وعين بدله عربي من أهل حمص وهو (ابن يربوع الفزاري) فعرب الأخير دواوين خراج مصر⁽³²³⁾. كما قام عبد الله ببناء المسجد المعروف بمسجد عبد الله⁽³²⁴⁾.

(319) الكندي، ولاية مصر، ص 77؛ المقرئزي، الخطط، ج 1، ص 302.

(320) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 122؛ الكندي، ولاية مصر، ص 79؛ المقرئزي، الخطط، ج 1، ص 302.

(321) الكندي، ولاية مصر، ص 79؛ المقرئزي، الخطط، ج 1، ص 302؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 210.

(322) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 237 – 238؛ الكندي، ولاية مصر، ص 79.

(323) الكندي، ولاية مصر، ص 80؛ المقرئزي، الخطط، ج 1، ص 98، 302؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 1، ص 210.

(324) الكندي، ولاية مصر، ص 80؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 1، ص 210.

ويذكر الكندي بأن أوضاع مصر الاقتصادية في ولاية عبد الله لم تكن حسنة فيقول: ((وفي ولايته غلت الأسعار بمصر... فتشاءم الناس وهي أول شدة رأوها))⁽³²⁵⁾.

وبعد أشهر من ولاية عبد الله توفي عبد الملك، فخلفه ابنه الوليد، فأقر أخوه عبد الله على ولاية مصر⁽³²⁶⁾.

سادسا: ادارة افريقية:

كانت أوضاع افريقية الادارية والسياسية، قبل تولي عبد الملك الخلافة، مضطربة نتيجة عدم استقرار الاحوال السياسية في الحجاز والعراق خاصة، فارتد عن الإسلام قسم من البربر في افريقية⁽³²⁷⁾، كما تمكن كُسيْلَه ومن معه من البربر والروم من دخول القيروان، فسيطر كُسيْلَه على شمال افريقية⁽³²⁸⁾.

لذلك فقد اجتمع اكابر المسلمين، وسألوا الخليفة عبد الملك تخلص القيروان والمسلمين من يد كُسيْلَه والروم، واتفق رأيهم على تولية (زهير بن قيس البلوي)، (62-69هـ / 681-688م)، الذي كان آنذاك مقيماً بركة مرابطاً مع أهل افريقية⁽³²⁹⁾. فأمر عبد الملك زهيراً بالخروج سنة (69هـ) إلى افريقية، لينقذ القيروان، وامده بأشراف العرب وافرغ عليهم أموال مصر، فتمكن زهير

(325) الكندي، ولاية مصر، ص 80، المقرئزي، الخطط، ج 1، ص 302؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 1، ص 210.

(326) الكندي، ولاية مصر، ص 80.

(327) الناصري، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص 75.

(328) القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص 46.

(329) القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص 47؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 18-19.

من قتل كسيله، ودخول القيروان، ثم تركها بعد تنظيم إدارتها، لكن زهيراً استشهد في السنة نفسها (69هـ)، أثناء عودته إلى برقة⁽³³⁰⁾، فأهم ذلك الخليفة عبد الملك والمسلمين، كما شغل عن أفريقية أيضاً بسبب ظروف الدولة الداخلية، فاضطرب أمر أفريقية واشتعلت الفتن وظهرت الكاهنة⁽³³¹⁾.

وبعد عام الجماعة (73هـ/692م)، تفرغ الخليفة عبد الملك لأمر أفريقية، فطلب المسلمون منه النظر فيمن يرسله لها، فقال لهم: ((ما أعرف أحداً كفوءاً لأفريقية كحسان بن النعمان الغساني))⁽³³²⁾، فعقد له على أفريقية وجهزه بجيش قوامه (اربعون) ألف مقاتل، لم يدخل أفريقية جيش مثله، وأمره بالنهوض إلى أفريقية قائلاً له: ((اني أطلقت يدك في أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك، واعط الناس واخرج إلى بلاد أفريقية على بركة الله))⁽³³³⁾، وتمكن حسان من دخول قرطاجنة وتدميرها، وطارد الروم في صطفورة وبنزرت وهزمهم فعاد إلى القيروان، ((ثم التقى بالكاهنة فخرس النزال معها، فسيطرت على كل أفريقية، وأساءت السيرة مع أهلها، فكتب الخليفة لحسان بالمقام حيث يأتيه أمره

(330) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 201-203؛ المالكي، رياض النفوس، ص 29-30؛ القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص 57-58؛ الناصري، الاستقصا، ج 1، ص 81-83.

(331) المالكي، رياض النفوس، ص 29-30؛ القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص 47-53؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 21.

(332) القيرواني، تاريخ أفريقية، ص 54؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 22.

(333) ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 369؛ ابن الأبار، الحلة السراء، ج 2، ص 332؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 22.

فأقام ببرقة (خمس سنوات)، وبنى فيها القصور المعروفة باسم (قصور حسان)⁽³³⁴⁾.

وبعد أن فرغ عبد الملك من أمر الخوارج سنة (78هـ / 697م)، سير الجنود والأموال إلى حسان فأمره بقتال الكاهنة، وتمكن من تحرير مدن: قابس، وقفصة، وقسطلة، ونفزاوة، ثم قتل الكاهنة، فحرر شمال أفريقية كلها، وعمل جاهداً على نشر الإسلام فيها⁽³³⁵⁾، كما دوّن الدواوين، ونظم الضرائب على أهل البلاد، وبنى مدينة تونس، وأسس فيها المسجد الجامع، ودار الامارة، وثكنات للجنود⁽³³⁶⁾. كما أنشأ بتوجيه من الخليفة عبد الملك أول دار لصناعة السفن والآلات البحرية في الإسلام، في مدينة تونس⁽³³⁷⁾.

ويقول خليفة بن خياط: ((وفي سنة (78هـ / 697م) قفل حسان بن النعمان الغساني وقدم على عبد الملك فردّه إلى أفريقية وزاده طرابلس))⁽³³⁸⁾، فسأله عبد العزيز أن لا يعرض لطرابلس فأبى حسان ذلك، فعزله عبد العزيز،

(334) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص370؛ ابن الأبار، الحلة السراء، ج2، ص332؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص26.

(335) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص370-372.

(336) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص201؛ المالكي، رياض النفوس، ص36؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص83-84؛ القيرواني، تاريخ أفريقية، ص64.

(337) المالكي، رياض النفوس، ص32؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص83-84.

(338) تاريخ، ج1، ص276؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ص57.

وولي بدله (موسى بن نصير)، مولى لحم أمر أفريقية كلها⁽³³⁹⁾. فأقر الخليفة عبد الملك هذا التعيين⁽³⁴⁰⁾.

ويبدو ان اضافة طرابلس لولاية حسان، كان بمثابة تكريم من الخليفة لجهود حسان وانتصاراته العسكرية في تحرير شمال أفريقية وقتل الكاهنة. كما كان سبب سؤال عبد العزيز لحسان ان لا يعرض لطرابلس، لأنه كان عليها مولى لعبد العزيز بن مروان⁽³⁴¹⁾.

ويستتج من هذا عظم مكانة عبد العزيز، وقوة نفوذه وتأثيره في أفريقية. وعمل موسى بن نصير في ولايته على أفريقية باتجاهين الأول تحرير الأراضي هناك، والثاني العمل على نشر الدين الإسلامي بين السكان. فقد بدأ موسى جهوده العسكرية بتحرير مدينة (زغوان) ونواحيها، فكتب بذلك إلى عبد العزيز بن مروان فكتب عبد العزيز بدوره إلى الخليفة عبد الملك واجابه الخليفة، ثم أرسل من يتسلم الغنائم⁽³⁴²⁾. كما تمكن موسى من تحرير (هواره) و (رناتة) و(كتامة) و(صهناجة)⁽³⁴³⁾، فسكن ذلك من عبد الملك بعض ما كان يجده على موسى⁽³⁴⁴⁾. ثم كرم الخليفة موسى لجهود العسكرية في التحرير، فكتب إليه يعلمه أنه قد فرض لجميع أولاده فيء (مائة) دينار، كما زاد عطاء موسى نفسه

(339) الكندي، ولاية مصر، ص 74.

(340) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص 276؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج 2، ص 52-53.

(341) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج 2، ص 49.

(342) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 32.

(343) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 203-204؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج 2،

ص 52-54؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 34.

(344) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 203-204.

إلى المتتين، وفرض في مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممن معه (خمسمائة) رجل، ثلاثين، ثلاثين، وكتب إليه ان أمير المؤمنين أمر لك بـ (المائة ألف) التي أغرمها⁽³⁴⁵⁾ لك فخذها من قبلك من الأخماس⁽³⁴⁶⁾.

أما الاتجاه الثاني الذي عمل فيه موسى بن نصير والذي لم يكن أقل شأنًا من التحرير، بل استكمالاً للهدف، فهو نشر الإسلام بين السكان وتعميق جذوره فيهم عن طريق تعليمهم القرآن وفرائض الإسلام حيث ((ترك خلقاً كثيراً من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الإسلام))⁽³⁴⁷⁾، فنجح في جلبهم إلى حظيرة الإسلام والدولة العربية. وظل موسى بن نصير على ولاية أفريقية إلى ما بعد وفاة عبد الملك، فاستخلف ابنه الوليد، فأقر موسى على ولاية أفريقية⁽³⁴⁸⁾.

(345) كان الخليفة عبد الملك قد جعل موسى بن نصير، معاوناً ومستشاراً لبشر بن مروان حين ولاه العراق، ثم اتهمه بعد ذلك باختلاس أموال البصرة، لذلك فقد أغرمه الخليفة (100) ألف درهم. ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج2، ص48-49.

(346) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج2، ص56.

(347) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص403.

(348) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص316.

الخاتمة

تناول هذا الكتاب ((الدولة العربية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ / 684-705م) وهو دراسة في الاصلاحات المالية والتنظيمات الإدارية))، ذلك العصر الذي يُعد من العصور التاريخية المتميزة لما تحقق فيه من انجازات كبرى ضمن حركة التاريخ العربي الاسلامي ذات نتائج كبيرة لا زالت مؤثرة وفاعلة إلى اليوم، بذلت جهدي في تبيانها، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

1. لقد نجح الخليفة عبد الملك بن مروان، في إصلاح وتعريب النقود. وبذلك قضى على طريقة التعامل بالنقود الأجنبية، وأوجد نظاماً نقدياً عربياً إسلامياً خالصاً، وخالياً من المؤثرات الأجنبية، فحقق بذلك السيادة الاقتصادية والسياسية للدولة العربية الإسلامية.

2. إنَّ عملية إصلاح وتنظيم الضرائب (الجزية والخراج)، كان الهدف الأساس منه هو معالجة النقص في مالية الدولة، نتيجة حدوث تحولات اقتصادية واجتماعية واسعة النطاق، وظهور مستجدات سياسية مؤثرة، إلا أنه خلال عملية الإصلاح والتنظيم هذه، حصلت أخطاء، وبخاصة في خراسان والعراق، قبل ولاية الحجاج وأثناءها، إذ فرضت الجزية على بعض المسلمين الجدد المهاجرين إلى المدن والأمصار، ولكن هذه الحالات كانت استثنائية، لا قواعد عامة وسياسة متبعة، كما كان للدهاقين دور كبير فيها، فضلاً عن أن بعضها جاء ضمن خطة الدولة لتنفيذ إصلاح زراعي واسع، مثلما حاولت الدولة إعادة فرض ضريبة الخراج على الأراضي التي كانت في الأصل خراجية وحُولت إلى عشرية بغض النظر عن مالکها، أي أن سياسة الدولة لم تكن موجهة ضد الموالي وأهل الذمة، بل كانت سياسة عامة، الهدف منها

زيادة موارد بيت المال لدولة بناء وحرب. كما رافق هذا الإصلاح والتنظيم، إصلاح زراعي واسع، وبخاصة في العراق والجزيرة الفراتية ونواحي الموصل، تمثل في حفر العديد من الأنهار وشق القنوات والترع وإقامة السدود والجسور والخزانات، وتسليف الفلاحين الأموال، بدون فائدة.

3. حصول حركة تنظيم وتطوير شاملة وعميقة لجميع الدواوين والمؤسسات الإدارية في الدولة، فتم تدوين (إحصاء الناس) في أقاليم الدولة، مثل مصر والجزيرة الفراتية، والعراق وغيرها، كما تعددت الدواوين وتطورت وازداد التخصص فيها، فازدهرت دواوين الرسائل والكتابة، والخاتم، والبريد، والطرارز، فزادت الأمور استقراراً والأعمال تسلسلاً والعمال رغبة ورهبة، والرعايا أمناً ودعة، لذلك أصبحت هذه المؤسسات أداة فعالة في إدارة شؤون الدولة. واعتنى الخليفة بشكل كبير بالبريد، حيث مهدّ ونظّم شبكة واسعة من الطرق تربط العاصمة بأقاليم الدولة المختلفة، كما نجح في استخدامه في مجالات متعددة وخاصة في الجوانب العسكرية، فضلاً عن استخدامه وسائل اتصال جديدة، عن طريق بناء المناظر. واعتنى الخليفة أيضاً بالحجّابة والحاجب الذي كثرت مهامه وازدادت أهميته، كما نظم مجلسه، ورتب الداخلين عليه وصنفهم.

4. وقد أولى الخليفة عبد الملك القضاء عناية خاصة، فلم يكن يتدخل في أحكام القضاة، أو يحاول نقضها. كما كان له إسهامات رائدة في القضاء، فهو أول من أفرد يوماً للنظر في المظالم، يتصفح فيه قصص المتظلمين، ولدينا ما يشير إلى أن الخليفة عبد الملك، يُعد مؤسس ديوان النظر في المظالم. كما كان أول من نظر في الدور وجعلها ميراثاً. وفي عهده أصبحت عهود القضاة -ولأول مرة - تقرأ في المسجد الجامع أولاً ثم تقرأ أمام الوالي بعد ذلك، وصار في

عهده -ولأول مرة أيضاً - ينظر في أموال اليتامى في مصر خاصة. وأصبحت عهود القضاة تدون في سجلات خاصة. ولهور النساء خصوصيتها أيضاً، لأول مرة يقوم الخليفة عبد الملك بتحديد ما حيث جعلها (400) أربعمئة دينار حداً أعلى، إقتداءً بما فعله رسول الله ﷺ.

5. اعتنى الخليفة عبد الملك بالطراز كثيراً، فهو أول من عربّه، كما طوّر صناعته ونظمها، وجعله تحت سيطرة الدولة، وربما كان هو المؤسس لديوان الطراز، الذي بدء يتج في عصره، مختلف المتوجات المحلاة بعبارات إسلامية مكتوبة باللغة العربية.

6. إن الميزة الكبرى لعصر الخليفة عبد الملك بن مروان، هي أنه عصر تعريب، إذ قاد الخليفة بنفسه حركة التعريب الكبرى، التي شملت تعريب الدواوين (الخراج) والنقود، والطراز، والوثائق الرسمية، ثم الكتب الدينية في مصر خاصة.

ويمكن القول إن التعريب كان أول عملية ترجمة منظمة وجبارة إذ كان ضرورة عملية لتأكيد كيان الدولة وصبغها بالصبغة العربية، وعاملاً أساساً في توحيد ثقافته ونشرها، لذلك كانت هذه الحركة، مرحلة حاسمة من مراحل التطور الإداري والثقافي والسياسي والاقتصادي للدولة، ونتيجة ذلك فقد تحققت سيادة اللغة العربية وتعززت مكانتها، إذ أصبحت لغة الإدارة، فضلاً عن كونها لغة السياسة والدين والعلم. كما أن أجزاء كبيرة من الدولة احتفظت بعروبتها إلى يومنا هذا. ومن جهة أخرى أدى إلى ظهور فئة من الكتاب والمثقفين العرب، أسهموا بشكل فاعل في تنشيط حركة الترجمة، ومن ثم بناء أسس حضارة عربية إنسانية راقية.

7. لقد اتبع الخليفة عبد الملك في إدارته للدولة سياسة ناجحة، إذ تمكن من الإبقاء على علاقات حسنة مع معظم الأطراف المختلفة من علويين وعباسيين، كما تمكن من تحقيق التوازن القبلي، لذلك خلا عصره - على وجه الخصوص - بعد سنة (78هـ/697م) من أية حركة أو تمرد داخلي، عدا تمرد ابن الأشعث.

أما عماله فكان جلهم من أسرته إلا أنه كان يراقبهم مراقبة شديدة، وكان مستعداً باستمرار لإقالة أي عامل قصر في عمله.

ومن جهة أخرى أعاد الخليفة عبد الملك، النظر في ترتيب بعض أقاليم الدولة، مستهدفاً تنظيمها بالدرجة الأولى، فقد فصل الجزيرة الفراتية، وجعلها فضلاً عن أرمينيا وأذربيجان إقليماً إدارياً مستقلاً، كما فصل اليمن عن الحجاز وجعله ولاية مستقلة قائمة بذاتها.

وفي هذه الفترة اتجه الخليفة عبد الملك بشكل واضح نحو اللامركزية الإدارية، إذ أعطى ولايته قسطاً لا بأس به من الاستقلالية الإدارية، لكي يخفف من أعباء إشرافه على الأقاليم البعيدة، وليسهل مهمة البت في الأمور الإدارية وبخاصة الثانوية منها.

وبذلك يمكن القول أن الخليفة عبد الملك بن مروان، سار في سياسته المالية والإدارية على الأسس التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مع تعديلات اقتضتها عوامل التطور والتغير، وظروف الدولة، وليس صورها المستشرقون بأنها سياسة يراد بها إرهاب الموالى وأهل الذمة، وهي في عمومها، السياسة التي سار عليها العباسيون فيما بعد.

لكل ذلك يمكن القول أن الخليفة عبد الملك بن مروان، يُعد المؤسس الحقيقي للنظام الإداري والسياسي للدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المخطوطات:

* البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ / 892م).

1- أنساب الأشراف، (11) جزء، نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد، تحت رقم (1634-1644) عن النسخة الأصلية في معهد المخطوطات العربية في الرباط رقم (68).

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت597هـ / 1200م).

2- المتظيم في تاريخ الامم والملوك، (12) جزء، رقيقة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، (ج6) تحت رقم (1128). عن الأصل الموجود في مكتبة أحمد الثالث باسطنبول.

* ابن حمدون، محمد بن الحسن بن حمدون (ت562هـ / 1166م).

3- التذكرة الحمدونية، ج12، نسخة مصورة بالفوتوستات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد، تحت رقم (1282)، عن الأصل الموجود في مكتبة أحمد الثالث باسطنبول.

* الدويهي، اسطيفانوس يوسف بن صالح (ت1171هـ / 1758م).

4- تاريخ المسلمين، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد، تحت رقم (13).

* السنامي، عمر بن محمد بن عوض.

5- نصاب الاحتساب، مخطوطة مكتبة وزارة الأوقاف العراقية، تحت رقم (5789).

* ابن طلحة، محمد بن طلحة القرشي (ت652هـ/1254م).

6- العقد الفريد للملك السعيد، مخطوطة مكتبة وزارة الأوقاف العراقية، تحت رقم (639).

* الغساني، أبو العباس اسماعيل بن العباس (ت803هـ/1400م).

7- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك وطبقات الخلفاء والملوك، نسخة مصورة بالفوتستات، محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، برقم (35)، عن الأصل الموجود في دار الكتب المصرية برقم (2189).

* ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت204هـ/819م).

8- المثالب، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد، تحت رقم (205).

* مؤلف مجهول، (من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

9- غرر السير، نسخة مصورة عن أصل مخطوطة مكتبة البودليان في أكسفورد، تحت رقم (1787)، نسخة الدكتور عبدالأمير دكسن.

* مؤلف مجهول، (من القرن الثالث الهجري).

10- رسالة في الأموال، مخطوطة في مكتبة وزارة الأوقاف العراقية، تحت رقم (13754/2).

ثانيا: المطبوعات:

1- المصادر العربية الأولية:

- * ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ / 1260م).
- 11- اعتاب الكتاب، تح، د. صالح الاشر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (دمشق – 1961م).
- 12- الحلة السراء، (جزءان)، تح، حسين مؤنس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – 1963م).
- * الأبشيهي، الشيخ شهاب الدين محمد بن احمد (ت850هـ / 1446م).
- 13- المستطرف في كل فن مستظرف، (جزءان)، مطبعة الاستقامة، (مصر- 1379هـ).
- * ابن الأثير، عز الدين علي بن ابي الكرم (ت630هـ / 1232م).
- 14- الكامل في التاريخ، (12) جزء، دار صادر – دار بيروت، (1965- 1966م).
- * ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد (ت606هـ / 1209م).
- 15- النهاية في غريب الحديث، (5) أجزاء، تح، طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط1، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة – 1963م).
- * ابن الاخوة، محمد بن محمد بن احمد القرشي (ت729هـ / 1329م).

16- معالم القرية في احكام الحسبة، نشره، روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، (كيمبرج - 1937م).

* ابن آدم، يحيى بن آدم القرشي (ت203هـ/ 818م).

17- الخراج، تصحيح وشرح، أحمد محمد شاكر، ط2، المطبعة السلفية، (القاهرة - 1384هـ).

* الأزرقى، محمد بن عبدالله (ت233هـ/ 847م).

18- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة خياط، (بيروت - 1964م).

* ابن الأزرق، أبو عبدالله (ت896هـ).

19- بدائع السلك في طبائع الملك، (جزءان)، تح، د. سامي علي النشار، منشورات وزارة الاعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، (بغداد - 1977م).

* الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ/ 966م).

20- الأغاني، (24) جزء، ج1-ج16، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مطابع كوستا توماس، (القاهرة - 1963م). والأجزاء الباقية نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة - 1970-1973م).

* الاصطخري، أبو اسحق ابراهيم بن محمد (ت346هـ/ 957م).

21- المسالك والممالك، تح، محمد جابر، ومحمد شفيق، (القاهرة-1961م).

* ابن ابي اصيبعة، أحمد بن القاسم، (ت668هـ/ 1269م).

22- عيون الأنباء في طبقات الاطباء، دار الفكر، (بيروت - 1957م).

* ابن اعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، (ت314هـ/ 926م).

23- الفتوح، (8) أجزاء، مطبعة مجلس دائرة المعارف، (حيدر آباد - الهند- 1392هـ/ 1972م).

* ابن البطريق، سعيد، (ت، القرن الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي).

24- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت - 1909م).

* ابن بكرة، منصور الذهبي الكامل، (ت635هـ/ 1237م).

25- كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تح، د. عبدالرحمن فهمي، لجنة احياء التراث الاسلامي، (القاهرة - 1966م).

* ابن بكار، الزبير بن عبدالله بن مصعب بن ثابت، (ت256هـ/ 869م).

26- الاخبار الموفقيات، تح، د. سامي مكى العاني، مطبعة العاني، (بغداد- 1972م).

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت279هـ/ 892م).

27- أنساب الاشراف:

ج1، تح، محمد حميد الله، دار المعارف، (مصر- 1959م).

ج4، طبع باشراف (Max Schlossinger)، مطبعة الجامعة، (القدس- 1938م)

ج5، طبع باشراف (S.D.F. Goiten)، مطبعة الجامعة، (القدس- 1936م).

ج11، طبع باشراف (W.Ahaiwardt)، (غريفزولد - 1883م).

28- فتوح البلدان، باعتناء، رضوان محمد رضوان، المطبعة المصرية بالازهر، (مصر - 1932م).

* البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد، (ت430هـ / 1048م).

29- الجماهر في معرفة الجواهر، ط1، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد - الدكن - 1355هـ).

30- الصيدنة، تح، الحكيم محمد سعيد، و د. رانا احسان إيلي، مؤسسة همدد الوطنية، (باكستان - 1973م).

* البيهقي، ابراهيم بن محمد، (ت470هـ / 1077م).

31- المحاسن والمساوي، دار صادر، دار بيروت، (1960م).

* ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي، (ت874هـ / 1469م).

32- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (12) جزء، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، (القاهرة - 1963م).

* التوحيدي، ابو حيان علي بن محمد بن العباس، (ت414هـ / 1023م).

33- الامتاع والمؤانسة، تح، أحمد أمين، وأحمد الزين، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت - د.ت.).

* الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت429هـ / 1037م).

34- خاص الخاص، دار مكتبة الحياة، (بيروت - 1966م).

35- لطائف المعارف، تح، إبراهيم الأبياري، وحسن كامل الصيرفي، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة - 1960م).

* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت255هـ / 869م).

36- البيان والتبيين، (4) أجزاء، تح، حسن السندوبي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة-1947م).

37- التاج في أخلاق الملوك، تح، أحمد زكي باشا، ط1، المطبعة الأميرية، (القاهرة - 1914م).

38- رسائل الجاحظ، جمع ونشر، حسن السندوبي، (مصر - 1933م).

39- رسائل الجاحظ، جمع وشرح، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة - 1964م).

* الجهشيارى، أبو عبدالله محمد بن عبدوس، (ت331هـ / 942م).

40- الوزراء والكتاب، تح، مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة - 1938م).

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، (ت597هـ / 1200م).

41- صفة الصفوة، (4) أجزاء، تح، محمود فاخوري، مطبعة الأصيل، (حلب- 1969م).

* الجوهري، اسماعيل بن حماد، (ت393هـ / 1003م).

42- الصحاح، تح، أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، (القاهرة- 1956م).

- * حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، (ت1067هـ / 1656م).
- 43- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط3، المطبعة الاسلامية، (طهران-1387هـ).
- * ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، (ت245هـ / 859م).
- 44- المحبر، باعتناء، د. ايلزة ليحتن شتير، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد- الدكن - 1942م).
- 45- المنق في أخبار قريش، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد- الدكن - 1964م).
- * ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت852هـ / 1448م).
- 46- الاصابة في تمييز الصحابة، مطبعة مصطفى عماد، (مصر-1358هـ / 1939م).
- 47- تهذيب التهذيب، (12) جزء، دائرة المعارف النظامية، (حيدر آباد- الدكن - 1326 / 1327هـ).
- * ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد، (ت656هـ / 1258م).
- 48- شرح نهج البلاغة، (20) جزء، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة - 1967م).
- * ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد، (ت456هـ / 1063م).
- 49- جمهرة أنساب العرب، تح، ليفي بروفنسال، دار المعارف، (مصر- 1948م).

- 50- جوامع السيرة، تح، احسان عباس، وناصر الدين الأسد، (مصر-د.ت).
- * الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف، (ت749ه).
- 51- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح، حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، (مدريد-1960م).
- * الحميري، محمد بن عبدالمنعم، (ت900ه).
- 52- الروض المعطار في خبر الاقطار، تح، د. احسان عباس، ط2، (بيروت-1984م).
- * الحنبلي، أبو اليمن عبدالرحمن، (ت927ه).
- 53- الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، (جزءان)، المطبعة الحيدرية، (النجف-1968م).
- * ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، (ت367ه/979م).
- 54- صورة الأرض، (جزءان)، ط2، (ليدن - 1938-1939م).
- * ابن خرداذبة، أبو القاسم عبدالله بن عبدالله، (ت نحو 300ه/912م).
- 55- المسالك والممالك، (بريل-1889م)، اعادت طبعه مكتبة المثنى في بغداد.
- * الخطيب البغدادي، الحافظ ابو بكر أحمد بن علي، (ت463ه/1070م).
- 56- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، (14) جزء، دار الكتاب العربي، (بيروت-د.ت).
- * ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، (ت808ه/1405م).

57- العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-1976م).

58- المقدمة، دار احياء التراث العربي، (بيروت - د.ت).

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر، (ت681هـ/1282م).

59- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (6) أجزاء، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة، (القاهرة-1948م).

* الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف، (ت387هـ/997م).

60- مفاتيح العلوم، نشرته إدارة الطباعة المنيرية، (القاهرة-1342هـ).

* ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط العصفري، (ت240هـ/854م).

61- تاريخ خليفة بن خياط، (جزءان)، تح، أكرم ضياء العمري، (النجف - 1967م).

* الدميري، محمد بن موسى، (ت808هـ/1405م).

62- حياة الحيوان الكبرى، (جزءان)، دار الطباعة، (القاهرة - د.ت).

* الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن، (ت-982هـ/1574هـ).

63- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، (جزءان)، (بيروت-1382هـ).

* الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت282هـ/895م).

64- الاخبار الطوال، تح، عبد المنعم عامر، ط1، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة - 1960م).

- * الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ / 1347م).
- 65- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام، مطبعة السعادة، (مصر- 1367-1369هـ).
- 66- العبر في خبر من غبر، (5) أجزاء، (ج1، 4، 5)، تح، صلاح الدين المنجد، (الكويت -1960-1966م)، (ج2، 3)، تح، فؤاد سيد، (الكويت- 1961م).
- * الرازي، محمود بن أبي بكر بن عبدالقادر، (كان حيا سنة 666هـ / 1267م).
- 67- مختار الصحاح، دار صادر، دار بيروت، (بيروت - 1960م).
- * ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، (كان حياً سنة 290هـ / 902م).
- 68- الاعلاق النفيسة، (ليدن - 1891م).
- * ابن الرفعة، أبو العباس نجم الدين الانصاري، (ت710هـ / 1310م).
- 69- الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تح، د. محمد أحمد الخاروف، مطبعة دار الفكر، (دمشق - 1980م).
- الزيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب، (ت236هـ / 850م).
- 70- نسب قریش، نشر ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، (القاهرة - 1953م).
- * الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (ت538هـ / 1143م).
- 71- أساس البلاغة، دار مطابع الشعب، (القاهرة-1960م).
- * ابن سعد، محمد بن سعد، (ت 230هـ / 844م).

72- الطبقات الكبرى، (8) مجلدات، دار صادر، دار بيروت، (لبنان- 1957م).

* السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ / 1505م).

73- تاريخ الخلفاء، محمد محيي الدين عبدالحميد، ط2، مطبعة السعادة، (مصر - 1959م).

74- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، (القاهرة - 1967م).

75- الوسائل الى مسامرة الاوائل، تح، د. أسعد طلس، مكتبة الزوراء، (بغداد - 1950م).

* الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد، (ت388هـ / 988م).

76- الديارات، تح، كوركيس عواد، ط2، (بغداد - 1966م).

* الشافعي، أبو عبدالله محمد بن ادريس، (ت204هـ / 819م).

77- الام، المطبعة الاميرية، (بولاق، القاهرة - 1321هـ).

* ابن شداد، أبو عبدالله عز الدين بن محمد بن علي، (ت648هـ / 1250م).

78- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح، سوردل، (دمشق - 1953م).

* الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم بن احمد، (ت548هـ / 1153م).

79- الملل والنحل، (3) أجزاء، تح، الشيخ أحمد فهمي محمد، ط1، مطبعة حجازي، (القاهرة - 1948م).

- * الصولي، أبو بكر أحمد بن يحيى، (ت335هـ / 946م).
- 80- أدب الكتاب، ياعتناء، محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، (مصر- 1341هـ).
- * الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت310هـ / 922م).
- 81- تاريخ الامم والملوك، (8) أجزاء، مطبعة الاستقامة، (القاهرة-1939م).
- 82- اختلاف الفقهاء، عني بنشره، يوسف شاخ، (لندن-1933م).
- * الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، (ت520هـ / 1126م).
- 83- سراج الملوك، مطبعة بولاق، (القاهرة- 1289م).
- * ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت709هـ / 1309م).
- 84- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، دار بيروت، (بيروت - 1966م).
- * ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي، (ت953هـ).
- 85- قضاة دمشق، المسمى (الشجر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام)، تح، صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، (دمشق- 1956م).
- * ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، (ت463هـ / 1070م).
- 86- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح، علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة - د.ت).
- * ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (ت257هـ / 870م).

- 87- فتوح مصر وأخبارها، (ليدن - 1930م).
- * ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، (ت328هـ / 939م).
- 88- العقد الفريد، (8) أجزاء، تح، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة - 1940-1952م).
- * ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي، (ت743هـ / 1343م).
- 89- تاريخ اليمن، المسمى (بهجة الزمن في تاريخ اليمن)، تح، مصطفى حجازي، دار العودة، (بيروت)، ودار الكلمة، (صنعاء)، (1965م).
- * ابن العبري، غريغوريس أبي الفرج بن هرون، (ت685هـ / 1286م).
- 90- تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت - 1890م).
- * أبو عبيد، القاسم بن سلام، (ت224هـ / 838م).
- 91- الأموال، تحقيق وتعليق، محمد خليل هراس، ط2، منشورات دار الفكر، (القاهرة - 1975م).
- * ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، (ت660هـ / 1262م).
- 92- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح، سامي الدهان، (دمشق - 1951م).
- * ابن عذاري، أبو عبدالله محمد المراكشي، (ت695هـ / 1295م).
- 93- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (جزءان)، مطبعة المناهل، (بيروت - 1947-1950م).
- * ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله، (ت571هـ / 1175م).

94- تاريخ مدينة دمشق، م1، تح، صلاح الدين المنجد، (دمشق-1951م)،
م10، تح، محمد أحمد دهمان، (دمشق - د.ت).

95- تهذيب التاريخ الكبير، (7) أجزاء، نشره، عبد القادر بدران، مطبعة
روضة الشام، (1329-1332ه).

* العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت395ه/ 1005م).

96- الأوائل، تح، محمد السيد الوكيل، (المدينة المنورة - 1966م).

* ابن العماد، عبد الحي بن العماد الحنبلي، (ت1089ه/ 1678م).

97- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (8) أجزاء، (القاهرة - 1350-
1351ه).

* أبو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل، (ت732ه/ 1331م).

98- المختصر في أخبار البشر، (4) أجزاء، ط1، المطبعة الحسينية، (مصر-
1325ه).

* ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، (ت نحو 289ه/ 902م).

99- مختصر كتاب البلدان، ط. دي غويه، (لندن - 1885م).

* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت276ه/ 889م).

100- الامامة والسياسة، (منسوب إليه)، (جزءان)، تح، د. محمد الزيني، طبعة
دار المعرفة، (بيروت - 1967م).

101- الشعر والشعراء، (جزءان)، دار الثقافة، (بيروت - 1964م).

102- عيون الاخبار، (4) أجزاء، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب،
(القاهرة - 1963م).

103- المعارف، ط1، (مصر - 1934م).

* قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب، (ت337هـ / 948م).

104- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق، د. محمد حسين الزبيدي، دار
الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام العراقية، (بغداد - 1981م).

* ابن قدامة، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، (ت620هـ /
1223م).

105- المغني، (9) أجزاء، ط3، (القاهرة - 1367هـ).

* القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (ت1019هـ /
1610م).

106- أخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، (بيروت - 1978م).

* القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت682هـ / 1283م).

107- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، (بيروت - 1960م).

* القلعي، أبو عبدالله محمد بن علي، (ت630هـ / 1232م).

108- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تح، إبراهيم يوسف مصطفى، ط1،
مكتبة المنار، (الاردن - 1985م).

* القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت821هـ / 1418م).

109- صبح الاعشا في صناعة الانشا، (14) جزء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، مطابع كوستا توماس وشركاءه، (القاهرة - 1963م).

110- مآثر الانافة في معالم الخلافة، (3) أجزاء، تح، عبدالستار أحمد فراج، (الكويت - 1964م).

* القيرواني، إبراهيم بن القاسم، (ت بعد سنة 447هـ / 1055م).

111- تاريخ أفريقية والمغرب، تح، المنجي الكعبي، (تونس - 1967م).

* ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ / 1350م).

112- أحكام أهل الذمة، تح، د. صبحي الصالح، ط 1، مطبعة جامعة دمشق، (دمشق - 1961م).

* ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد، (ت 697هـ / 1297م).

113- مختصر التاريخ، تح، د. مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، (بغداد - 1970م).

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر، (ت 774هـ / 1372م).

114- البداية والنهاية في التاريخ، (14) جزء، ط 1، مكتبة المعارف، (بيروت)، مكتبة النصر، (الرياض)، (1966م).

* الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، (ت 350هـ / 961م).

115- ولاية مصر، تح، د. حسين نصار، دار صادر، دار بيروت، (بيروت - 1959م).

116- كتاب الولاية وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت-1908م).

* المالكي، أبو بكر عبدالله بن أبي عبدالله، (ت بعد 453هـ / 1061م).

117- رياض النفوس، نشر، د. حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة - 1951م).

* الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت 450هـ / 1058م).

118- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة - 1960م).

* المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت 285هـ / 898م).

119- الكامل في اللغة والأدب، (4) أجزاء، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة - 1956م).

* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت 346هـ / 957م).

120- التنبيه والاشراف، تح، عبدالله اسماعيل الصاوي، (القاهرة-1938م).

121- مروج الذهب ومعادن الجوهر، (4) أجزاء، تح، محمد محيي الدين عبدالحميد، ط2، مطبعة السعادة، (مصر - 1948م).

* المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد الشافعي المقدسي البشاري، (ت 387هـ / 997م).

122- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، اعتناء، دي غويه، (ليدن - بريل - 1906م).

* المقدسي، مطهر بن طاهر، (ت322هـ / 933م).

123- البدء والتاريخ، (6) أجزاء، نشر، كلمان هوار، (باريس - 1899 - 1919م).

* المقرئ، أحمد بن محمد، (ت1041هـ / 1631م).

124- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، (10) أجزاء، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة، (مصر - 1949م).

* المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت845هـ / 1441م).

125- اغاثة الامة بكشف الغمة، تح، محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة - 1940م).

126- شذور العقود في ذكر النقود، نشر المكتبة الحيدرية، (النجف - 1356هـ).

127- شذور العقود في ذكر النقود، المسمى (النقود الاسلامية)، تحقيق واضافات محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف - 1967م).

128- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، (جزءان)، طبعة جديدة بالافسيت، مكتبة المثني، (بغداد - د.ت).

129- النزاع والتخاصم فيما بين أمية وهاشم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، (النجف - 1966م).

* المناوي، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، (ت1031هـ).

130- النقود والمكايل والموازين، تح، رجاء محمود السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، دار الرشيد، (بغداد- 1981م).

* ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت771هـ / 1311م).

131- لسان العرب، (15) جزء، دار صادر، دار بيروت، (بيروت- 1956م).

* مؤلف مجهول.

132- تاريخ الخلفاء، نشر، بطرس غرياز نيويج، (موسكو- 1967م).

* مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي).

133- أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده، تح، د. عبد العزيز الدوري، و د. عبد الجبار المطلي، دار صادر، (بيروت- 1971م).

* مؤلف مجهول.

134- العيون والحداث في أخبار الحقائق، ج3، نشر، دي غويه، (ليدن- 1869م).

الناقلي، عثمان بن ابراهيم النابلسي.

135- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، (دمشق - 1958-1960م).

* الناصري، أحمد بن خالد بن محمد السلاوي، (ت1315هـ / 1897م).

136- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، (9) أجزاء، تح، جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء - 1954م).

* ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحق، (ت385م / 995م).

- 137- الفهرست، تح، رضا تجدد، مطبعة دانشگاه، (طهران - 1971م).
- * النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت 733هـ / 1332م).
- 138- نهاية الارب في فنون الادب، (20 جزء، (ج 1-ج 18) طبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة - 1926-1955م)، (ج 19)، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة - 1975م)، (ج 20)، تح، محمد رفعت فتح الله، (القاهرة-1975م).
- * ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، (ت 218هـ / 833م).
- 139- سيرة النبي محمد ﷺ، (4 أجزاء، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، (القاهرة - د.ت).
- * الهريشي، أبو سعيد الشعراني، (من أهل القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي).
- 140- مختصر سياسة الحروب، تح، عبدالرؤف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة - 1964م).
- * وكيع، محمد بن خلف بن حيان، (ت 306هـ / 918م).
- 141- أخبار القضاة، (3 أجزاء، تح، عبدالعزيز مصطفى المراغي، ط 1، (القاهرة - 1947-1950م).
- * ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، (ت 626هـ / 1229م).
- 142- المشترك وضعاً والمفترق صقلاً، اعتناء، وستنفرد حوتنكين، (1846م)، واعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد.

143- معجم البلدان، (5) مجلدات، دار صادر، دار بيروت، (بيروت-1955م).

* اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح، (ت284هـ/897م).

144- تاريخ اليعقوبي، (3) أجزاء، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، (النجف - 1964م).

145- مشاكلة الناس لزمانهم، تح، وليم ملورد، دار الكتاب الجديد، (بيروت-1962م).

* أبو يعلي، محمد بن الحسين الحنبلي، (ت458هـ/1066م).

146- الاحكام السلطانية، صححه وعلق عليه، الشيخ محمد حامد الفقي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (مصر - 1353هـ).

* ابو يوسف، القاضي يعقوب بن ابراهيم، (ت182هـ/798م).

147- الخراج، ط2، نشر المكتبة السلفية، (القاهرة - 1352هـ).

2- المراجع العربية الحديثة

* أحمد، لييد ابراهيم (الدكتور)، وفاروق عمر فوزي (الدكتور).

148- عصر النبوة والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد-1986م).

* ادى شير، السيد ادى شير.

149- الالفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت-1908م).

* الأعظمي، عواد مجيد (الدكتور).

150- تاريخ مدينة القدس، السلسلة الاعلامية (32) وزارة الاعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، (بغداد - 1972م).

* أمين، أحمد أمين.

151- فجر الاسلام، ط6، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة-1959م).

* باشا، أحمد تيمور.

152- التصوير عند العرب، أخرجه وزاد عليه، زكي محمد حسن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة - 1942م).

* الجومرد، محمود.

153- الحجاج رجل الدولة المفترى عليه، ط1، شركة مطبعة الأديب البغدادية المحدودة، (بغداد - 1985م).

* حتي، فليب، وإدوارد جرجي، وجبرائيل جبور.

154- تاريخ العرب المطول، ط4، دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع، (بيروت - 1965م).

* حسن، حسن إبراهيم (الدكتور).

155- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (4 أجزاء، ط7، (القاهرة - 1964م).

* حسن، حسن إبراهيم وعلي إبراهيم حسن (الدكتور).

156- النظم الاسلامية، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة-1959م).

* حلاق، حسان علي.

157- تعريب النقود والدواوين في العصر الاموي، دار الكتاب، (القاهرة-1978م).

* الحسيني، محمد باقر.

158- تطور النقود العربية الاسلامية، ط1، مطبعة دار الجاحظ، (بغداد-1969م).

159- العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، مطبعة دار الجاحظ، (بغداد-1966م).

* الحيدر آبادي، د. محمد حميد الله.

160- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة-1956م).

* الخربوطلي، علي حسني (الدكتور).

161- الاسلام والخلافة، دار بيروت للطباعة والنشر، (بيروت-1969م).

162- تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي، دار المعارف، (مصر-1959م).

163- الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة-د.ت).

164- الدولة العربية الاسلامية، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة-1960م).

* الخضري، الشيخ محمد.

165- تاريخ الامم الاسلامية، ط8، (مصر-1382ه).

* دكسن، عبد الامير عبد حسين (الدكتور).

166- الخلافة الاموية (65-86هـ / 684-705م) دراسة سياسية، (بيروت-1973م).

* الدوري، عبدالعزيز (الدكتور).

167- العصر العباسي الاول، مطبعة التفيض الاهلية، (بغداد-1945م).

168- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، (بيروت-1982م).

169- مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد-1949م).

170- النظم الاسلامية، ج1، ط1، مطبعة نجيب، (بغداد-1950م).

* الرافعي، مصطفى صادق (الدكتور).

171- التنظيم القضائي في لبنان من الناحيتين القانونية والشرعية، (لبنان-1969م).

* الراوي، ثابت اسماعيل.

172- العراق في العصر الاموي، ط1، مطبعة الارشاد، (بغداد-1965م).

* الزركلي، خير الدين.

173- الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ط2، (القاهرة-1954-1959م).

* الرئيس، محمد ضياء الدين.

174- الخراج والنظم الاسلامية، ط1، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة-1957م).

175- عبدالملك بن مروان، موحد الدولة العربية، سلسلة أعلام العرب، العدد (10)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة-1962م).

* الزنجاني، أبو عبدالله.

176- تاريخ القرآن، ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-1969م).
* زيدان، جرجي.

177- تاريخ التمدن الاسلامي، (5) أجزاء، مطبعة الهلال، (مصر-1931-1947م).

* سالم، السيد عبدالعزيز (الدكتور).

178- تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت-1971م).

* شلي، أحمد شلي (الدكتور).

179- السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة-1964م).

* الصالح، صبحي (الدكتور).

180- النظم الاسلامية، نشأتها وتطورها، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت-1968م).

* صفوت، أحمد زكي.

181- جمهرة رسائل العرب، (4) أجزاء، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، (مصر - 1937م).

* ضرار، ضرار صالح.

182- الحجاج بن يوسف الثقفي، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت-1966م).

* طلس، محمد أسعد.

183- تاريخ الأمة العربية، عصر الاتساق، ط1، دار الاندلس، (بيروت-1958م).

* طه، عبدالواحد ذنون (الدكتور).

184- العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط1، مطابع جامعة الموصل، (1405هـ / 1985م).

* العارف، عارف باشا.

185- تاريخ القدس، دار المعارف، (مصر - 1951م).

* عاقل، نبيه (الدكتور).

186- خلافة بني أمية، سلسلة تاريخ العرب والاسلام، ط3، دار الفكر، (دمشق-1975م).

187- الامبراطورية البيزنطية، (دمشق - 1969م).

* عبدالباقي، محمد فؤاد.

188- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية،
(القاهرة- 1364هـ).

* العدوي، إبراهيم أحمد (الدكتور).

189- الأمويون والبيزنطيون، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة-1953م).

* العسلي، بسام.

190- عبدالملك القائد، ط1، دار النفائس، (بيروت - 1986م).

* عمر، احمد مختار.

191- تاريخ اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة-
1970م).

* علي، محمد كرد.

192- الاسلام والحضارة العربية، (جزءان)، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر، (القاهرة -1968م).

193- خطط الشام، (4) اجزاء، المطبعة الحديثة، (دمشق - 1925م).

* علي، جواد (الدكتور).

194- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (8) أجزاء، ط1، دار العلم
للملايين، (بيروت - 1969م).

* العلي، صالح أحمد (الدكتور).

195- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري،
مطبعة المعارف، (بغداد - 1953م).

- 196- محاضرات في تاريخ العرب، ج1، ط6، (بغداد- 1964م).
- 197- تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، (بالاشتراك مع آخرين)، ط1، مطبعة وزارة التربية، (بغداد - 1973م).
- * فوزي، فاروق عمر (الدكتور).
- 198- النظم الاسلامية، ط1، مطابع دار الخليج للطباعة والصحافة والنشر، (العين - 1983م).
- 199- تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى، ط2، دار واسط، (بغداد - 1985م).
- 200- النظم الاسلامية، (بالاشتراك مع آخرين)، منشورات دار الحكمة، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد- 1987م).
- * كاشف، سيدة اسماعيل (الدكتورة).
- 201- مصر في عصر الولاة، مطابع دار القلم، (القاهرة - د.ت).
- 202- مصر في فجر الاسلام، دار الفكر العربي، (القاهرة-1947م).
- 203- الوليد بن عبد الملك، سلسلة أعلام العرب (17)، (القاهرة-1962م).
- * الكبيسي، عبدالمجيد محمد صالح.
- 204- عصر هشام بن عبدالملك، (بغداد- 1975م).
- * الكتاني، الشيخ عبد الحي.
- 205- التراثيب الادارية، (جزءان)، دار احياء التراث العربي، (بيروت-د.ت).
- * ماجد، عبدالمنعم (الدكتور).

206- التاريخ السياسي للدولة العربية، ط5، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة- 1976م).

207- تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ط3، (القاهرة - 1973م).

* المازندراني، السيد موسى الحسيني.

208- العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير، ط2، المطبعة الاسلامية، (طهران - 1382هـ).

* محمد، عبد الرحمن فهمي (الدكتور).

209- صنع السكة في فجر الاسلام، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة- 1957م).

210- فجر السكة العربية، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة - 1965م).

211- النقود العربية ماضيها وحاضرها، المكتبة الثقافية (113)، (القاهرة- 1964م).

* المدور، جميل نخلة.

212- حضارة الاسلام في دار السلام، مطبعة الاعتماد، (القاهرة - 1932م).

* مصطفى، شاكر.

213- التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ط1، دار العلم للملايين، (بيروت- 1978م).

* المعاضيدي، عبدالقادر سلمان (الدكتور).

- 214- واسط في العصر الاموي، ط1، دار الحرية للطباعة، (بغداد-1976م).
- * معروف، ناجي (الدكتور).
- 215- المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ط6، مطبعة العاني، (بغداد-1966م).
- * معروف، نايف محمود (الدكتور).
- 216- الخوارج في العصر الاموي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت-1977م).
- * النجم، عبدالرحمن عبدالكريم (الدكتور).
- 217- البحرين في صدر الاسلام واثرها في حركة الخوارج، دار الحرية للطباعة، (بغداد-1973م).
- * أبو النصر، عمر.
- 218- سيوف أمية في الحرب والادارة، مطبعة نغم، منشورات المكتبة الاهلية، (بيروت-1963م).
- 219- الحضارة العربية الاموية في دمشق، (بيروت-1948م).
- 220- عبدالملك بن مروان، ط1، منشورات المكتبة الاهلية، (بيروت-1962م).
- * النعيم، د. عبدالعزيز العلي.
- 221- نظام الضرائب في الاسلام ومدى تطبيقه في المملكة العربية السعودية، دار الاتحاد العربي للطباعة، (القاهرة-1975م).
- * النقشبندي، السيد ناصر محمود.

222- الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني، ج 1، مطبوعات
المجمع العلمي العراقي، مطبعة الحكومة، (بغداد - 1969م).

223- الدينار الاسلامي في المتحف العراقي، ج 1، مطبعة الرابطة، (بغداد -
1953م).

* النقشبندي والبكري، السيد ناصر محمود، ومهاب درويش.

224- الدرهم الاموي المعرب، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية،
(بغداد - 1974م).

* النواوي، عبد الخالق (الدكتور).

225- النظام المالي في الاسلام، دار النهضة العربية، (القاهرة - 1973م).

3- المراجع الأجنبية:

أ: المترجمة:

* آرنولد، سير توماس.

226- الدعوة إلى الاسلام، ترجمة، حسن ابراهيم، عبد المجيد عابدين، اسماعيل
النحراوي، ط 3، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة - 1970م).

* اسكندر، توفيق (مترجم).

227- بحوث في التاريخ الاقتصادي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،
(القاهرة - 1961م).

* بتلر، الفريد. ج.

228- فتح العرب لمصر، ترجمة، محمد فريد أبو حديد، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- 1946م).

* ترتون. أ. س.

229- أهل الذمة في الاسلام، ترجمة، حسن حبشي، مطبعة الاعتماد، (مصر- 1949م).

* حسيني، مولوي. س. أ. ق.

230- الادارة العربية، ترجمة ابراهيم احمد العدوي، مكتبة الاداب، (القاهرة- 1958م).

* جروهمان، أدولف.

231- الأوراق البردية العربية، (4) محاضرات، أُلقيت في القاهرة سنة (1930م)، ترجمة، توفيق اسكاروس، مطبوعات دار الكتب المصرية، (القاهرة- 1930م).

* جوزي، بندلي جوزي.

232- من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، طبعة دار الروائع، (بيروت- د.ت).

* جلوب، جون باجوت.

233- امبراطورية العرب، ترجمة وتعليق، خيري العمري، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت- 1966م).

* ديمومبين، موريس جود فواي.

234- النظم الاسلامية، ترجمه من الفرنسية، صالح الشماع وفيصل السامر، مطبعة الزهراء، (بغداد - 1952م).

* دينيت، دانيال دينيت.

235- الجزية والاسلام، ترجمة فوزي فهم جاد الله، مراجعة احسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت - 1960م).

* علي، سيد أمير.

236- مختصر تاريخ العرب، ترجمة، رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة - 1938م).

* فنسك.

237- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ج1، مطبعة بريل، (ليدن - 1936م).

* فلوتن، فان فلوتن.

238- السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمه عن الفرنسية، حسن ابراهيم حسن، ومحمد زكي ابراهيم، مطبعة السعادة، (القاهرة - 1934م).

* كب، هاملتون كب وآخرون.

239- دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، (بيروت-1964م).

* كراتشوفسكي، اغناطيوس يوليا نوفتش.

240- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، (قسمان)، ترجمة، صلاح الدين عثمان هاشم، (موسكو - لينغراد - 1957م).

* كرسنسن، آرثر.

241- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة، يحيى الخشاب، مراجعة، عبدالوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- 1957م).

* لسترانج، كي لسترانج.

242- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة، بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، (بغداد- 1954م).

* لوبون، غوستاف لوبون.

243- حضارة العرب، ترجمة، محمد عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة- 1945م).

* متز، آدم.

244- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، عبدهادي أبو ريده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة-1948م).

* ولهاوزن، يوليوس.

245- تاريخ الدولة العربية، ترجمة، محمد عبدالحادي أبو ريذة، ط2، (القاهرة-1968م).

* هتس، فالتر.

246- المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة، د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، (عمان-1970م).

247- دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة، أحمد الشتناوي وآخرين.

248- دائرة المعارف الاسلامية، ط1، دار الشعب، (القاهرة - د.ت).

ب: غير المترجمة:

249-Walker (Jone): Catalogue of the Arab-Sassanian coins.
(london , 1941).

اعتبرناه الجزء الأول.

250-Catalogue of the Arab-Byzantine and Post-Reform
اعتبرناه Unaiyad coins. (London: 1956).
الجزء الثاني.

251--Wroth: Catalogue of the Byzantine coine in the Brtish
Musem. (London ,1908).

252-"The Encyclopaedia of Islam" , old Edition. (Leyden, 1913-
1934).

253-New Edition (Leyden , 1960).

4. المجلات والحواليات:

أ: العربية:

* دكسن، عبدالأمير عبد حسين (الدكتور).

254- ملاحظات حول سياسة عبدالملك بن مروان في اختيار عماله، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (15) لسنة 1972م.

* الدوري، عبدالعزيز (الدكتور).

255- نظام الضرائب في خراسان في صدر الاسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، م11، لسنة 1964م.

256- نظام الضرائب في صدر الاسلام، ملاحظات وتقييم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج2، م49، لسنة 1974م.

* الرمضاني، عبدالواحد (الدكتور).

257- البعد القومي لعملية تعريب النقود، دراسة سياسية واقتصادية، مجلة آداب الرافدين، (الموصل)، العدد (14)، لسنة 1981م.

* سلمان، عيسى سلمان (الدكتور).

258- درهم نادر للخليفة الاموي عبدالملك بن مروان، مجلة سومر، م26، لسنة 1970م.

259- أقدم درهم معرب للخليفة عبدالملك بن مروان، مجلة سومر، م27، لسنة 1971م.

260- المسكوكات المصورة في مجموعة عبدالله بن شكر الصراف، مجلة المسكوكات، العدد(2)، بغداد 1969م.

* الشبي، كامل مصطفى.

261- أصحاب الأخبار أو رجال المخابرات في التراث العربي، مجلة آفاق عربية، العدد (7)، آذار 1982م.

* عبد المنعم، حمدي.

262- النظر في المظالم، مجلة العدالة، تصدرها وزارة العدل والشؤون الاسلامية والاقواف، (أبو ظبي)، العدد (17)، السنة (5)، 1978م.

* العلي، صالح احمد (الدكتور).

263- إدارة خراسان في العهود الاسلامية الاولى، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (15)، لسنة 1972م.

264- إدارة الحجاز في العصور الاسلامية الاولى، مجلة الابحاث، مجلة تصدرها الجامعة الامريكية في بيروت، السنة (21)، الأجزاء (2، 3، 4)، لسنة 1968م.

265- مراكز السك الساسانية في العراق، مجلة المسكوكات، العدد(3)، لسنة 1972م.

266- موظفو بلاد الشام في العصر الاموي، مجلة الابحاث، العدد (19)، (بيروت - 1966م).

* علي، محمد كرد.

267- مميزات بني أمية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م16، لسنة 1941م.

* غنيمه، يوسف رزق الله.

268- النقود العباسية، مجلة سومر، ج1، م9، لسنة 1953م.

* القزاز، وداد علي.

269- الدراهم الاسلامية المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، مجلة المسكوكات، العدد (1)، لسنة 1969م.

* الكبيسي، حمدان عبدالمجيد (الدكتور).

270- موسوعة حضارة العراق، الصناعة في العراق، ج5، (بغداد-1984م).

271- البعد القومي لعملية تعريب النقود، مجلة آداب المستنصرية، العدد (5)، لسنة 1980م.

* معروف، ناجي (الدكتور).

272- أول تأميم في العراق، مجلة الأقلام، ج4، السنة الأولى، 1964م.

273- الضمان الاجتماعي في الاسلام أو التنظيم العمري في الخراج، مجلة الاقلام، ج7، السنة الأولى، 1965م.

* النقشبندي، السيد ناصر محمود.

274- الدرهم الاموي المضروب على الطراز الاسلامي الخاص، مجلة سومر، م14، لسنة 1959م.

ب: الأجنبية:

- 275- Grierson, P: "The Monetary Reform of Abd Al-Malik" ,
Jornal of the Economic and social History of the
Orient , JESHO, III , 1960.
- 276- Maáya Farah's: Ahoard of ommayad dinars from ORIF ,
Annual. Dept. Antiq , Jordan , 1962. P. 76.
- 277- Sprengling. M: " From Persian to Arabic ' , The
American Jounal of Semitic Languages and Literature ,
Vol. 56. 1939.

5- الرسائل الجامعية:

* جاسم، عطا سلمان.

278- النظر في المظالم، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، كلية الآداب،
جامعة بغداد، 1985م.

* سلامة محاسنة، محمد حسين.

279- الاحوال الاقتصادية في بلاد الشام، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة
الكاتبة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1986م.

* العاني، عبدالرزاق عبداللطيف.

280- إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والاموي، رسالة ماجستير مكتوبة
بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1968م.

* الفراجي، عدنان علي كرموش.

281- الخلافة الأموية (96-105هـ) دراسة في التاريخ السياسي والإداري، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1987م.

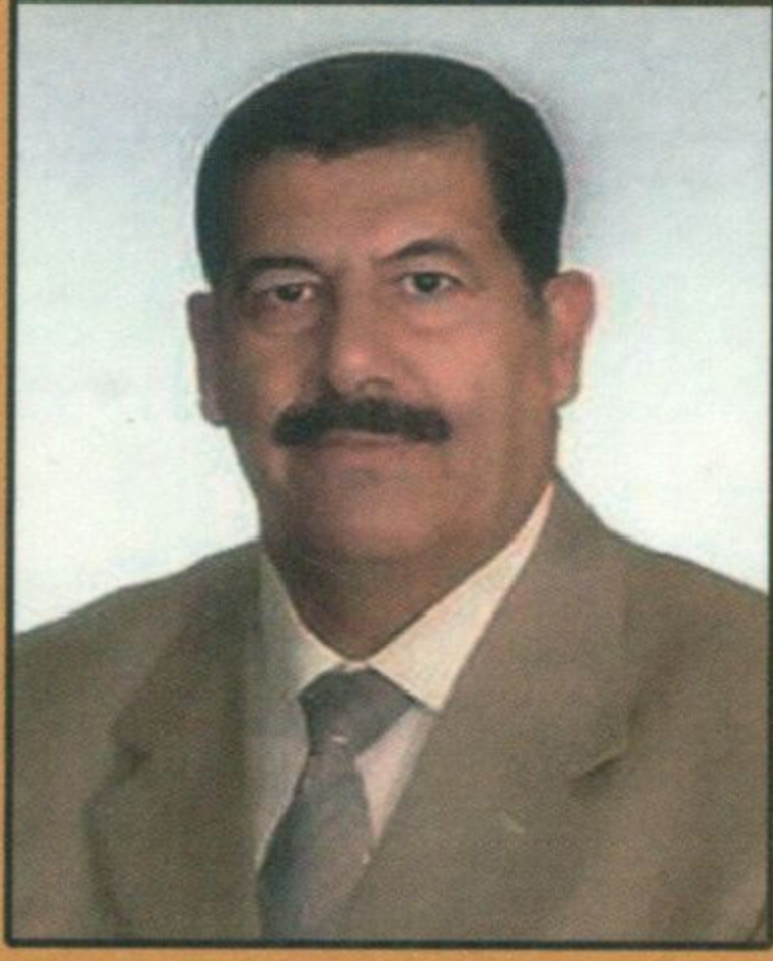
* محمد صالح، خولة عيسى.

282- نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الإسلامية حتى عام 334هـ، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985م.



- الاسم الكامل: الاستاذ الدكتور عبدالجبار محسن عباس السامرائي .
- ولد عام 1953م في سامراء وأكمل فيها الدراسة الابتدائية والمتوسطة والاعدادية .
- بكالوريوس في التاريخ من جامعة بغداد / كلية الآداب - قسم التاريخ عام 1976م .
- ماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد / كلية الآداب - قسم التاريخ عام 1988م .
- دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد / كلية الآداب - قسم التاريخ عام 2000م .
- عمل في المدارس الثانوية منذ عام 1978م حتى نقله الى جامعة تكريت كتدريسي عام 1995.
- من الرواد المؤسسين لجامعة سامراء.
- رئيس قسم التاريخ عام 2003-2005م .
- معاون العميد للشؤون العلمية في كلية التربية / سامراء للفترة 2008-2010م .

- رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر العلمي الثالث لكلية التربية / سامراء 2008 م
- معاون العميد للشؤون الادارية في كلية الآثار / سامراء 2010-2011م.
- عميد كلية الآثار/ جامعة سامراء عام 2012م
- عضو اتحاد المؤرخين العرب منذ عام 1988م .
- عضو جمعية المؤرخين والآثاريين العراقية منذ عام 1989م .
- كُرمَ بوسام المؤرخ العربي في 25 /10 /2014م.



المؤلف في سطور

- الاسم الكامل : الاستاذ الدكتور عبد الجبار محسن عباس السامرائي.
- ولد عام ١٩٥٣م في سامراء وأكمل فيها الدراسة الابتدائية والمتوسطة والاعدادية.
- بكالوريوس في التاريخ من جامعة بغداد / كلية الآداب - قسم التاريخ عام ١٩٧٦م .
- ماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد / كلية الآداب - قسم التاريخ عام ١٩٨٨م .
- دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد / كلية الآداب - قسم التاريخ عام ٢٠٠٠م .
- عمل في المدارس الثانوية منذ عام ١٩٧٨م حتى نقله الى جامعة تكريت كتدريسي عام ١٩٩٥.
- من الرواد المؤسسين لجامعة سامراء.
- رئيس قسم التاريخ عام ٢٠٠٣-٢٠٠٥م .
- معاون العميد للشؤون العلمية في كلية التربية / سامراء للفترة ٢٠٠٨-٢٠١٠م .
- رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر العلمي الثالث لكلية التربية / سامراء ٢٠٠٨م .
- معاون العميد للشؤون الادارية في كلية الآثار / سامراء ٢٠١٠-٢٠١١م .
- عميد كلية الآثار / جامعة سامراء عام ٢٠١٢م .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب منذ عام ١٩٨٨م .
- عضو جمعية المؤرخين والآثاريين العراقية منذ عام ١٩٨٩م .
- كرم بوسام المؤرخ العربي في ٢٥/١٠/٢٠١٤م .



khudairart@yahoo.com



دار دجلة
ناشرون وموزعون



عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري .
تلفاكس: +96264647550 خلوي: +962795265767
ص ب: 712773 عمان 11171 الأردن
E-mail: dardjlah@yahoo.com
www.dardjlah.com